فاتن صبري

لماذا الدين؟

رحلة من الذاكرة

لماذا الدين؟

رحلة من الذاكرة

فاتن هاشم صبري

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

fatensabri.com
faten@fatensabri.com
la luz-the light
la luz (the light)
laluz_thelight

أدعو الله أن يتقبل مني

هذا الكتاب ويجعله في ميزان حسناتي وحسنات:

أبي العطوف رحمه الله.... من علمني كيف أعيش بكرامة وشموخ.

أمي الحنونة رحمها الله..... إلى رمز التفاني والإخلاص.

زوجي.... أسمى رموز الإخلاص والوفاء ورفيق الدرب.

إخوتي.... سندي وعضدي ومشاطري أفراحي وأحزاني.

أولادي وأحفادي..... فلذات الأكباد.

شكر وتقدير إلى:

الجندي المجهول الذي علمني كيف أقف بكل ثبات فوق الأرض، إلى مثال التفاني والإخلاص.

والذي لم يبخل بمساعدتي يومًا، وأمدَّني بالنصح والإرشاد، ومن دعا لي بالخير.

إلى من توجيهاته خلف كل كلمة وجملة في هذا الكتاب.

إلى زوجي الرجل المثالي أطال الله في عمره ليظل عونًا لي.

المهندس لؤي صبري.

شكر وتقدير إلى:

الأستاذ الدكتور محمد عبد الله السحيم: أستاذ العقيدة في جامعة الملك سعود.

إدارة موقع دار الإسلام ومركز رواد الترجمة من مراجعين ومحررين.

المحتويات:

وما توفيقي إلا بالله	٢
وادعُ إلى سبيل ربِّك بالحكمة	٣
أفي الله شكٌ؟	٨
من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله	١٤
بديعُ السَّماواتِ والأرض	٢١
فما أغنتْ عنهم آلهتهم	٢٩
بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه	٣٦
العلم والإيمان	٤٤
الدين القيِّم	٥٣
وكذلك جعلناكم أمَّةً وسطا	٦٢
إنه ربي رحيمٌ ودود	٧٤
وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين	٨٧
يجادلونك في الحق بعد ما تبين	١٠٠
إنَّ الدين عند الله الإسلام	١١٧
ومن يبتغ غير الإسلام دينًا	١٣٠
رسالة الإسلام	١٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله

لطالما طلبت العون من الله في حياتي، وتيسير لي علمًا نافعًا والاستفادة منه، وكنت أدعوه وأقول: يا رب دبِّر لي فإني لا أحسن التدبير، وقد رأيت في المنام حينها الرسول عليه الصلاة والسلام يعطيني مجموعة من الكتب ولم أفهم في ذلك الوقت تأويل المنام. وعندما بدأ زوجي رحلته كدبلوماسي منتدب للأمم المتحدة، وقراري للالتحاق به مع الأولاد، شعرت حينها بفراغ كبير لبعدي عن عملي وأهلي والأصدقاء، حينها فتح الله لي طريق دراسة اللغات لأملأ وقت فراغي، ولقد اعتقد الكثير من الأصدقاء أن اجتهادي في دراسة اللغات لن يضيف إلى رصيدي العلمي شيئًا، وأنه مضيعة للوقت، لأنني سوف أنسى ما تعلمته بمجرد عودتنا إلى بلادنا بعد تقاعد زوجي، ولم أتوقف حينها عن ترديد دعاء: يا رب دبِّر لي فإني لا أحسن التدبير، حتى يَسَّر الله لي طريقًا للحوار مع غير المسلمين عن عقيدة التوحيد ومعرفة الخالق بسبب إتقاني للغات، مما أثار تعجب الجميع.

ولطالما تعرضت لمعوقات كثيرة في طريقي، كادت أن توقفني عن الاستمرار، حتى رأيت في لحظة يأس من يقول لي في المنام: استمري، وأرسل الله لي يد العون والتشجيع من حيث لا أحتسب، وبناءً على هذا التشجيع ونصيحة أساتذتي الأفاضل، قررت أن أكتب هذا الكتاب خلال فترة الحجر المنزلي الذي فُرض على الجميع بسبب جائحة الكورونا.

وإني لأحمد الله العلي القدير أن وفقني لكتابة هذا الكتاب، وأدعو الله أن يجعله مشكاة تنير الطريق أمام الباحثين عن الحقيقة وأصحاب العقول النيرة والقلوب المنفتحة، ويجعله رسالة خير وسلام للجميع، بالتعرف على الدين الصحيح، السليم والفطري، والمتمثل في سماحة الإسلام وخاتم الديانات السماوية والاصدار الأخير الذي جاء به خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الإيمان بخالق الكون وعبادته وحده بلا وسيط، هذا الدين الذي جاء ليصحح المفاهيم المغلوطة ويعيد للدين مكانته الصحيحة.

ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة

إن الحاجة إلى الدين أشد من الحاجة إلى الطعام والشراب، الإنسان بطبعه متدين فلو لم يهتدِ إلى الدين الحق، لسوف يخترع له دينًا كما حصل في الديانات الوثنية التي ابتدعها البشر. والإنسان محتاج للأمن في الدنيا كما أنه محتاج للأمن في منقلبه وبعد موته، والدين الحق هو الذي يمنح أتباعه الأمن التام في الدارين.

من مقاييس الدين الحق:

الايمان بإله:

لابد للإنسان من الايمان، يمكن أن يسميه إلهًا أو يسميه أي شي آخر، وقد يكون الإله شجرة أو نجمًا في السماء أو امرأة أو رئيسه في العمل أو نجمًا سينمائيًا أو نظرية علمية أو حتى هوىً في نفسه، لكن لابد له من الإيمان بشيء يتبعه ويقدسه ويرجع له في نهج حياته وقد يموت لأجله وهذا ما نسميه العبادة.

الإله الحق هو الخالق:

أن عبادة غير الإله الحق تتضمن الادعاء بأنهم آلهة، والإله لا بد أن يكون خالقًا، والدليل على أنه الخالق يكون إما بمشاهدة ما خلقه في الكون، وإما بوحي من الإله الذي ثبت أنه خالق، فإذا لم يكن لهذا الادعاء دليل، لا من خلق الكون المشهود، ولا من كلام الإله الخالق، كانت بالضرورة باطلة.

وأنَّ الإيمان بالخالق يقوم على حقيقة أن الأشياء لا تظهر بدون سبب، ولا الصدفة ممكن أن تكون موجدة للكون لأن الصدفة ليست سببًا رئيسيًا، وإنما هي نتيجة ثانوية تعتمد على توافر عوامل أخرى (وجود الزمان، المكان، المادة والطاقة) حتى يتكون منهم شيء بالصدفة. فلا يمكن استخدام كلمة "صدفة" لتفسير أي شيء لأنها لا شيء على الإطلاق.

الخالق:

- يجب أن يكون وجوده قد سبق وجود الزمان، المكان، والطاقة، واستنادًا على ذلك، لا يمكن للطبيعة أن تكون هي المسبب بخلق الكون، لأن الطبيعة نفسها تتكون من زمان، مكان وطاقة، وبالتالي يجب أن يكون ذلك السبب موجودًا قبل وجود الطبيعة.
- يجب أن يكون الخالق قاهرًا أي يمتلك السلطة على كل شيء.
- يجب أن يكون صاحب قرار، ليصدر قراره ببدء الخلق.
- يجب أن يمتلك بُعد نظر ولديه علم كلي بكل أمر، أي لديه معرفة كاملة بجميع الأشياء.
- يجب أن يكون واحدًا فردًا، لأن المسبب إن كان مثاليًا، لا ينبغي أن يحتاج لوجود مسببًا آخرًا معه، ولا ينبغي أن يحتاج أن يتجسد في صورة أحد من مخلوقاته ولا أن يحتاج أن يكون له زوجة أو ولد في أي حال من الأحوال.
- يجب أن يكون حكيم لا يفعل شيء إلا لحكمة خاصة.

- يجب أن يكون عادل، ومن عدله أن يكافئ ويعاقب، وأن يكون ذا صلة بالبشر، فلن يكون إلهًا لو خلقهم وتركهم، ولهذا فهو يرسل الرسل إليهم ليوضح لهم الطريق ويُبلغ البشر منهجه. والذي يستحق المكافأة من سلك هذا الطريق، والعقاب لمن حاد عنه، ويتمثل ذلك في الدار الآخرة في نعيم الجنة وعذاب النار[1].

الدين:

هو منهج حياة، والذي ينظم علاقة الإنسان بخالقه وبمن حوله، وهو الطريق إلى الآخرة.

- يجب أن يكون أقرب إلى فطرة الإنسان الأولى التي تحتاج لعلاقة مباشرة مع خالقها بدون ندخل وسطاء، والتي تمثل الفضائل والسجايا الخيِّرة في الإنسان .
- يجب أن يكون دين واحد، سهل وبسيط، مفهوم وغير معقد، صالح لكل زمان ومكان، مجاني.
- يجب أن يكون دينًا ثابتًا لكل الاجيال ولكل البلاد ولكل أنواع البشر، لا يقبل الزيادة ولا النقصان حسب الأهواء، كما هو الحال في العادات والتقاليد التي منشأها البشر.
- يجب أن يحتوي على عقائد واضحة ومبرهنة ولا يحتاج لوسيط ولا يؤخذ الدين بالوجدانيات بل بالدليل الصحيح المبرهن.
- يجب أن يغطي كل قضايا الحياة وكل زمان ومكان، وينبغي أن يصلح للدنيا وكذلك للآخرة، يبني الجسد ولا ينسى الروح.
- يجب أن يحمي حياة الناس ويحافظ على أعراضهم وأموالهم واحترام حقوقهم.

وبذلك من لم يتبع هذا المنهج الذي جاء بتوافق مع فطرته، عاش حالة اضطراب وعدم استقرار، والشعور بضيق الصدر والنفس، فضلاً عن عذاب الآخرة.

لماذا الإسلام؟

- دين الإسلام موافق لفطرة الإنسان.
- دين الإسلام عقيدته مبرهنة، واضحة وبسيطة، بعيدة كل البعد عن الاعتقاد الأعمى، فالإسلام لا يكتفي بمخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليهما أساسًا للاعتقاد، بل يتبع مبادئه بالحجة المقنعة الدامغة، والبرهان الواضح، والتعليل الصحيح الذي يملك زمام العقول ويأخذ الطريق الى القلوب.
- دين الإسلام تعاليمه مرنه وشاملة لكل نواحي الحياة، لأنه متعلق بالفطرة البشرية التي خلق الله الإنسان عليها وقد جاء هذا الدين مطابقًا لسُنن هذه الفطرة. وهي:

الإيمان بإله واحد أحد، الذي ليس له شريك ولا ولد ولا يتجسد في صورة إنسان أو حيوان ولا صنم أو حجر، وعبادة هذا الخالق وحده بدون وسيط.

- دين الإسلام جاء بالأجوبة على الأسئلة الفطرية للبشر عن غاية الوجود ومصدر الوجود والمصير بعد الموت، ويقيم الأدلة في مسألة الألوهية من الكون، ومن النفس، ومن التاريخ على وجود ووحدانية الله وكماله، وفي مسألة البعث يدلل على إمكانيه خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها، ويدلل على حكمته بالعدالة في إثابة المحسن وعقوبة المسيء[2].

---

[1] https://solution-for-peace.com/2016/09/05/answer-to-who-created-god/#.Wz0OfZ-EZ-E. مقتبس بتصرف.

[2] https://youtu.be/PegPuSh4fic فاضل سليمان.

وتجتمع الإنسانية في أصل واحد، وتمضي نحو غاية واحدة، والتنوع والاختلاف ضرورة كونية تُلزم الإنسان ضرورة استمرار منطق الحوار.

" وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ "[٣].

والغاية من هذا الاختلاف هو: التعارف والتكامل بين جميع الأجناس والأعراق، وطريق الحوار هو الطريق الذي سلكه رسل الله من آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ... " [٤].

والجميع من أصل واحد، وجاءوا إلى الأرض لهدف واحد وهو معرفة الخالق وتوحيده بعبادته وحده.

ولتقرير رسالة التوحيد، بعث الله جميع الرسل إلى كل الأمم مرشدين أقوامهم إلى حقائق الكون؛ ولعبادة الخالق وحده كما عبد الرسول ربه، وليس بعبادة الرسول أو أي شيء آخر، لينطلقوا منها، ويحققوا غاية خلقهم، وإن لكل أمة رسول، وكل الرسالات السماوية عبر الزمان والمكان جاءت لخدمة هذه الغاية.

" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ..."[٥].

وكل رسالة سماوية تؤكد ما جاءت به سابقتها، حيث تدرَّج الرسل عليهم الصلاة والسلام في إبلاغ مراد الله، وتوحدوا في أصل التوحيد، ثم تنوعوا في الشرائع حسب حاجة الإنسان.

فالقرآن الكريم وهو كتاب الله وكلامه الذي لم يتغير ولم يتبدل رغم مئات السنين، ورغم اختلاف البلاد والحضارات، لازال كما أُنزل، ولازال يقود المسلمين في حياتهم الدنيا وفي طريقهم إلى الآخرة، يُصدق أصول الديانات التي سبقته وامتدت إلى زمانه، والتي جاءت بها الرسل مناسبة لزمانهم. ومع تغير الحاجة يأتي طور من الديانة جديد يتفق في أصله ويختلف في الشريعة تدرجًا مع الحاجات، مع تصديق اللاحق للسابق في أصل التوحيد، وباتخاذ سبيل الحوار يكون المؤمن قد استوعب حقيقة وحدة المصدر لرسالة الخالق؛ لينطلق من نقطة الإيمان الخاص به، إلى بدء رحلة الاستخلاف في الأرض.

وهذا التنوع لا يُشكل عائقًا أمام التواصل الإنساني، فالحوار له أصول ومنطلقات وجودية وإيمانية، تُحتِّم على الإنسان احترامها والانطلاق منها للتواصل مع الآخر؛ لأن الغاية من هذا الحوار هو التخلص من التعصب والهوى الذي هو عبارة عن إسقاطات للانتماءات العصبية العمياء؛ التي تحول بين الإنسان وحقيقة التوحيد النقي، وتؤدي إلى التصادم والدمار، كما هو واقعنا الآن.

وينطلق حوار رسل الله على أساس جوهري وهو الإيمان بكل الرسالات السماوية، والاعتراف بها؛ فلا يمكن إنكار حقيقة التنوع، كما لا يمكن إنكار حقيقة تواتر الرسل.

وباعتراف القرآن الكريم بالحقائق الكونية، وبعرضه ملخص الرسالات السماوية التي تجتمع في أصل التوحيد، وبدعوة أتباعه إلى الاعتراف بهذا الأصل، كان هذا الكتاب الخاتم تتويجًا لهذا التواصل البشري. والإنسان المؤمن يُسلِّم بأن الله هو مصدر كل شيء، وهذا هو الدافع الأكبر لرحلته في الحياة وفق منهج الله وشريعته.

والحياة الدنيا بداية لرحلة أبدية يستأنفها الإنسان بعد الموت بالبعث والحساب ومن ثم الجزاء، ويعتبر الإسلام أن وجودنا في هذه الدنيا هو لهدف وغاية سامية وهي معرفة الله عز وجل، وعبادته بالتوجه إليه مباشرة.

---

[٣] (هود:١١٨).

[٤] (الحجرات:١٣).

[٥](النحل:٣٦).

ورغم قصر الحياة الدنيا، فهي بمثابة دار ابتلاء وامتحان للبشر، ليتمايزوا على درجات ومراتب عند اقبالهم على الحياة الآخرة.
والذي يقع من ابتلاءات هو إرادة الله، والذي أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، حيث أنه لا يوجد شر مطلق بالوجود[٦].

وبتوفير الإسلام للترابط والانسجام بين العقل والدين، العقل والنقل، والعقل والقلب، فإنه لا تنوير ولا نهضة ولا تقدم ولا جمال ولا علم حقيقي إلا بالإسلام. وقد نجح الإسلام كمنهج، بينما فشلت الرأسمالية والشيوعية، وإنه ما من مستشرق درس الإسلام وحضارته – مهما كان موقفة منه – إلا واعترف بأن الإسلام دين ودولة.

ولكن ابتعاد المسلمين عن دينهم الصحيح وعجزهم عن نشر مبادئ الإسلام بصورة صحيحة، ساهم في العقود الأخيرة بازدياد نسبة الملحدين والمشككين والحائرين في العالم.

ولقد تقدم الناس في الغرب بالعلوم والمعارف عندما تركوا المعتقدات الخاطئة، والتي كانت تقوم على أساس الدين المشوه لديهم، وأخذوا بأسلوب العلم والمنطق، لكن مع توجههم للعلم بطريقة سليمة، كانوا قد خسروا القيم والأخلاق والغاية من وجودهم، بتغاضيهم عن اعتناق الدين الصحيح.

وسوف نبحث هذه النقاط بالتفصيل من خلال سرد حوارات واقعية مع شخصيات من جنسيات وثقافات مختلفة في هذه الرحلة.

[٦] من أقوال الشيخ محمد راتب النابلسي.

بداية
الرحلة

أفي الله شك؟

لا ملجأ من الله إلا إليه!

لطالما في صغري أحببت عبارة " لا ملجأ من الله إلا إليه" وكنت أرددها دائمًا لأستشعر قربي من الله، لكنني لم أفهمها جيدًا حتى حصل معي موقف طريف منذ أكثر من عشرين عامًا، عندما كان ابني طفلاً صغيرًا لا يتجاوز عمره الثلاثة أعوام، يصر على لمس فرن الطهي وهو ساخن، حتى اضطررت أن أضربه على يده لأمنعه من العودة إلى هذا التصرف؛ فبكى وأخذ يجول من مكان إلى آخر في المنزل لا يدري أين يذهب، تزامن هذا مع نداء أبيه له ليرضيه، لكن المفاجئة أنه عاد لي مباشرة بدلاً من الذهاب لأبيه وبكى في حجري مما أضحك والده، وقال: سبحان الله.

أما أنا فتذكرت قوله تعالى **"لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ"**[٧]، وقلت في نفسي الآن فهمتها، فالله سبحانه وتعالى يُذكرنا عندما نتعرض لبعض المصاعب للرجوع إليه كلما ابتعدنا عنه، وشعرت حينها بفرحة عارمة.

حكمة الله:

أن الخالق وضع قوانين الطبيعة والسنن التي تحكمها، وهي تصون نفسها بنفسها عند ظهور فساد أو خلل بيئي وتحافظ على وجود هذا التوازن بهدف الإصلاح في الأرض واستمرار الحياة على نحو أفضل، وأن ما ينفع الناس والحياة هو الذي يمكث ويبقى في الأرض، وعندما يقع في الأرض من كوارث يتضرر منها البشر كالأمراض، البراكين، الزلازل والفيضانات، تتجلى أسماء الله وصفاته كالقوي، الشافي والحفيظ مثلاً، في شفائه للمريض وحفظه للناجي، أو تجلي اسمه العدل في عقاب الظالم لغيره والعاصي، ويتجلى اسمه الحكيم في ابتلاء وامتحان غير العاصي، والذي يُجازى عليه بالإحسان إن صبر وبالعذاب إن ضجر، وبذلك يتعرف الإنسان على عظمة ربه من خلال هذه الابتلاءات تمامًا كما يتعرف على جماله من خلال العطايا، فإن لم يعرف الإنسان إلا صفات الجمال الإلهي فكأنه لم يعرف الله عز وجل.

سألني ملحد يومًا عن هؤلاء الذين وقع عليهم الابتلاء بالكوارث، الأمراض أو ما شابه ذلك فقلت له ببساطة:

إن الحياة الدنيا ليست إلا لحظة إذا قارنتها بالحياة الأخرى الأبدية، ومن ثم يهون كل ما عاناه المؤمن في الدنيا بغمسة واحدة في نعيم الجنة كما بشر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن وجود المصائب والشر والألم كانت السبب وراء إلحاد كثير من الفلاسفة الماديين المعاصرين، ومنهم الفيلسوف "أنتوني فلو"، وكان قد اعترف بوجود الإله قبل موته وكتب كتابًا أسماه "يوجد إله "، على الرغم من أنه كان زعيمًا للإلحاد خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وعندما أقر بوجود إله:

"إنَّ وجود الشر والألم في حياة البشر لا ينفي وجود الإله، لكنه يدفعنا لإعادة النظر في الصفات الإلهية"، ويعتبر "أنتوني فلو" أن لهذه الكوارث الكثير من الإيجابيات، فهي تستفز قدرات الإنسان المادية، فيبتكر ما يحقق له الأمان، كما تستفز أفضل سماته النفسية وتدفعه

---

[٧] (التوبة:١١٨).

لمساعدة الناس، وقد كان لوجود الشر والألم الفضل في بناء الحضارات الإنسانية عبر التاريخ، وقال: إنه مهما تعددت أطروحات لتفسير هذه المعضلة فسيظل التفسير الديني هو الأكثر قبولاً والأكثر انسجامًا مع طبيعة الحياة[٨].

إن المتأمل السطحي يرى ما يُسبِّبه مرض الكورونا اليوم من معاناة وحالات وفاة وما ترتب عليها من توقف لكافة أنشطة الحياة وانعزال الناس في بيوتهم اتقاءً لهذا المرض، يراه شرًا لا محالة، غير أن الشر نسبي وليس مطلق، فلو أننا تفحصنا الوضع من زاوية أخرى لوجدنا أن نسبة التلوث في هذه الفترة نزلت لأقل مستوياتها في كل أنحاء العالم نظرًا لتوقف حركة الطيران وحركة السيارات والذي بدوره أدى إلى تقليل الانبعاثات الصادرة عن هذه المحركات الملوثة للبيئة. وكأن الكرة الأرضية والبيئة دخلت في مرحلة نقاهة خلال فترة انتشار مرض الكورونا، ولا بد للإنسان أن يتأمل ويعيد النظر في أموره الحياتية.

تسبب هذا الوضع في لم شمل الأُسر داخل البيوت، كما ذكرهم بنعم الله عليهم، وبتقصيرهم في الحمد والشكر لرب العالمين، فالإنسان لا يشعر بالنعمة إلا حينما يفقدها.

كما بدأت الناس تعي أهمية النظافة أكثر من أي وقت مضى، وتعي ضرورة اتباع أساليب وقاية جادة واستخدام معقمات بصورة مفرطة، وغسل اليدين بالماء والصابون في كل وقت وحين، من كان يتوقع كل ذلك؟

مما لا شك فيه أن هذا الحدث الجلل أعاد ترتيب أولويات الحياة، كما أظهر مدى ضعف الإنسان وهشاشته، وجبروته الكاذب، ومحاولاته البائسة ضد هذا الميكروب، هذا الجبروت الذي هزمه فيروس لا يرى بالعين المجردة. هذا الحدث كسر كبرياء الكثير ممن ظنوا أن البشر وصلوا لأعلى درجات العلم المادي، وصاروا أشبه بالآلهة، وظنوا أنهم بذلك استغنوا عن الدين والخالق.

إن مرض الكورونا يفتك بالصغير والكبير، الضعيف والقوي، الفقير والغني، الإنسان البسيط والملك ولا يفرق بين أحد. وقد سمعنا عن كثير من الأثرياء الذين فروا إلى الملاجئ أو القصور المنعزلة في محاولة للهروب من بطش هذا المرض. هؤلاء أنفسهم كانوا لا يكترثون بمعظم الأوبئة والأمراض لظنهم أنه يمكنهم القضاء عليها من خلال الإنفاق على العلاج. المشكلة الآن لدى الأثرياء أن الأموال متوفرة في حين أن العلاج غير متوفر. وكأن الفيروس جاء ليقيم المساواة بين البشر، لا يُفرق بين قوي وضعيف ولا يفرق بين غني وفقير.

إنه لمن العجيب أن نرى أن البشرية بأسرها توحدت لأول مرة في التاريخ لمواجهة هذا الميكروب.

إن لم يكن هناك إله فمن أين لنا هذا الخير؟

إن المتسائل من الملحدين عن سبب وجود الشر في هذه الحياة الدنيا كذريعة لنفي وجود الإله، يكشف لنا عن قصر نظره وهشاشة فكره عن الحكمة وراء ذلك، وعن غياب وعيه عن بواطن الأمور، وقد اعترف الملحد بسؤاله ضمنًا أن الشر استثناء.

لذلك قبل السؤال عن حكمة ظهور الشر، كان من الأحرى طرح السؤال الأكثر واقعية وهو "كيف وُجد الخير بدايةً؟"

لا شك أن السؤال الأكثر أهمية لا بد أن يبدأ من سبب وجود الخير. فلا بد أن نتفق على نقطة البداية أو المبدأ الأصيل أو السائد. ومن ثم يمكن أن نجد التعليلات للاستثناءات.

يضع العلماء قوانين ثابته ومحددة لعلوم الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا بدايةً، ومن ثم يتم عمل دراسة للاستثناءات والحالات الشاذة عن هذه القوانين. وبالمثل لا يمكن للملحدين التغلب على فرضية ظهور الشر إلا حينما يُقروا بدايةً بوجود عالم مليء بالظواهر الجميلة، المنظمة والجيدة التي لا حصر لها.

---

[٨] مقتبس من كتاب خرافة الإلحاد. د. عمرو شريف. طبعة ٢٠١٤م.

وبمقارنة فترات الصحة والفترات التي يظهر فيها المرض على مدى متوسط العمر، أو مقارنة عقود من الازدهار والرخاء وما يقابلها من فترات الخراب والدمار، وكذلك قرون من هدوء الطبيعة والسكينة وما يقابلها من ثوران البراكين والزلازل. من أين يأتي الخير السائد بدايةً؟ إن عالمًا قائمًا على الفوضى والمصادفة لا يمكن أن ينتج عالمًا جيدًا.

ومن المفارقات أن التجارب العلمية تؤكد ذلك. ينص القانون الثاني للديناميكا الحرارية على أن الإنتروبيا الكلية (درجة الاضطراب أو العشوائية) في نظام معزول بدون أي تأثير خارجي ستزداد دائمًا، وأن هذه العملية لا رجعة فيها.

بمعنى آخر، الأشياء المنظمة ستنهار وتتلاشى دائمًا ما لم يجمعها شيء من الخارج. على هذا النحو، فإن القوى الديناميكية الحرارية العمياء لم تكن لتنتج أبدًا أي شيء جيد من تلقاء نفسها، أو أن تكون جيدة على نطاق واسع كما هي، دون أن ينظم الخالق هذه الظواهر العشوائية التي تظهر في الأشياء الرائعة مثل الجمال والحكمة والفرح والحب، وهذا كله فقط بعد إثبات أن القاعدة هي الخير والشر هو الاستثناء.

يقول ابن القيم:

"إن الشرَّ والألم: إما إحْسانٌ ورَحمة، وإما عَدلٌ وحِكمة، وإما إصلاحٌ وتهيئة لخَير يحَدثُ بعدَها، وإما دفعٌ لشَرّ هو أَصعب مِنهُ".

في حوار لي مع ملحد روسي طرح كثير من الأسئلة، من ضمنها المتاعب والالآم التي يعاني منها البشر.

قلت له ما قرأته يومًا[٩]:

إن نظرتنا إلى الشر والألم تتوقف على نظرتنا إلى حقيقة الحياة الدنيا والغرض من الوجود الإنساني فيها والتي تختلف لدى المتدينين عنها لدى الماديين. قلت له: إن المنظور المادي يعتبر أن الحياة الدنيا ليس وراءها غرض تحكمها غاية، وأن الإنسان اذا مات صار عدمًا، إذ ليس هناك بعث تتبعه حياة أخرى، فعلى الإنسان أن يحصل على أقصى ما يستطيع من متع، وبالتالي يصبح ما قد يشعر به من ألم وكل ما يحجبه عن هذه المتع شر لا جدال فيه، وانطلاقًا من هذا المنظور يصبح ما يتعرض له الإنسان من شرور وآلام أمورًا عشوائية تمر به خلال حياته في دنيا نشأت بأسلوب عشوائي أيضا، ومن ثم يصبح القول بوجود إله كله رحمة ومحبة ينظم هذه الحياة هراء وعبث بالنسبة لهم، وهذا يعني أن كل ما يحجبهم عن هذه المتعة هو ألم بالنسبة لهم.

معرفة الله:

" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ "[١٠] .

نفهم هنا من الآية الكريمة أن الله تعالى مَيَّز الجن والأنس منفردين دون سائر المخلوقات بحرية الاختيار. وأن تميز الإنسان هو بتوجهه لرب العالمين مباشرة وإخلاص العبودية له بمحض إرادته ويكون بذلك حقق حكمة الخالق بجعل الإنسان على رأس المخلوقات.

تتحقق معرفة رب العالمين من خلال إدراك ما لله من أسماء حسنى وصفات عليا والتي تنقسم إلى مجموعتين أساسيتين وهي:

أسماء جمال: وهي كل صفة تختص بالرحمة، العفو واللطف، منها الرحمن، الرحيم، الرزاق، الوهاب، البر، الرؤوف...إلخ.

أسماء جلال: وهي كل صفة تختص بالقوة والمقدرة والعظمة والهيبة، ومنها العزيز، الجبار، القهار، القابض، الخافض...إلخ.

ويترتب على معرفتنا لصفات الله عز وجل القيام بعبادته على النحو الذي يليق بجلاله وتمجيده وتنزيهه عما لا يليق به، طمعًا في رحمته واتقاءً لغضبه وعقوبته. وتتمثل عبادته بالامتثال بالأوامر واجتناب النواهي والقيام بالإصلاح وتعمير الأرض. وبناءً على هذا يصبح

---

[٩] مقتبس من كتاب خرافة الإلحاد. د. عمرو شريف. طبعة ٢٠١٤م.

[١٠] (الذاريات: ٥٦).

مفهوم الحياة الدنيا عبارة عن امتحان واختبار للبشـــر، لكي يتمايزوا ويرفع الله درجات المتقين ويســـتحقوا بذلك خلافة الأرض ووراثة الجنة في الآخرة، في حين يلحق بالمفسدين الخزي في الدنيا ويكون مآلهم عذاب النار.

"إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" [١١].

المفهوم الحقيقي للإله:

لتقديم بعض التصورات عن مدى تدهور العلاقة بين الناس ورب العالمين، أعرض هنا قصة حدثت معي لسيدة ملحدة تقول إنها بعد أن كانت مؤمنة بالله ألحدت. فسألتها عن السبب فقالت: إن ابنتها مرضت بالسرطان وأنها دعت الله أن يُنجي ابنتها، وكانت تدعو الله وتقول: إنه إن نجَّى ابنتها فسوف تؤمن به وقد ماتت البنت وكفرت الأم بالله.

هذه القصة من القصص التي أثرت فيَّ كثيرًا، وسبحان الله ما جاء في خاطري في هذه اللحظة أنهم بالفعل ما قدروا الله حق قدره، فهم يتعاملون مع الله بمبدأ إذا أعطيتني أؤمن بك وإذا لم تعطني لن أؤمن بك. فهذه المرأة لم تعرف الله حق المعرفة ولم تعرف القيمة الحقيقية لهذه الحياة التي نعيشها أصلاً، لأنها لو كانت تعرف قيمة هذه الحياة لما تصرفت هذا التصرف ولما تعاملت مع ربها بهذه الطريقة.

مثلاً في علم الرياضيات يقولون: أن أي رقم مقارنة باللانهاية هو صفر. فحياتنا عبارة عن مجموعة أرقام ونخسر كل يوم من حياتنا رقم من هذه الأرقام، فحتى لو عشنا مائة أو مائتي سنة فمقارنة باللانهاية هو صفر، وان الموت آتٍ لا محالة في أي عمر، بمرض أو بدون مرض وساعة الموت محددة. فنحن نعيش في الواقع في الصفر. فأنا قلت للسيدة إنكِ لم تعرفِ الله حق المعرفة، لأنكِ لو عرفتيه حقًا لما رفضتِ الإيمان به والتسليم له، فجهلك بصفات الله تجعلكِ تعامليه وكأنه إنسان أمامكِ تقايضيه بالمثل – سبحان الله – وهل الله تعالى زميل لكِ في العمل؟! من هو الله بالنسبة لكِ؟! هل إيمانك كان مشروع بينك وبين رب العالمين؟! هل افترضتِ أنها إساءة وتردين الإساءة بالإساءة؟! هذا شيء عجيب! هل أنتِ مخلدة في هذه الدنيا؟!

فلو كنت عرفت الله حق معرفته لما كفرتِ به، وهو أرحم بك من أمكِ وأبيكِ، وأنه تعالى لديه جنة عرضها السماوات والأرض. هل تخسري ذلك بهذه الدنيا؟! هل تفضلي الصفر على اللانهاية؟!

قلت لها: إنه ليس من المنطق أن نحكم على مسرحية دون أن نتابعها للنهاية، ولا أن نرفض كتابًا لأن الصفحة الأولى لم تعجبنا، هذا الحكم يُعتبر ناقصًا.

لقد وصلتني أسئلة كثيرة ومتكررة عن كيفية وقاية أبنائنا من الإلحاد. فأنا أقول وأكرر أن الحل هو في معرفة المفهوم الحقيقي للإله، لأنه من عرف الله هان عليه كل شيء، لأننا طبعًا لم ندرك حكمة آباءنا وأمهاتنا عندما كنا صغارًا في كثير من التصرفات، وكنا كثيرًا ما نتساءل لماذا يتصرف الوالدين بهذه الطريقة، هل يحبني أبي فعلاً؟ لماذا لم يوافق على ذهابي لهذه الرحلة؟ هل تحبني أمي؟ فإن كانت تحبني فلماذا تضغط علي في الدراسة والحصول على الدرجات العالية. ولماذا تجبرني على أداء الواجبات اليومية؟ لماذا ترسلني أمي للنوم كل يوم مبكرًا؟ عندما كبرنا وأصبح لدينا أولاد، فهمنا الحكمة من تصرفات آباءنا. وفهمنا أنه لا يوجد على الأرض من يحب لنا الخير أكثر منهم.

فالمعرفة العميقة للإله مهمه جدًا لأننا إذا عرفنا الله حق المعرفة سوف نجد التفسير لكثير من تصاريف الأمور وتتسع آفاق الإدراك والمعرفة وحينها يبلغ الإنسان رشده ويهتدى لحل كثير من المشاكل.

---

[١١] (الكهف: ٧).

"مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [١٢].

وكثيرًا ما نسمع عن زيادة نسبة الإلحاد بسبب الحروب التي يتسبب فيها الإنسان والكوارث الطبيعية. لا شك أن تقدير الله لهذه الأمور أن تقع ما هو إلا امتحان واختبار لإيمانهم، حيث إن كثيرًا من الناس يعبد الله على حرف.

" وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ"[١٣] .

وهل أعبد الله أو أذكره فقط في الرخاء وعندما أتعرض للشدة أكفر به؟

رحمة الخالق:

في أحد الأيام تحاورت مع ملحد أمريكي، وقلت له: إن الخالق الذي خلق عباده هو أرحم بهم من أمهم، وأن المؤمن عندما يضع في اعتباره أن من سيحاسبه يوم القيامة هو ربه الذي خلقه، هو أرحم به من أمه التي ولدته، فتخيل مدى فرحته ومدى اطمئنانه عندما يقابل ربه، وهذا كافي لأن نشعر بالسعادة في هذه الدنيا وسوف تهون علينا كل الصعاب.

فأعطيته مثال بسيط عن أهمية معرفة الله، قلت له:

إنك لو أخبروك أن فاتن صبري التي تتكلم معك هي من هواة تربية الأسود مثلاً، وأنها لديها شخصية قوية ولا ترحم، وممكن أن تؤذيك، فطبعًا سوف تصدق، لأنك لا تعرفني واحتمال كبير أن تأتي هنا وتأخذ الاحتياطات اللازمة وترتعد، لكن من يعرفني جيدًا فسوف يتفاجأ ويضحك من هذه المعلومة لأنه يعلم جيدًا أن فاتن تخاف من القطط أصلاً، وضحك كثيرًا.

في حوار لي مع قسيس من قساوسة الفاتيكان وكنا قد دخلنا في نقاش عن عقيدة التوحيد. وقلت له: إن المسلم يؤمن بإله واحد أحد، ليس له شريك ولا ولد، وأنه تعالى أرسل الأنبياء والرسل كعيسى وموسى ومحمد لنشر رسالة التوحيد في العالم، خلق عيسى من غير أب وخلق آدم من غير أب ولا أم، فهو يخلق ولا يلد، وأمرنا بعبادته وحده كما عبدوه هم، فنحن نعبد الله كما عبد عيسى الله ولا نعبد عيسى نفسه، ونحن نعبد الله كما عبد محمد الله ولا نعبد محمد نفسه ونصلي لله. وكذلك فقد كانت السيدة مريم تصلي لله وحده، وعليه فيجب ألا نصلي لمريم نفسها ولا نطلب منها، بل نطلب من الله كما كانت السيدة مريم تطلب من الله مباشرة.

حينها قاطعني هذا القسيس وقال نحن لا نعتبر مريم هي الله ولا نعبدها، ولكننا نستخدمها كوسيلة للوصول إلى الله. وبرر ذلك بمثال الأسرة، عندما يطلب الأطفال مثلا زيادة في المصروف أو ما شابه يلجؤون إلى الأم لكي تكون وسيطًا بينهم وبين أبيهم، لأن قلب الأم طيب ورقيق وتحبهم أكثر، وممكن أن توصل طلبهم بطريقة أفضل للوالد. طبعا جوابي كان قاطعًا وصارمًا في هذه النقطة وقد تفاجأ به، حيث قلت له نعم كلامك صحيح، ولكن هذا في حالة أن الأطفال لا يعرفون أبيهم حق المعرفة، حيث أنه باعتقادهم أن الأم هي أرحم بهم من أبيهم، لكنهم لو عرفوا أن هذا الأب هو أرحم من الأم لذهبوا إليه مباشرة، وهذا جهل من الأولاد بطبيعة الأب.

واسترسلت قائلة له: أن البشر لو عرفوا الله حق المعرفة وعرفوا أن الله أرحم بهم من أمهاتهم وآبائهم لذهبوا إليه مباشرة.

فقاطعني ثانية وقال: لا أنتِ لم تفهميني، نحن نستخدم السيدة مريم كوسيلة للوصول لرب العالمين كالذي يريد أن يضيِّف زواره مثلاً ويضع المشروبات على صينية، فالسيدة مريم هي الصينية التي نرسل بها طلباتنا لرب العالمين.

فقلت له سبحان الله! ومن كانت بمثابة الصينية التي استخدمتها مريم للوصول الى رب العالمين؟! هل مريم عبدت الله مباشرة أم عن طريق وسيط؟ هل وضعت دعائها على صينية؟ أخبرني! هل عبدت عيسى عليه السلام؟ أم عبد عيسى أمه؟ أم اتخذت قسيسًا أم وسيطًا أم قديسًا؟

---

[١٢] (التغابن: ١١).

[١٣] (الحج: ١١).

الشاهد هنا أن هذه القصة كانت بالنسبة لي نقطة انطلاق لنشر المفهوم الحقيقي للإله وكانت سبب لكتابة كتابي: المفهوم الحقيقي للإله، الذي أردت به أن أوضح للعالم أن المفهوم الحقيقي للإله هي النقطة المفقودة الآن، لان أتباع الديانة الهندوسية مثلاً يؤمنون بإله واحد أحد ولكن هناك من أقنعهم أن الله يتمثل في حجر أو في صنم وقد أعجبهم ذلك لأنهم لم يعرفوا من هو الله، وأن الله لا يأتِ إلى الأرض، وأن ذاته العليا لا بد أن تكون خارج السماوات والأرض، وإرادته وقدرته نافذة لجميع مخلوقاته.

إن عدم معرفة رب العالمين يؤدي إلى وضع أفكار أو تصورات خاطئة عن الإله كأن يتجسد في ثلاثة أقانيم أو يتمثل في جسد بشر. إن تحريف المفهوم الحقيقي للإله في العهد القديم لم يشوش أذهان الناس فقط ويضعهم في حيرة فحسب، بل تسبب في توجههم إلى الإلحاد وصرفهم عن الدين بالكلية. فالتوراة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام ذكرت أن الله تعالى بصفاته العليا، هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا يموت وهو الخالق الأبدي الرحيم المنزه عن كل عيب أو نقص، وأنه المعبود وحده، لكن نجد في العهد القديم (التوراة المحرّفة)، أنهم ينسبون إليه صفات لا تليق به (كأن ينسى، لا يعرف، يخاف، يرتاح) سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرا.

وسبحان الله في صغري كنت دائمًا أتساءل: لماذا ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه خلق السماوات بدون أن يتعب وكنت أتعجب جدًا من الداعي لذكر هذه النقطة، حيث أنه معروف أن الله تعالى لا يتعب، حتى التحقت بمجال الدعوة، عندما عرفت أن النصراني يعتقد أن الله عندما خلق السماوات والأرض ارتاح. وهم دائمًا يسألونني لماذا لا يعتبر المسلمون يوم الأحد هو يوم مقدس وأقول ببساطة لأن الله لا يتعب لكي يرتاح. المفاجأة أنهم يضحكوا بشدة من جوابي ويقولون فعلاً نعم كلامك صحيح.

التوحيد هو وسيلة الخلاص:

إنه لمن الخطأ أن نُعرِّف الإسلام على أنه الإيمان بإله واحد ونقف إلى هنا، فالإسلام هو: **الإيمان بإله واحد أحد وهو الخالق والذي ليس كمثله شيء، وعبادته وحده مباشرةً بدون قسيس ولا قديس ولا صنم أو حجر ولا أي وسيط آخر.**

فالإسلام ليس فقط توحيد الربوبية بل وتوحيد رب العالمين في العبادة (توحيد الألوهية بمعنى عبادته وحده بدون وسيط).

إن الإيمان بإله واحد (توحيد الربوبية) موجود في ديانات كثيرة وكانت موجودة في عقيدة كفار قريش أيضًا؛ فعندما سُئلوا عن سبب عبادتهم للأصنام قالوا: لتقربنا من الله زلفى، فهم لا ينكرون وجود الله.

وبإمعان النظر في معتقدات الشعوب نكتشف أن غالبية الأمم التي لديها موروث ديني ولديها رموز دينية مختلفة لا تزال تؤمن بوجود خالق للكون وتلجأ اليه عند الشدائد، مما يؤكد ان هذه الديانات والمعتقدات لها أصول تاريخية نابعة من ديانة أصلية واحدة صحيحة، وأن ما لدى الشعوب الحالية من تراث ديني يحتوي بداخله على عقيدة التوحيد والإيمان بإله واحد والتفرد بعبادته، وأن هناك دلائل وشواهد في هذه الديانات والكتب تشير إلى أن جذورها وأصولها ترجع إلى عقيدة الإسلام والتوحيد.

إن الاختلافات بين الديانات تتمثل في الوسيلة المتبعة في التواصل مع الخالق مباشرة أو من خلال اتخاذ وسطاء (قديسين، كهنة، أصنام أو أنبياء) فلو أن جميع الديانات أقروا بترك اللجوء للوسطاء وتوجوا مباشرة للخالق لتوحدت البشرية ولاستقامة قلوبهم واهتدت للحق. فكما أن الجميع يتفق في وحدانية التوجه نحو الخالق مباشرة دون شريك أو وسيط عند وقوع المصائب أو الشدائد فكان لا بد من دعوة الجميع في السراء والضراء لعبادة رب العالمين مباشرةً. كما ورد القرآن الكريم:

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[١٤].

[١٤] (آل عمران: ٦٤).

من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله

لا عيش إلا عيش الآخرة:

لطالما جاهدت نفسي لأستوعب قيمة هذه العبارة من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فأردت أن أخرج من التناقض الذي يعيش في داخلي من حبي لتحقيق السعادة لي ولأحبابي في هذه الدنيا، وبنفس الوقت أستوعب عظمة السعادة الأخروية، حتى مرض أبي وكنت أعيش وأولادي مع زوجي المبتعث لمشروع للأمم المتحدة في أفريقيا، حزنت لبعدي عن أبي وتمنيت له الشفاء، وكنت أبكي بحرقة وأقول: يا رب اشفي أبي وأسعده، أريد له السعادة يا رب في هذه الدنيا.

ومات أبي، وبكيت حرقة عليه، حتى رأيت في منامي ما يجعلني أبكي فرحًا. رأيته يستلقي على سرير ويقول لي اقتربي، فاقتربت فقال لي: إننا أحياء هنا ولسنا بأموات، فأخذ يشير بيده إلى من حوله ويقول: أنظري كيف منهم من يقرأ القرآن، فقلت له بلهجتي العامية: أنت مبسوط؟ فقال أنا سعيـــد. قد قالها بمد طويل ما زال صداها في أذني حتى هذه اللحظة، فاستيقظت فرحة قائلة: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، وفرحت فرحةً كبيرة.

وهم الرجل المعاصر:

في قصـــة جميلة لعالِم فيزياء أمريكي أتى لزيارة مركزنا وقد أمضـــى معه الزملاء أكثر من ســـاعتين في مكتبة المركز في حوار قوي، وكان النقاش على أســـاس علمي لإثبات وجود الله، والذي كان ينكره هذا العالِم. كنت أســـتمع بصـــمت ولم أتدخل في الحوار حتى شـــعر الإخوة بالتعب، فقد كان مجادلاً قويًا، وانتهى الحوار بدون الوصول لأي نتيجة مع الزائر، وغادروا جميعهم المكتبة.

وتوجه الزائر إليَّ بالسؤال، إن كنت على استعداد لإقناعه بطريقة علمية بوجود الله، وسألني إن كان لدي معرفة بالعلم المادي، فأجبته مبتسمة: أنا عندي معرفة بما هو أفضل من ذلك، عندي معرفة بالله.

قال: لا أرجوكِ، أنا مُصر أنه لا يوجد إله، لكن يوجد عِلم.

قلت له: إنك لا يمكن أن تدحض وجود الكاتب لمعرفتك بالكتاب، إنهم ليسوا بدائل. العِلم اكتشف قوانين الكون لكن لم يضعها، الخالق هو الذي وضعها.

قلت له: على أية حال، إنسَ العِلم هذه الحظة وأخبرني، أنت تريد أن تقنعني بعدم وجود الله، فهل أنت سعيد بهذه القناعة؟ هل أنت راضٍ عن نفسك؟

فاجأني بقوله: أبدًا، أنا لم أشعر بالسعادة قط في حياتي، أنا تعيس، لا أدري ماذا أفعل، وبكى.

قلت له: افعل ما يحقق لك السعادة، وسألته: هل تعرف قانون الجذب الكوني؟ أنك تحصل على ما تتوقع.

سأل بدهشة: وهل تؤمنين بهذا القانون؟

قُلت له: أنا أعرفه ولكن لا أؤمن به، أنا أُؤمن بشيء أعظم منه، وهو حُسن الظن بالله.

أننا إذا آمنَّا أن الإله الخالق خلقنا ليرحمنا ولم يخلقنا ليعذبنا، وأنه أعد لنا جنة عرضها السماوات والأرض، فإننا نحصل على ما نتوقع إذا امتثلنا أمره. أما أنتم فتؤمنون أنكم لا شيء، وجئتم من لا شيء، وسوف تصيرون إلى لا شيء، فتصيرون إلى ما هو أسوأ.

هل تقبل رد ابنك عليك عندما تسأله ماذا يريد أن يصبح عندما يكبر، ويقول لك: لا شيء؟ إنك لن تقبل هذا الرد وسوف تعمل المستحيل لحث ابنك على العمل والدراسة والاجتهاد، ليكون شخصًا ذا قيمة في المستقبل.

قال: أنا أشعر أنني ضائع.

قلت له: سوف تبقى ضائع حتى تعود إلى الله، كالطفل الضائع عن أمه، لن يجد السكينة والسعادة حتى يجد أمه.

تأثر هذا العالِم الفيزيائي أكثر وقال: هل يستطيع أي شخص أن يعتنق الإسلام؟

قلت له: طبعا فهو دين الفطرة.

قال: هل عليَّ فقط أن أؤمن بوجود الله؟

قلت له: والإيمان برسله وأنبيائه، من آدم إلى محمد عليهم السلام، والإيمان باليوم الآخر.

قال: نعم، نعم.

واسترسلت قائلة: وأن تقبل عيسى عليه السلام على أنه نبيًا ورسولاً وليس إله أو ابن إله.

فقال بلهفة: لا لا المسيح ليس إله، هو نبي فقط.

الشاهد هنا، أن الإنسان يجب أن ينظر لذاته أولاً قبل أن يأخذه الغرور بعيدًا عن الحقيقة، فمهما تطورت العلوم والتكنولوجيا حوله، فالإنسان لا يستطيع أن يطور نفسه إلى خلق آخر قابل للخلود أو حتى أن يعيش مستقلا بذاته ودون الحاجة للطعام، الشراب، الهواء أو حتى الاستغناء عن الذهاب للخلاء لقضاء حاجته. ويحاول الإنسان جاهدًا أن يبحث في هذ الفضاء الفسيح عن حياة توفر له الديمومة والسعادة، وهو يعلم يقينًا أنه يعجز أن يصل للقمر بدون ألبسة واقية أو يكون في داخل مركبة تخرجه عن نطاق الأرض، وكل ذلك خشية أن يدركه الموت.

" قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا"[١٥].

في عصر من العلمانية، يصف تشارلز تايلور كيف اتخذ المجتمع الغربي من الكون منعطفًا محوره الإنسان، وبعبارة أخرى، فإن الشخص العلماني ينظر الآن إلى نفسه على أنه سيد الكون، وخلص إلى أن كل ما لا تستطيع عينه رؤيته غير موجود.

لا عجب أن المجتمعات الغربية على وجه الخصوص، على الرغم من الكماليات ووسائل الراحة العديدة التي تملكها، واجهت أكبر صعوبة في التعامل مع مشكلة الشر، فلذلك فإن مترفيها يلجؤون إلى الانتحار في كثير من الأحيان لمجرد تعرضهم لأي مشكلة.

قال فيكتور فرانكل:

" الناس اليوم لديهم كل وسائل العيش ، ولكن لا معنى للعيش، مما يجعل الحياة سجنًا حيث يتدافع فيه القاطنون بين جدران الحياة والموت، مذعورين من كل لدغة، في حياة بدون معنى، كل ألم يُعتبر حدث عشوائي لا يمكن تفسيره – ولا مفر منه – لا يمكن تصنيفه إلا من حيث الطاقة والمادة، ولا يمثل سوى الفوضى والاضطراب والمأساة."

إن الهدف الأساسي للحياة هو ليس التمتع بإحساس عابر بالسعادة؛ بل هو تحقيق سلام داخلي عميق من خلال معرفة الله وعبادته.

---

[١٥] (الإسراء: ٥٠- ٥١).

تحقيق الهدف الإلهي سيؤدي إلى النعيم الأبدي والسعادة الحقيقية. لذا، إذا كان هذا هو هدفنا الأساسي، فإن مواجهة أي مشاكل أو متاعب سوف تهون في سبيل بلوغ هذه الغاية.

تخيل شخصًا لم يواجه أبدًا أي معاناة أو ألم، هذا الشخص، بحكم حياته المترفة، نسي الله، وبالتالي فشل في القيام بما خُلق لأجله. قارن هذا الشخص بشخص قادته تجاربه من المشقة والألم إلى الله، وحقق هدفه في الحياة. من منظور التعاليم الإسلامية، الشخص الذي قادته معاناته إلى الله أفضل من الذي لم يتألم أبدًا، وأدت به ملذاته إلى الابتعاد عنه.

كل انسان يسعى في هذه الحياة لتحقيق هدف أو غاية، وغالبًا ما تكون الغاية مبنية على المعتقد الذي لديه. والشيء الذي نجده في الدين ولا نجده في العلم هو السبب أو المبرر الذي يسعى لأجله الإنسان.

فالدين يوضح ويبين السبب الذي خُلق من أجله الإنسان ووجدت الحياة. في حين أن العلم هو وسيلة وليس عنده تعريف للنية أو المقصد.

إن أكثر ما يخشاه الإنسان عند الإقبال على الدين هو الحرمان من متع الحياة. فالاعتقاد السائد عند الناس أن الدين يعني بالضرورة الانعزال، وأن كل شيء حرام الا ما أحله الدين.

وهذا الخطأ الذي وقع به الكثيرون وجعلهم ينفرون من الدين. وجاء الدين الإسلامي ليصحح المفهوم، وهو أن الأصل هو الحلال للإنسان وأن المحرمات والحدود هي معدودة ولا يختلف عليها أحد.

وأن الدين يدعو الفرد للاندماج مع كافة أفراد المجتمع كما يدعو للموازنة بين متطلبات الروح والجسد وحقوق الآخرين.

إن من أكبر التحديات التي تواجه المجتمعات البعيدة عن الدين هي كيفية التعامل مع الشر والتصرفات السيئة للإنسان. فلا تجد غير فرض أشد العقوبات لردع أصحاب النفوس المنحرفة.

قيمة الحياة الدنيا:

إن الامتحان جُعل لتمييز الطلاب على مراتب ودرجات عند اقبالهم على الحياة العملية الجديدة. ورغم قصر الامتحان إلا أنه يقرر مصير الطالب نحو الحياة الجديدة المقبل عليها. وكذلك الحياة الدنيا رغم قصرها هي بمثابة دار ابتلاء وامتحان للبشر، ليتمايزوا على درجات ومراتب عند اقبالهم على الحياة الآخرة. إن الإنسان يخرج من الدنيا بأعماله ولا يخرج منها بالماديات. فالإنسان يجب أن يفهم ويعي أنه يجب أن يعمل في الدنيا من أجل الحياة الآخرة وابتغاء الأجر في الآخرة.

لقد نسي الناس المعنى الحقيقي من هذه الحياة عندما تذمروا من فيروس الكورونا. لقد خلقنا الله للاختبار، وجزء من هذا الاختبار هو خوض تجربة المعاناة والشر. إن اجتياز الاختبار يُسهل وصولنا إلى النعيم الأبدي في الجنة.

"الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا..." [١٦].

يُسيء الملحد فهم الغرض من وجودنا على الأرض. إن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا ساحة للتجارب والمحن من أجل اختبار سلوك الإنسان وتنمية الفضيلة لديه. على سبيل المثال، كيف يمكننا تنمية الصبر إذا لم نواجه مواقف تختبر صبرنا؟

كيف يمكننا أن نُنمي الشجاعة، إذا لم تكن هناك مخاطر يجب مواجهتها؟ كيف يمكن أن نكون رحيمين إذا لم يكن هناك من يحتاج إليها؟

[١٦] (الملك :٢).

وأذكر أنني كنت أردد دائمًا "اللهم آتنا الحكمة التي من أُوتيها أُوتي خيرًا كثيرًا "، وعندما انتقلت للعيش في أفريقيا وواجهت صعوبات الحياة في عالم لم أكن أعرف عنه الكثير، وحرصي على تربية أبنائي على الصراط المستقيم، دون أن أجعلهم منطوين ومنعزلين، مما أكسبني كثيرًا من الحكمة، فأدركت ساعتها أن الله قد استجاب دعائي.

فلماذا الاختبار؟

منهم من يقول: بما أن الله رحيم ومصدر لكل خير، فلماذا لا يُدخلنا جميعًا الجنة؟

في الواقع أن الله يريد الإيمان لكل عباده.

"وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" [١٧].

ومع ذلك، إذا أرسل الله الجميع إلى الجنة، فسيحدث انتهاك صارخ للعدالة؛ وسوف يعامل الله نبيه موسى وفرعون بنفس الطريقة، ويدخل كل ظالم وضحاياه الجنة وكأن شيئًا لم يكن، هناك حاجة إلى آلية لضمان أن الأشخاص الذين يدخلون الجنة يدخلونها على أساس الجدارة.

وإن جمال التعاليم الإسلامية هو أن الله، الذي يعرفنا أكثر مما نعرف أنفسنا، قد أخبرنا أنه لدينا ما يلزم للتغلب على هذه الابتلاءات.

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..." [١٨].

ومع ذلك، إذا لم نتمكن من التغلب على هذه المصاعب بعد أن بذلنا قصارى جهدنا، فإن رحمة الله وعدله سيضمنان حصولنا على تعويض بطريقة ما، إما في هذه الحياة أو في الحياة الأبدية التي تنتظرنا.

معرفة الله في السراء والضراء:

في لقاء لي مع مسؤول كبير في مؤسسة دولية من الأرجنتين، وقد كان الحوار باللغة الإسبانية، أذكر أن الزملاء حذروني من التكلم معه عن الدين، لأن الدين برأيهم موضوع شائك وحساس، لكنني رفضت وقلت لهم: أنني لا أعرف أن أتكلم إلا عن الدين، وقد كنت أنا خيارهم الوحيد حيث أنني أتكلم الإسبانية.

بدأت حواري معه بذكر وحدانية وعظمة الخالق، وعمل مقارنة بسيطة بين الديانات وتوضيح أن التوحيد هي الحلقة المفقودة، والتي بها تتوحد الأمم. فاجأني بدموعه واحمرار شديد بوجهه، ورجفة في يديه قائلاً: أنتم المسلمون أفضل منا بكثير.

قلت له: لماذا؟

قال إنكم تلجؤون له في السراء والضراء ونحن لا نلجأ إليه إلا في الشدائد، نحن متعلقون بالدنيا وأنتم متعلقون بالآخرة.

قلت له: إذًا فالشدائد رحمة لكم وليس نقمة، فتأثر كثيرًا.

نحن البشر ننسى بسرعة لأسباب مختلفة. أحد هذه الأسباب هو الراحة والنعيم، لهذا يقطع الله أحيانًا حلاوة الحياة ببعض الابتلاءات عندما نتشبث بترفها، وننسى هدفنا الرئيس الذي جئنا إلى هذه الدنيا من أجله.

قلت له: هذه الدنيا اختبار، والإنسان يخرج من الدنيا فقط بشهادة ناجح أو راسب. فمن الخطأ أن يحب الإنسان الدنيا، فهو كمن يقول إنه يحب الامتحان ومتعلق به ولا يريد الشهادة التي يخرج بها من هذا الامتحان.

لذلك فحب الدنيا لذاتها هو أصل الشرور وهو الذي يُوقع الإنسان في متاهة، فمشكلة الناس أنهم لا يفهمون سبب وجود هذين المتناقضين معًا في الدنيا.

---

[١٧] (الزمر :٧).

[١٨] (البقرة :٢٨٦).

فالامتحان أو الابتلاء في الدنيا إما أن يكون بالخير أو بالشر. فامتحان الخير غالبًا ما يشد الإنسان للدنيا ويبعده عن خالقه، في حين أن امتحان الشر يُبعد الإنسان عن الدنيا ويقربه أكثر لخالقه. فالإنسان لا يعي أن امتحان الشر ربما ينفعه أكثر مما يضره في هذه الدنيا. وخير مثال على ذلك ما حصل للإنسان من انفتاح الدنيا عليه بالعلوم والمعارف والتكنولوجيا واستغنى بها عن الدين وحتى عن الآخرين، كما أن الشر ليس بالضرورة أن يكون من فعل الإنسان، لكن ربما يصيبه الضرر من بعض ما يحصل في الكون، مثل البراكين والزلازل وانتشار بعض الأمراض، فهي في نظر الإنسان شر، غير أن هذه الظواهر والأحداث تقع فعليًا لعمل توازن بيئي. وهيأ رب العالمين للإنسان من الوسائل ما يمكنه ان يدفع عن نفسه شر هذه الظواهر والأحداث.

فمثلاً ما تعرض له الإنسان مؤخرًا من انتشار لمرض الكورونا وما تسبب من تعطل لحركة الإنسان وشلل لكافة أنشطة الحياة وفقدان عدد كبير من الضحايا، فأصبح الإنسان أكثر اقبالاً على مساعدة الآخرين وتوحدت مشاعر الناس وحتى الأعداء منهم، ومن كانت لديهم نزاعات وخصومات تركوها جانبًا ريثما يجدوا حلاً لهذا الخطر الذي داهم الجميع. وكأن وجود الابتلاء بالشر نفع الإنسان أكثر مما ضره وخاصة عندما توقفت بعض الحروب الأهلية بسبب هذا المرض.

كما سُمح للآذان أن يُرفع ويُعلن في بعض المناطق التي لم يتصور أن يسمع فيها كلمة "الله أكبر". وكأن هذا الابتلاء الذي ألمَّ بالناس كشف عن قلوبهم الغشاوة الزائفة.

" اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" [١٩].

فكما ذكرنا أن الحياة الدنيا هي دار للامتحان والابتلاء وجُعل فيها المتناقضات والأضداد مثل الخير والشر والمرض والدواء والحر والبرد والليل والنهار والحياة والموت ..... إلخ، فكان لا بد من وجود الإرادة للإنسان ليختار.

وأما الشر الذي يقع من الناس، فهو ليس لأن الله زرع في الإنسان الخير والشر، إنه مفهوم خاطئ. إنما زرع الله إرادة الاختيار بين الإقبال على الخير أو الإقبال على فعل الشر، والإنسان هو الذي يختار بكامل إرادته وعليها سوف يحاسب.

" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا" [٢٠].

" وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...." [٢١].

عصر من الحساسية المفرطة:

إن الخير والشر في هذه الدنيا كانا متلازمين في كل زمان ومكان عبر العصور. غير أنه لوحظ زيادة الحساسية من ظهور الشر بين الحين والآخر في عصرنا الحاضر، والسبب ببساطة هو الحياة الرغدة التي أصبح يعيشها الإنسان الحديث بعد التطور الكبير في العلوم والتكنولوجيا وأصبحت المقولة الشائعة في عصرنا الحالي "نحو حياة أفضل، أهنأ، أطول...." وغيرها من المقولات التي تُعبر عن سعادة الإنسان وتمكنه من تحقيق أحلامه وتخيلاته، حيث أنه تمكن من الوصول للقمر وهو شيء لم يتصوره الأقدمون. فكان من الطبيعي أن مشكلة وجود الشر سوف تتضخم وتكبر عند أولئك الذين لديهم حساسية خاصة عند رؤية دموع الأطفال، وضعف كبار السن، وصراخ الألم من الأمراض.

---

[١٩] (الحديد: ٢٠).

[٢٠] (الشمس:٧-١٠).

[٢١] (الكهف:٢٩).

انتاج التميز البشري:

يعلم الله النزعة البشرية إلى الغفلة والخمول، وبالتالي فهو أحيانًا يوقظنا من غفلتنا.

إن للإنسان صفات جميلة قادرة على أن تطور وتنمي حياتنا دومًا للأفضل. وتظهر هذه الصفات والفضائل جليًا عند الأزمات والكوارث.

فعند الأزمات والزلازل، تظهر قيم الشجاعة والكرم والأخوة والإيثار بشكل واضح حتى مع الأعداء.

إن البشر الذين على قلوبهم غشاوة الترف أو غشاوة العداء أو غيرها من الصفات المذمومة تنقشع عند أول كرب يلم بالإنسان.

إن الابتلاءات مثل اليتم، أو التشرد بلا مأوى، أو الجوع، أخرجت للعالم مواهب، أبطال وشخصيات رائعة من حولنا. نحت هذه الابتلاءات فضائل المثابرة فيهم، والتي بدورها أكسبتهم الوصول إلى صنع التاريخ.

إن أذكى العقول وأعظم الاكتشافات لم تؤت إلا من خلال بذل الدماء والعرق وذرف الدموع.

حتى على الصعيد الشخصي، فإنه ينشأ عن كل تجربة فاشلة حياة جديدة، فعندما يُغلق الله أمامنا باب، فهي مجرد إشارة لحثنا على تغيير الاتجاه، فلهذا علينا أن ندرك أنه عند تعرضنا للمشاكل، أن مشكلتنا الحقيقية لم تكن السحب الضخمة الداكنة التي تطاردنا، ولكن هي بالجفون الثقيلة التي منعتنا من رؤية أشعة الشمس المشرقة.

لذلك فالله تعالى يجدد حياتنا بشكل دوري ببعض الاضطراب.

إن بمجرد استيقاظهم من الغفلة، يدرك البشر حقيقة وجودهم، ويشعرون بدافع عاجل وقوي نحو العيش لأشياء أكبر وأهم، ومن ثم، فإن هذه "الشرور" تزرع بذور الامتياز البشري، ولا يكتشف الناس إمكاناتهم ويحققون أنفسهم فحسب، بل ينتقلون إلى مركز عميق من السمو الذاتي: العيش مع الله، بالله، ولله في الدنيا والآخرة[٢٢].

سعادة الدنيا والآخرة:

سألني ملحدٌ يومًا ما عن حاجة الإنسان للإيمان بالخالق، وإنه برأيه يكفي أن يكون هناك أخلاقيات وقيم تحكمنا نحن البشر، وعلاقات يحترم بعضنا فيها البعض.

قلت له: ليس هناك معنى أن يحافظ الموظف على علاقته بباقي زملائه ويحترمهم، في حين أن يُهمل علاقته مع صاحب العمل، لذلك كي نحصل على الخير بحياتنا ويحترمنا الآخرون يجب أن تكون علاقتنا بخالقنا أفضل وأقوى علاقة.

إضافةً إلى ذلك، فنقول ما الدافع الذي يدفع بالإنسان إلى إقامة الأخلاقيات والقيم وباحترام القوانين أو احترام الآخرين. أو ما الضابط الذي يضبط الإنسان ويجبره على فعل الخير وليس الشر. وإن قلتم بقوة القانون، فنرد ونقول إن القانون لا يتوافر في كل زمان ومكان، ولا يكفي وحده لحل كافة النزاعات على المستوى المحلي والدولي. ومعظم تصرفات البشر تتم في معزل عن القانون وأعين الناس.

---

[٢٢] https://yaqeeninstitute.org/mohammad-elshinawy/why-do-people-suffer-gods-existence-the-problem-o. محمد الشناوي.

ويكفي دليلاً على الحاجة للدين هو وجود هذا العدد الكبير من الديانات والتي تلجأ إليه غالبية أمم الأرض لتنظم حياتها وتضبط تصرفات شعوبها على أساس قوانين دينية. فكما نعلم أن الضابط الوحيد للإنسان هو معتقده الديني في حال غياب القانون، فالقانون لا يمكن أن يتواجد مع الإنسان في كل حين وكل مكان.

فالوازع والرادع الوحيد للإنسان هو اعتقاده الداخلي بوجود رقيب عليه وحسيب، وهذا الاعتقاد في الأصل دفين وراسخ في وجدانه يظهر بوضوح لدى الإنسان عندما يهُم بفعلٍ خاطئ، حيث تتنازع لديه ملكات الخير والشر ويحاول إخفاء أي عمل فاضح عن أعين الناس، أو أي عمل تستنكره الفطرة السليمة. كل هذا دليل على وجود لمفهوم الدين والاعتقاد في أعماق النفس البشرية.

فالدين جاء ليملأ الفراغ الذي لا يمكن للقوانين الوضعية أن تملأه أو تُلزم العقول والقلوب به على اختلاف الزمان والمكان.

كان مما قرأت وأعجبني أن الدافع أو المحرك لدي الإنسان لعمل الخير يختلف من شخص لآخر. وأن كل شخص له دوافعه ومصالحه الخاصة لفعل أو الالتزام بأخلاقيات أو قيم محددة.

- العقوبة: وقد تكون هي الرادع للإنسان لكف شره عن الناس.
- المكافأة: وقد تكون هي الدافع للإنسان للإقبال على فعل الخير .
- إرضاء الذات: وقد تكون الضابط للإنسان لضبط نفسه عن الشهوات والرغبات. وأن للإنسان مزاج وهوى وما يعجبه اليوم قد لا يعجبه غدًا.
- الوازع الديني: وهو معرفة الله والخوف منه واستشعار وجوده أينما ذهب، وهو الدافع القوي والفعال. [٢٣]

إن للدين أثرًا كبيرًا في تحريك مشاعر وعواطف الناس سلبًا أو إيجابًا. وهذا يدلنا على أن أصل فطرة الناس مبنية على معرفة الله، وقد تُستغل في كثير من الأحيان بقصد أو بغير قصد كدافع لتحريكه. وهذا يوصلنا إلى خطورة الدين في وعي الإنسان لأن الأمر يتعلق بخالقه.

يقول ابن القيم:

"إن في القلبِ شَعثٌ لا يَلمُّه إلا الإقبال على الله، وعليهِ وحشَة لا يُزيلها إلا الأُنس به في خَلوته، وفيه حُزنٌ لا يُذهبه إلا السُّرور بمعرفتِه وصِدقِ مُعاملته، وفيه قلَقٌ لا يُسكِنه إلا الاجتماع عليه والفِرار منه إليه، وفيه نيرانُ حسراتٍ لا يُطفئها إلا الرِّضا بأمرِه ونهيِه وقَضائِه ومُعانقة الصَّبر على ذلك إلى وقتِ لقائِه، وفيه طَلَبٌ شَديد لا يَقفُ دونَ أن يكونَ هو وحدَه المطلوب، وفيهِ فاقة لا يَسُدُّها إلا مَحبته ودوامِ ذِكرِه والإخلاص له، ولو أُعطى الدُّنيا وما فيها، لم تُسد تلكَ الفاقة أبدًا".

[٢٣] Atheism a giant leap of faith Dr. Raida Jarrar.

بديعُ السَّماواتِ والأَرض

ففروا إلى الله!

في زيارة لنا لدولة جنوب أفريقيا، رأينا ما لا يخطر على البال من جمال يأخذ بالألباب، حتى وصلنا إلى منطقة رأس الرجاء الصالح في مدينة كيب تاون، وأدركنا أننا في عالم آخر. شواطئ من البطاريق وعوالم للطيور والفراشات بألوان لم نرها من قبل مع كثرة تجوالنا وترحالنا. وفي هذا المكان الذي يمتلئ بالخضرة والبهجة، يعيش انسان بسيط من دولة ماليزيا وقد وُلد في هذا المكان وترعرع، رجل مُسِن كان يعمل سائقًا وقد أخذنا في جولة لمدة عشرة أيام في هذه المدينة. ما أدهشني أنني عندما سألته عما إذا كان قد زار مكانًا آخر في العالم، قال: أنا لا أعرف إلا مكة، ولا أريد أن أعرف إلا مكة، وإنني كلما حصلت على مبلغ من المال ذهبت لأزور مكة. وقال إنهم يذهبون بقوافل يقطعون فيها القارة السوداء وتأخذ هذه الرحلة منهم الكثير من الوقت والجهد والمال، لكنه يُصر على الذهاب كلما حصل على المال. تأثرت كثيرًا وقلت في نفسي، رجل يترك هذا الجمال ليذهب إلى أرض مقفرة لا زرع فيها ولا شجر، وحينها تذكرت الآية الكريمة "فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ"[٢٤]، وقلت في نفسي صدق الله العظيم. ما أعظم هذا الخالق الذي زرع في قلوبنا بِذرة التعلق به، والشوق للقائه والذي سهَّل علينا الطريق إليه، وسُررت كثيرًا.

وما قدروا الله حق قدره!

" وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ...." [٢٥].

من القصص الجميلة التي أذكرها لحوار لي مع دبلوماسي من الصين يتكلم الإنجليزية بطلاقة، وقد كان قد أضحكني عندما قال: إن الخالق خلق الكون وانشغل، ولم يعد يتدخل فيه. بصراحة ظننت أنه يستهزأ، لكنني علمت فيما بعد أن هذه العقيدة من أساسيات ديانة منتشرة في العالم.

قلت له: أن الله تعالى يعلم كل صغيرة وكبيرة في هذا الكون، وما تسقط من ورقه إلا يعلمها، وما تخرج من ثمرات من أكمامها، وأحصى كل شيء عددا.

فقال: أليس عجيبًا أن يتدخل الخالق في كل صغيرة وكبيرة؟

قلت له: ببساطة إن الذبابة التي تبدو تافهة في نظر الناس، ممكن أن تتسبب في نقل الأوبئة والأمراض، ويمكن لها أن تُغير موازين القوى. ألم تكن البعوضة سببًا في مصرع الإسكندر؟

كما يكفي أن نرى في وقتنا الحاضر من انتشار الميكروبات الصغيرة التي يخشاها الإنسان دون أن يراها وتتحكم في مصيره. إن عظمة الخالق أنه وحده يعلم قيمة كل شيء.

إنني دائما ما أتذكر حواري مع هذا الدبلوماسي وأقول في نفسي: إنها فعلاً لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

إن الدول العظمى تتسابق لاستعراض ما لديها من قوة وجيوش بعمل العروض العسكرية، والله تعالى يرينا عظمته بما لا تراه العيون.

---

[٢٤] (الذاريات:٥٠).

[٢٥] (الأنعام:٩١).

إن انتشـــار فيروس الكورونا في هذه الأيام، جعل العالم يســـتشـــعر عظمة الخالق، وكيف تبدلت الموازين واختلفت المعايير والأولويات، وكيف انهارت أمام هذا الكائن المجهري الأسلحة النووية والهيدروجينية، لينهار غرور الإنسان أمام الله.

يقول ابن القيم:

"تأمّل خِطاب القرآن، تجِد مَلِكًا له الملك كُله، وله الحَمد كُله، أزمّة الأمور كُلها بيده، ومَصدَرها مِنه، ومردُّها إليه، لا تَخفى عليه خافية في أقطارِ مَملكته، عالِماً بما في نُفوس عبيده، مُطّلعًا على أسرارِهم وعَلانِيتهم، مُنفردًا بتدبيرِ المملكة، يَسمع ويَرى، يَمنع ويُعطي، ويُثيب ويُعاقب، ويُكرم ويُهين، يخلق ويرزق، ويُميت ويُحيي، ويقدر ويقضي ويُدبِّر."

عظمة الله تتجلى في تواصله مع خلقه:

لقد شـــدني كثيرًا حواري مع الصـــيني، وعكفت على قراءة المزيد عن هذا الدين الذي يؤمن أتباعه أن الخالق خلق الكون وتركه، ولم يتواصـل معنا عن طريق الرسـل، وعكفت عن البحث على طريقة للرد عليه وعلى غيره ممن يتبنون هذا الاعتقاد، وهو ما يُسـمى لديهم بمفهوم الحِياد الإلهي.

خلال بحثي ودراستي لهذه النقطة، وجدت أن القرآن الكريم أقر بتواصل الله مع خَلقه عن طريق الرُّسل[٢٦].

وتجلت عظمة الله بتقديم دلائل تواصله مع الإنسان في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

"رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" [٢٧].

بدايةً أكد سبحانه وتعالى بأن هناك حكمة من خلق الإنسان.

"أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" [٢٨].

وأكد بالنفي مرارًا أن تكون الغاية من الخلق اللهو أو اللعب.

" وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ"[٢٩] .

"لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ" [٣٠].

وأكد استسلام جميع ما في السماوات والأرض له سبحانه.

"أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ"[٣١] .

وبَيَّن أنه خَلق الجن والإنس لعبادته.

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" [٣٢].

وبَيَّن أن تَميُّز الإنسان هو بالتوجه لرب العالمين مباشرةً وإخلاص العبودية له بمحض إرادته، ويكون بذلك حقَّق حكمة الخالق بجعل الإنسان على رأس المخلوقات .

"وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا " [٣٣].

---

[٢٦] مقتبس من كتاب خرافة الإلحاد. د. عمرو شريف. طبعة ٢٠١٤م.

[٢٧] (النساء:١٦٥).

[٢٨] (المؤمنون١١٥).

[٢٩] (الأنبياء :١٦).

[٣٠] (الأنبياء :١٧).

[٣١] (آل عمران:٨٣).

[٣٢] (الذاريات:٥٦).

[٣٣] (النساء: ١٢٥).

والعبادة المقصودة هنا، هو بمعناها الشامل، وهو معرفة رب العالمين والتواصل معه والتعرف على صفاته، وتمجيده وتنزيهه عما لا يليق به.

إضافة لما أشار إليه القرآن الكريم، هناك عدد من الأدلة العقلية على تواصل الخالق مع البشر ومنها[٣٤]:

الحكمة:

فمثلاً إذا بنى الإنسان مسكنًا، ثم تركه بدون منفعة له أو لغيره أو حتى لأولاده، فإننا بطبيعة الحال نحكم عليه بأنه انسان غير حكيم أو غير سوي. لذلك – ولله المثل الأعلى– فإنه من البديهي أن يكون هناك حكمة من خلق الكون، وتسخير ما في السماوات والأرض للإنسان.

الفطرة:

يوجد في داخل النفس البشرية دافعًا فطريًا شديدًا لمعرفة أصله ومصدره والغاية من وجوده، إن فطرة الإنسان تدفعه دوما للبحث عن المتسبب بوجوده.

فالشخص الذي يُولد ولا يجد والده أو والدته، تبقى لديه رغبة جامحة للبحث والتعرف على أمه وأبيه المتسببين في وجوده في هذه الحياة.

وكذلك الإنسان تدفعه فطرته دومًا للبحث عن المتسبب في وجوده. غير أن الإنسان وحده لا يمكن له أن يهتدي لخالقه أو يُميِّز صفاته إلا من خلال تدخل هذه القوى الغيبية، وذلك بإرسال رسل لتكشف لنا عن هذه الحقيقة.

فنجد أن كثيرًا من الشعوب وجدت طريقها في الرسالات السماوية، في حين أن غيرها من الشعوب لا زالت في ضلالها تبحث عن الحقيقة، وتوقفت في تفكيرها عند الرموز المادية الأرضية.

إن وجود الدافع الفطري لدي الإنسان للتواصل مع خالقه ومعرفه الغاية من وجوده ومعرفة مآله بعد الموت، بزغت عند الإنسان منذ القدم، ووضع لها الأساطير، وأسس لها الفلسفات التي تقوم على هذه الأسئلة الوجودية والمحورية.

إن وجود هذه الأفكار في وعي الإنسان وتوجهه للبحث عن أجوبة في هذا المجال، تعطينا دليلاً قويًا على أن هناك إرادة غيبية تقف وراء ذلك، وتدفع بالإنسان للبحث والتواصل مع خالقه. وإنه لمن المستنكر أن يُترك المخلوق بهذه الفطرة بدون ارشاد أو هداية من المصدر الذي زرع تلك الفطرة فيه.

الاخلاق:

إن ظمئنا للماء هو دليل على وجود الماء قبل أن نعرف بوجوده، كذلك شوقنا إلى العدل هو دليل على وجود العادل.

بالإنسان الذي يُشاهِد ما في هذه الحياة من نقائص، ومن ظلم الناس لبعضهم البعض، لا يقتنع بأن الحياة يمكن أن تنتهي بنجاة الظالم وضياع حق المظلوم. بل إن الإنسان يَشعر بالراحة والطمأنينة عندما تُطرح عليه فكرة وجود البعث والحياة الآخرة والقصاص. لا شك أن الإنسان الذي سوف يُحاسَب على أعماله، لا يمكن أن يُترك دون توجيه وإرشاد، وبدون ترغيب أو ترهيب، وهذا هو دور الدين.

---

[٣٤] مقتبس من كتاب خرافة الإلحاد. د. عمرو شريف. طبعة ٢٠١٤م.

كما أن وجود الديانات السماوية الحالية الذي يؤمن أتباعها بألوهية مصدرها، يُعتبر دليل مباشر على تواصل الخالق مع البشر. وحتى وإن أنكر الملحدون إرســـال رب العالمين لرســـل أو كتب سماوية، فيكفي وجودها وبقائها دليلاً قويًا على حقيقة واحدة وهي رغبة الإنسان الجامحة في التواصل مع الإله، واشباع الفراغ الفطري لديه.

نجد في القرآن الكريم الحرص الواضح على تقديم الأدلة على صدق الأنبياء والمرسلين، واختيار الأسلوب في الإقناع الذي يناسب كل زمان ومكان. فليس من المنطق أن نقبل أو نؤمن بوجود خالق، ولا يكون هناك برتوكول تواصل (طريقة، شريعة أو منهاج تواصل) معه، وهذا هو الدين.

إن من صـفات الخالق الحكمة، ومن الصـفات المفطورة في الإنسـان هو تنازع الخير والشـر ووجود الإرادة للاختيار. فمن البديهي أن يتبين لنا حتمية حكمة الخالق، ويكفي وجود الموت على حتمية الحساب. فالموت ليس افناء إنما هو مرحلة الانتقال للحساب. وهذا هو دور الديانات السماوية في تبيان هذه الحقيقة .

عظمة الخالق تتجلى في اجابة المضطر:

في حوار لي مع سيدة ألمانية متزوجة من أرجنتيني، وأم زوجها الأرجنتينية عن عظمة الخالق، وكان اللقاء بدون حضور الزوج، وكنت قد أدركت أن السيدة الألمانية لا تعتقد بوجود إله، لكن حصل أثناء الحوار ما أبكانا جميعا.

والدة الزوج كانت تسألني بإلحاح عن المصاعب التي يتعرض لها الإنسان، وكيف يتصرف للنجاة منها، وقد كان هذا الحوار مؤثر للغاية، لدرجة أنه أبكى والدة الزوج عندما كنت أشرح عن رحمة الله وحكمته من وجود المصاعب والآلام التي قد يتعرض لها الإنسان في الحياة.

وكنت مستطردة في الحديث عن صفات الجلال وصفات الجمال للخالق، حتى قالتا لي: إذن ما الحل؟ ماذا نفعل عند تعرضنا للشدائد؟

قلت لهم: فقط قولوا يا رب.

قالتا: كيف؟

وكان سؤالهما قد أثار فضولي، وقد كنت قد أرشدتهما لكيفية رفع اليد عند الدعاء وكلمات الدعاء، وقلنا بصوت واحد يا رب.

وفجأة ونحن ما زلنا نردد الكلمات، حتى جاءت مكالمة هاتفية للألمانية بخبر جعلها تبكي فرحًا، وتقفز من شـدة فرحها، وتأخذني تارة بالأحضان وتحتضن أم زوجها تارة أخرى، تزامنًا مع سؤال والدة زوجها لها بقولها: هل خرج، هل خرج؟ وقالت لها: نعم نعم. وأخذوني بالأحضان سويًا وقالوا: شكرًا يا رب.

وقد فهمت لاحقا أن الزوج كان محجوزًا في السـجن من ثلاثة أسـابيع لتعارض في بياناته الشـخصـية لدى الحكومة، وقد كان ذا مركزًا مرموقًا في المجتمع، وحجزه بهذه الطريقة كان صدمةً لهم.

قالت لي الألمانية كلمات لن أنســـاها في حياتي، قالت: أشـــكركِ لأنكِ أخرجتِ من قلبي ما لم أعرف أنه موجود، لم أكن أتخيل في حياتي أنني مؤمنة بالله. فأدركت حينها عظمة الله الذي أجاب الدعاء في تلك اللحظة وهدى قلوبًا تتوق لمعرفته.

كان قد أسـعدني كثيرًا ما اعترفت به لي هذه السـيدة، حيث أثبتت ما أُردده دائما لطلابي في محاضـراتي للمسـلمين وحواراتي مع غير المسلمين، بقناعتي الكاملة أن الإلحاد أصلاً غير موجود، والجميع مؤمن بالله، شاء أم أبى، عرف أم لم يعرف. ودورنا فقط مساعدة من يدَّعي الإلحاد على إظهار ما يخفيه من الإيمان، أو يحاول إخفاءه.

وما أحوجنا جميعا الآن في هذه الظروف من انتشـــار لمرض الكورونا لدعاء المضـــطر، وكأننا جميعًا في بطن الحوت، فما أن أحوجنا أن نردد سويا الآية الكريمة: "...أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ..."[٣٥].

لماذا الدين؟

ســـألتني ذات يوم طبيبة برتغالية عن أهمية اعتناق الدين الإســـلامي، ولماذا عليها اعتناق أي دين أصـــلاً؟ ولماذا لا تكتفي بإيمانها بالله فقط، وأن تعبده بطريقتها. وقالت إنها مؤمنة بوجود خالق للكون لكنه لا يتواصل مع البشر عن طريق الرسل، وقالت إنها تقوم بأعمال خيرية وتساعد البشرية حتى الحيوانات، لكنها لا تنتظر أجر من الله وتعمل هذا في سبيل الإنسانية، وأن سعادتها ومكافئتها تنتظرها من البشرية.

قلت لها: وهل تعتقدي أن الإنسانية لا تفنى؟ هل سعادة الإنسانية دائمة؟ عند فناء الإنسانية لن يبقى إلا الحي الذي لا يموت. أنتِ كمن يدرس اثني عشر سنة على مقاعد الدراسة ويقول: لا أريد الشِّهادة.

تخيلي نفسك مشتركة في مؤسسة ضمان اجتماعي للحصول على راتب تقاعدي، وأعلنت الشركة أنه لن يكون بمقدورها دفع الرواتب التقاعدية وسيتم إغلاقها قريبًا، وعلمتي أنتِ بذلك، هل ستستمرين بالتعامل معها.

المؤمن هو من يعمل ويجتهد ويساعد الإنسانية لكن في سبيل الله، وبالتالي سوف يحصل على سعادة الدنيا والآخرة.

قلت لها: بخصوص أهمية وجود الدين، تخيلي أنك تسيرين في طريق ولا تعرفين نهايته، وأمامك خيارين، إما أن تتبعي التعليمات الموجودة في الطريق على اللافتات، أو تحاولي التخمين، مما قد يُسبب لكِ الضياع والهلاك.

أو تخيلي أن تشتري جهاز تلفاز وتحاولي تشغيله بدون الرجوع إلى تعليمات التشغيل، فسوف تُفسديه. جهاز التلفاز الصادر من نفس المصنع، يصلني هنا مثلاً مع نفس كتيب التعليمات الذي يصلك إلى البرتغال، فيجب علينا استخدامه بنفس الطريقة.

نجد بعض الشعوب للتواصل مع رب العالمين تقوم بالرقص والغناء في دور العبادة، وغيرها ممن يُصفق ليُوقِظ الإله حسب عقيدتهم.

قلت لها أيضًـــا: إنك إن أردتِ التواصـــل معي مثلاً فعليَّ أن أخبرك بالوســـيلة الممكنة، كأن أخبرك أن تكلميني هاتفيًا وليس عن طريق البريد الإلكتروني مثلاً، وعليكِ أن تستخدمي رقم الهاتف الذي أزودكِ به أنا شخصيًا، ولا يمكنك استخدام أي رقم آخر.

إن من عظمة الله أن جعل لنا نظامًا نسير عليه جميعًا، لينظم علاقتنا به، وعلاقتنا بمن حولنا، وهو ما يُسمَّى بالدين.

لا يمكن للبشـــر أن يعبدوا الله باتباع أهواءهم، لأنهم ســـوف يضـــروا بأنفســـهم أولاً قبل أن يضـــروا بغيرهم. فمنهم من يعبد الله باتخاذ وسيط، ويتصور أن الله يأتي بصورة بشر أو حجر، فالله يريد أن يحمينا من أنفسنا عندما نعبد ما لا ينفعنا ولا يضرنا، بل ويتسبب في هلاكنا في الآخرة. فعبادة غير الله مع الله تُعد أعظم الكبائر، وعقابها الخلود في النار.

سألتني: لماذا اتخاذ الوسطاء في عبادة الله يستحق الخلود في النار؟

تخيلي أن تهديني بهدية وأشكر أنا شخصًا آخر، وأتوجه له بالثناء والشكر وأنت من أهداني هذه الهدية. هذا حال العباد مع خالقهم، أعطاهم الله ما لا يُعد ولا يُحصى من النعم، وهم بدورهم يشكروا غيره.

وكما هو معروف في القانون البشري أن المساس بحق الملك أو صاحب الأمر لا يستوي مع غيرها من الجرائم الأخرى. فما بالكِ بحق مَلك الملوك، إن حق الله تعالى على عباده أن يُعبد وحده، وحق العباد هو الحصـــول على علاقة مباشـــرة معه بدون وســـيط، وبالتالي الحصول على الأمان في الدنيا والآخرة.

---

[٣٥] (الأنبياء: ٨٧).

الدين الصحيح:

سألتني بعدها عن الدين الصحيح الذي يجب أن تعتنقه بعد إيمانها بالله. قلت لها: أنه من عظمة الله أن جعل الدين الصحيح سهل ومنطقي، وموافق للفطرة التي فطر الناس عليها، وهو عبادته وحده وعمل الصالحات وترك المنكرات، وهو الدين الذي دعا إليه جميع الأنبياء. كنت قد قرأت مرةً أنه يمكن تمييز الدين الصحيح عن غيره من خلال ثلاثة نقاط أساسية[٣٦]:

- صفات الخالق أو الإله في هذا الدين.
- صفات الرسول أو النبي.
- محتوى الرسالة.

فالرسالة السماوية أو الدين، لا بد أن يحتوي على وصف وشرح لصفات الجمال والجلال للخالق، والتعريف بنفسه وذاته وعلى أدلة وجوده.

"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ " [٣٧].

وأما فيما يختص بمفهوم الرسول وصفاته، فان الدين أو الرسالة السماوية:

تشرح كيفية اتصال الخالق بالرسول.

"وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى" [٣٨].

تبين أن الأنبياء والرسل مسؤولون عن التبليغ عن الله.

"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...."[٣٩] .

وأن الرسل لم يأتوا لدعوة الناس لعبادتهم، بل لعبادة الله وحده.

"مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ"[٤٠].

وتؤكد أن الأنبياء والمرسلين هم الذروة في الكمال الإنساني المحدود.

"وَإِنَّكَ لعلى خُلُقٍ عظيم"[٤١] .

وأن الرسل يمثلون القدوة البشرية للإنسان.

"لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا "[٤٢].

إنه من غير الممكن، قبول ديانة تخبرنا نصوصها أن أنبيائها زناة، أو قتلة أو سفاحون وخونة ولا ديانة تعج نصوصها بالخيانة في أسوء معانيها.

---

[٣٦] مقتبس من كتاب خرافة الإلحاد. د. عمرو شريف. طبعة ٢٠١٤م.

[٣٧] (الإخلاص ١-٤).

[٣٨] (طه:١٣).

[٣٩] (المائدة :٦٧).

[٤٠] (آل عمران:٧٩).

[٤١] (القلم:٤).

[٤٢] (الأحزاب :٢١).

أما فيما يختص بمحتوى الرسالة ينبغي أن تتميز بالآتي:

التعريف بالإله الخالق.

إن الدين الصحيح لا يصف الإله بصفات لا تليق بجلاله أو تقلل من قدره، كأن يأتي بصورة حجر أو حيوان، أو أن يلد أو يولد، أو يكن له مثيل من أحد من مخلوقاته.

".....لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[٤٣].

" اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"[٤٤] .

توضيح الغاية والهدِف من الوجود.

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" [٤٥].

" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا"[٤٦].

أن تكون المَفاهيم الدينية في حُدود الإمكانيّات البَشرية.

".....يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ....."[٤٧].

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...."[٤٨].

" يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا"[٤٩].

تقديم البرهان العَقلي على صِحة ما يقوم بعرضه من مفاهيم ومُسلمات.

فيجب أن تعطينا الرسالة البراهين العقلية الواضحة والكافية للحكم على صحة ما جاء بها.

فلم يكتف القرآن الكريم بسوق الأدلة والبراهين العقلية، بل تحدى المشركين والملحدين على أن يقدموا البراهين على صحة ما يقولون.

"وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"[٥٠].

"وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ"[٥١].

" قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ"[٥٢].

أن لا يوجد تناقض بين المضامين الدينية التي تطرحها الرسالة.

" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا "[٥٣].

---

[٤٣] (الشورى: ١١).

[٤٤] (البقرة :٢٥٥).

[٤٥] (الذاريات :٥٦).

[٤٦] (الكهف: ١١٠).

[٤٧] (البقرة: ١٨٥).

[٤٨] (البقرة: ٢٨٦).

[٤٩] (النساء: ٢٨).

[٥٠] (البقرة: ١١١).

[٥١] (المؤمنون: ١١٧).

[٥٢] (يونس: ١٠١).

[٥٣] (النساء: ٨٢).

"هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"[٥٤].

ألا يتناقض النص الديني مع قانون الفطرة الأخلاقي للإنسان.

" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[٥٥].

" يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا " [٥٦].

ألا تتناقض المفاهيم الدينية مع مفاهيم العلم.

" أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"[٥٧].

ألا يكون منعزلاً عن واقع حياة الإنسان، ومُواكِب للتقدم الحضاري.

" قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[٥٨].

صالح لكل زمان ومكان.

"...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..."[٥٩].

عالمية الرسالة.

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"[٦٠].

نَخلُص مما سبق أن من عظمة الخالق أنه تواصل مع خلقه، وأرسل الرسل بالدين السماوي الصحيح والسليم لكافة البشر، رحمةً بهم وللتخفيف من معاناتهم، ولكن كثيرًا من الناس لا يدركون هذه الحقيقة. فنجد فئة من الناس تنكر إرسال الله للرسل، في حين أن فئة أخرى من الناس جعلوا مع الخالق شركاء ووسطاء واتبعوا طرق مختلفة للتواصل مع الخالق، وآخرين عانوا من معتقدات شعوبهم وانتهى بهم المطاف إلى ترك الدين بالكلية.

إن الحقيقة التي نريد أن نثبتها هنا أنه لا بد من وجود دين أولاً، وأنه لا بد أن يكون دين واحد، لأن الخالق واحد (ولكن بشرائع ومناهج مختلفة تناسب الأمم)، وأخيرًا، أنه لا بد أن يكون الدين الصحيح هو دين الإسلام. فكيف يقبل الله من عباده دينًا بدون التسليم له بالوحدانية وعبادته مباشرةً، فإذا نظرنا على وجه هذه البسيطة على مدار الزمان والمكان، فلن نجد غير الإسلام دينًا بمفهومه السمح والواضح الذي لا لبس فيه.

---

[٥٤] (ال عمران: ٧).
[٥٥] (الروم: ٣٠).
[٥٦] (النساء :٢٦ -٢٧).
[٥٧] (الأنبياء: ٣٠).
[٥٨] (الأعراف: ٣٢).
[٥٩] (المائدة :٣).
[٦٠] (الأعراف: ١٥٨).

فما أغنت عنهم آلهتهم

والله مُتم نوره ولو كَرِه الكافرون:

في يومٍ كنت أشعر فيه بإحباط شديد من الحال الذي وصل إليه العالم من الابتعاد عن دين الله والتوجه لغيره في السؤال والطاعة مما لا ينفع ولا يضر، وكنت مسترسلة في تفكيري، حينما قاطعني مدرس اللغة الفرنسية المسلم بسؤاله عن سبب شرودي في التفكير، وكان ذلك الموقف في مركز اللغات بأفريقيا، وقلت له: ما يزعجني ويشد تفكيري، هو غفلة الناس عن دين الله وشعوري بالمسؤولية تجاه ذلك، وأود أن تصل كلمة لا إله إلا الله إلى القاصي والداني. قال لي: لا تقلقي يا أختي فالله وعد بحفظ دينه، ولن يُخلف الله وعده. وقد لفت نظري قوة إيمان هذا الشخص، ويقينه بالله، وتذكرت الآية الكريمة: "وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"[٦١]، وشعرت حينها براحة كبيرة.

يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون:

إن ما نشاهده اليوم في هذه الأزمة، من موتى لا يعرف عنهم أحد، ودور مسنِّين تعج بالجثث الهامدة، والتي تبرأ منها كل من حولها، ومن يموت في الطريق لا يدري عنه أحد، ومن لديه المال ينتظر العلاج، وكيف أصبحوا يُضحُّون بالكبير من أجل الصغير، ويتسابق المرضى على أَسِرَّة المستشفيات، وكأنَّ هذا الموقف يعرض مشهدًا شبيهًا بمشاهد يوم القيامة.

فأزمة الكورونا أسقطت من قلوب الناس كثيرًا من الرموز التي كانوا يُعلقون عليها أوهامهم، وجعلت آلهتهم الزائفة التي يقدسونها من دون الله، تتهاوى واحدًا تلو الآخر، فمن كان يعبد المال لم ينفعه ماله، ومن كان يظن أنه بالعلم المادي وحده يمكن أن ينجو فلم ينفعه علمه، ومن كان يتوسل بالحجر والصنم فلم يعد يقترب منهم خشية العدوى، وكثيرًا ما نسمع عن قساوسة دعوا أتباعهم إلى اللجوء إلى الله مباشرة وتجنب المجيء إليهم، وأصبحت شمس لا إله إلا الله تتلألأ في العالم.

لا شك أنَّ الموقف يدفع بالإنسان دفعًا للرجوع والإنابة لرب العالمين والاستعانة به، وتتجلى كلمات الحديث الشريف، في أجمل معانيها: " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ "[٦٢].

أَذكر كلمات قالها لي عجوز إسباني، قال: نحن في الغرب لا نعبد الله ولا نعبد المسيح، نحن نعبد النساء والمال. ومع أنه قد قال ذلك مازحًا، لكن عبارته تحمل كثيرًا من الحقيقة، وتحضرني عبارته الآن وقد قال الجميع في الغرب: اللهم نفسي.

أفرأيت من اتَّخذ إلهَه هواه:

كنت قد قرأت مرةً [٦٣] ، أن التصميم، الضبط الدقيق، اللغة المشفرة، الذكاء، النية، الأنظمة المعقدة والقوانين المترابطة وما إلى ذلك، هي مصطلحات أرجع الملحدون مصدرها للعشوائية والمصادفة. على الرغم من أنهم لم يعترفوا بذلك أبدًا، يشير العلماء إلى الخالق بأسماء أخرى (الطبيعة الأم، قوانين الكون، الانتخاب الطبيعي "نظرية داروين"، إلخ...)، في محاولات بائسة للهروب من منطق الدين والاعتقاد بوجود خالق.

---

[٦١](الصف:٨).

[٦٢] (الترمذي).

[٦٣] Atheism a giant leap of faith. Dr. Raida Jarrar.

"إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ"[٦٤].

إن استخدام أي اسم غير "الله" يسلب بعض صفاته المطلقة ويُثير المزيد من الأسئلة. على سبيل المثال:

إنه لتجنب ذكر الله، يُعزى خلق قوانين عالمية وأنظمة معقدة مترابطة إلى الطبيعة العشوائية، ويُرجع بصر الإنسان وذكائه لأصل أعمى وأحمق.

إن بعض أتباع داروين الذين يعتبرون الانتقاء الطبيعي (عملية فيزيائية غير عقلانية) قوة إبداعية فريدة تحل جميع المشاكل التطورية الصعبة دون أي أساس تجريبي حقيقي، كانوا قد اكتشفوا فيما بعد، تعقيد التصميم في بُنية ووظيفة الخلايا البكتيرية، فبدأوا باستخدام عبارات مثل البكتيريا "الذكية"، "الذكاء الميكروبي"، "صُنع القرار" و" البكتيريا لحل المشاكل". وبالتالي تحولت البكتيريا إلى إلهَهم الجديد.

الإنسان في الإسلام خليفة في الأرض وفي الحضارة الغربية حيوان متطور:

في حواري مع زائر فرنسي كان قد تطرق لموضوع أصل وجود الإنسان على الأرض، وقال: إن الغرب يتبنى نظرية تشارلز داروين، وأننا بشر متطورون عن قرود.

قلت له: فلماذا لم تتطور بقية القرود الآن لتصبح من بقية البشر؟

قلت له: النظرية هي مجموعة من الفرضيات المتماسكة، وتأتي هذه الفرضيات عن طريق مشاهدة أو ملاحظة ظاهرة ما، وتتطلب هذه الفرضيات لإثباتها القيام بتجارب ناجحة، أو المشاهدة المباشرة التي تبرهن على صحة الفرضية، فإذا كانت إحدى الفرضيات التي تنتمي إلى النظرية لا يمكن إثباتها لا عن طريق التجربة ولا عن طريق المشاهدة المباشرة، فيعاد النظر في النظرية بالكامل.

فأعطني أرجوك مثال حي عن كائن تطور عن آخر.

قال: أعطيكِ مثال منذ أكثر من ٦٠٠٠٠ عام.

قلت له: إذا لم تشاهده أنت أو تلاحظه فلا مجال لقبول حجتك.

قال: لا، لقد لوحظ في عهد قريب أن مناقير الطيور قد تغير شكلها في بعض الأنواع.

قُلت له: لكنها بقيت طيورًا، وبناءً على نظريتك يجب أن تتطور الطيور إلى نوع آخر. وبالتالي فالنظرية ليس لها معنى.

قال: لا، لا، أنا أؤمن بالعلم وأقرأ كتب كثيرة في هذا المجال وأصدقها.

قلت له: فما الفرق بينك وبين المؤمن بالله والمؤمن بكتاب الله؟ أنت تعتبر المؤمن بوجود خالق للكون إنسان متخلف لأنه قد آمن بشيء لم يره، مع أن المؤمن يؤمن بما يرفع من شأنه ويُعلي مقامه، وأنت تؤمن بما يُحقِّرك ويُدني من شأنك.

الحقيقة أن فكرة أن الإنسان أصله قرد أو تطور عن قرد، لم تكن من أفكار دارون أبدًا، لكنه يقول: بأن الإنسان والقرد يعودان إلى أصل واحد مشترك ومجهول سمَّاه (الحلقة المفقودة)، التي حدث لها تطور خاص، وتحولت إلى إنسان، ومع أننا كمسلمين نرفض كلام داروين تمامًا، لكنه في كل الأحوال لم يقل كما يظن البعض: إن القرد هو جَدُّ الإنسان.

وقد ثبت أن دارون آمن بوجود إله، لكن فكرة أن يكون الإنسان من أصل حيوان جاءت من أتباع دارون في المستقبل عندما أضافوها لنظريته، وهم أصلاً من الملحدين، وبالطبع نحن كمسلمين نعلم علم اليقين أن الله كرَّم آدم، وجعله خليفة في الأرض ولا يليق بمقام هذا الخليفة أن يكون من أصل حيوان أو ما شابه.

---

[٦٤] (النجم:٢٣).

عصر من الجنون:

من الحوارات الشـــيقة التي قمت فيها كانت مع أمريكي كان قد بذل أقصـــى جهده لإقناعي بنظرية داروين. قلت له: هل التطور البيولوجي حقيقة علمية أم نظرية، وهل مفهوم التطور يعني بالضرورة إنكار وجود الإله، أم يمكن الجمع بين المنظورين؟

قال لي: إن لم تؤمني في الداروينية الحديثة، فإنكِ إنسان متخلف جاهل أو مجنون.

واستطرد قائلاً: طبعا الداروينية الحديثة لا مجال لقبول خالق للكون فيها.

قلت له: أنا لا أدري من هو المجنون حقًا!

دارون نفسه المؤسس لهذه النظرية يقول: "لنفترض أنه من الممكن أن تكون العين بكل ما فيها من أجهزه دقيقة، تضبط الطول البؤري للمسافات المختلفة، تسمح بدخول كميات مختلفة من الضوء، قد تَكونت عن طريق الانتقاء الطبيعي، فإن ذلك يبدو وأنا أعترف بأنه شيء منافي للعقل إلى أعلى درجة"[٦٥].

قلت له: دارون كان يؤمن بأن الخلية الحية الأولى وراءها خالق عظيم، ثم تولت الطبيعة تطويرها الى ما نشهده الآن من تنوع الكائنات، انظر ماذا فعلتم أنتم وأتباعه حتى اعتبرتموه رمزًا للإلحاد.

واستطردت قائلة:

أن نظرية داروين التي تقول: إننا جئنا إلى هذا الكون نتيجة طفرات عشـــوائية، وليس من خالق عظيم، هي مجرد نظرية ولم تُثبت بعد، وداروين نفسه واضع هذه النظرية، ثبت أنه كان لديه شكوك عديدة، وقد كتب رسائل عديدة إلى زملائه يُعبر عن شكوكه وعن أسفه، وقال:" إنه من الصعب جدًا بل من المستحيل أن نتصور أن كونًا هائلاً ككوننا وبه مخلوق يتمتع بقدراتنا الإنسانية الهائلة، قد نشأ في البداية بمحض الصدفة العمياء، أو لأن الحاجة أم الاختراع. وعندما أبحث حولي عن السبب الأول وراء هذا الوجود أجدني مدفوعًا إلى القول بوجود عقل ذكي، ومن ثم، فإني أؤمن بوجود الإله." [٦٦]

ولقد أثبتت نظرية الفوضى أنه ليس هناك وجود حقيقي للصدفة، بل إن كل ما يحدث مهما صَغُر في الكون، تكمن وراءه قوانين دقيقة للغاية لا ندركها.

نظريه داروين هي منظومة من ثلاث عناصر:

- الأصل المشترك، ويعني أن جميع الكائنات الحية حيوانية ونباتية تطورت عن أصل واحد، وهو الكائن وحيد الخلية. وهنا وقعوا في ورطة فقدان الكائنات الانتقالية، وهي الحلقات التي ينبغي أن توجد نتيجة للانتقال من كائن الى آخر، فدارون لم يضـــع يده في سجل الحفريات على سلسلة تطورية واحدة تحوي ما يكفي من الكائنات الانتقالية.

  وضع دارون تصور يمثل الخلية الأولى فيه الأصل المشترك، عبارة عن جذع شجره وتمثل فروعها الكائنات التي تطورت من هذه الخلية، وسماها شـجره الحياة، لكن في دراسة لجمس فالنتين لهذه النظرية أو التصور الذي وضعه داروين، قال: إن الكثير من فروع شجره الحياة التي تبناها دارون مقطوعة الأصل، أي لا يمكن العُثور على أسلاف لكائناتها.
- الطفرات العشـــوائية، وتشـــير الى الترقي من كائن الى آخر أكثر تعقيدًا حدث نتيجة لتغيرات عشـــوائية في الشـــفرة الوراثية للكائن، وينبغي أن يكون شديد البطيء، بل ويضيف أنه بدون هذه الصفة تصبح نظريته غير مقبولة.

---

[٦٥] Chapter 7: Oller and Omdahl." Moreland, J. P. The Creation Hypothesis: Scientific".

[٦٦] السيرة الذاتية لداروين - طبعة لندن: كولنز ١٩٥٨ - ص ٩٢، ٩٣.

وقد فاجأ العالِم التطوري ستيفن جولد أتباع دارون بنتائج أبحاثه المستفيضة التي أظهرت أن سجل الحفريات، لا يكشف تطورًا شديد البطء، لكنه يتسم بصفتين أساسيتين كانتا قد هدمتا النظرية:

- الظهور المكتمل المفاجئ.
- الثبات والركود.

- الانتخاب الطبيعي، وهو آليه تنتقل من الطفرات العشوائية المفيدة الى الأجيال الثانية، ومن ثم يتم المحافظة عليها. وهذه فرضية تفتقد الدليل، فالعِلم لا يستطيع أن يُثبت عشوائية الطفرات، ومن ثم يصبح القول بالعشوائية مفهوما فلسفيًا وليس علميًا[٦٧].

يُقدم العلم الأدلة المقنعة على مفهوم التطور عن أصل مشترك، وهو ما ذكره القران الكريم.

"وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"[٦٨].

الله سبحانه وتعالى خلق الكائنات الحية ذكية ومفطورة على أن تتلاءم مع البيئة المحيطة بها، ويمكن أن تتطور في الحجم أو الشكل أو الطول، فمثلاً الخراف في البلاد الباردة لها شكل معيَّن وجلود تحميها من البرد، ويزداد الصوف أو ينقص حسب حرارة الجو، وبلاد أخرى خلاف ذلك، فالأشكال والأنواع تختلف باختلاف البيئة، وحتى البشر يختلفون بألوانهم وصفاتهم وألسنتهم وأشكالهم، حيث إنه لا يوجد إنسان يشبه الآخر، غير أنهم يبقوا بشرًا لا يتغيرون إلى نوع آخر من الحيوانات. وقد قال سبحانه وتعالى:

" وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ"[٦٩].

"وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[٧٠].

فنظرية التطور التي يراد بها إنكار وجود خالق، تنص على الأصل المشترك في نشأة جميع الكائنات الحية الحيوانية والنباتية، وأنها تطورت عن أصل واحد وهو كائن وحيد الخلية، وأن تشكيل الخلية الأولى كان نتيجة تجمع للأحماض الأمينية في الماء والتي بدورها شكلت البنية الأولى لحمض النووي DNA والذي يحمل الصفات الوراثية للكائن الحي. وبتجمع هذه الأحماض الأمينية شُكلت البُنية الأولى للخلية الحية. ونتيجة لعوامل بيئية وخارجية مختلفة أدت لتكاثر هذه الخلايا والتي شكلت النطفة الأولى ومن ثم تطورت لعَلقة ومن ثم تطورت لمضغة.

وكما نلاحظ هنا، هذه المراحل شبيهة جدًا بمراحل خلق الإنسان في رحم الأم. غير أن الكائنات الحية يتوقف عندها النمو، ويتشكل الكائن الحي حسب صفاته الوراثية المحمولة على حمض DNA. فمثلاً الضفادع يكتمل نموها وتبقى ضفادع. وكذلك كل كائن حي يكتمل نموه حسب صفاته الوراثية.

حتى لو أدخلنا موضوع الطفرات الجينية وأثرها على الصفات الوراثية في نشأة كائنات حية جديدة، فهذا لا يدحض قدرة الخالق ومشيئته. غير أن الملحدون يقولون: إن هذا يتم بصورة عشوائية. في حين أننا نرى أن النظرية تؤكد أنه لا يمكن لمراحل التطور هذه أن تتم وتسير إلا بقصد وتدبير من خبير عليم. فبالتالي من الممكن تَبنِّي مفهوم التطور الموجه، أو التطوير الإلهي الذي يقول بالتطور

---

[٦٧] مقتبس من كتاب خرافة الإلحاد. د. عمرو شريف. طبعة ٢٠١٤م.

[٦٨] (الأنبياء :٣٠).

[٦٩] (الروم :٢٢).

[٧٠] (النور:٤٥).

البيولوجي ويرفض العشـــوائية، وبأنه لابد من أن يكون وراء التطور عالم حكيم قادر، أي أننا ممكن أن نقبل التطور لكننا نرفض الداروينية تمامًا. ويقول عالم الحفريات والبيولوجي الكبير ستيفن جول: "إما أن أحد نصفي زملائي أغبياء بشدة أو أن الداروينية مليئة بالمفاهيم التي تتماشى مع الدين".

القرآن الكريم يُصحِّح مفهوم التطور من خلال سرد قصة خلق آدم:

لم يكن النسان شيئا مذكورا:

"هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإنسان حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا"[٧١].

خلق آدم كان بداية من طين:

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ"[٧٢].

" الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ"[٧٣].

" إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ"[٧٤].

تكريم آدم أبو البشر:

" قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ"[٧٥].

فتكريم آدم أبو البشر لم يكن أنه خُلق مستقلاً من طين فحسب، بل أنه خُلق مباشرةً بيديّ رب العالمين، كما هو مشار إليه في الآية الكريمة، وطلبه تعالى من الملائكة السجود لآدم طاعة لله.

" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"[٧٦].

خلق ذرية آدم:

" ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ"[٧٧].

" ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"[٧٨].

" وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا"[٧٩].

تكريم ذرية آدم:

" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"[٨٠].

نلاحظ هنا التشابه في مراحل نشأة نسل آدم (ماء مهين، نُطفة، عَلقة، مُضغة،...) ومع ما ورد في نظرية التطور في نشأة الكائنات الحية وطرق تكاثرها.

---

[٧١] (الإنسان:١).

[٧٢] (المؤمنون: ١٢).

[٧٣] (السجدة: ٧).

[٧٤] (آل عمران: ٥٩).

[٧٥] (ص: ٧٥).

[٧٦] (البقرة: ٣٤).

[٧٧] (السجدة: ٨).

[٧٨] (المؤمنون ١٣-١٤).

[٧٩] (الفرقان ٥٤).

[٨٠] (الإسراء: ٧٠).

" فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[٨١].

وأن الله جعل نسل آدم بداية من ماء مَهين للدلالة على وحدة مصدر الخلق ووحدانية الخالق، وأنه مَيَّز آدم عن سائر المخلوقات بخلقه مستقلاً تكريمًا للإنسان ولتحقيق حكمة رب العالمين في جعله خليفة في الأرض. وأن خلق آدم من غير أب ولا أم هو أيضًا للدلالة على طلاقة القدرة، وضرب مثلاً آخر في خلق عيسى عليه السلام من غير أب لتكون معجزة على طلاقة القدرة وآية للناس.

" إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ"[٨٢].

وأن ما يحاول الملحدون إنكاره بنظرية التطور، هو دليل ضدهم.

البقاء للأصلح:

في حواري مع أحد من مؤيدي نظرية داروين، ومن أشد المدافعين عنها، وكان من أشد المدافعين عن المثلية الجنسية، فقلت له : أنت من المدافعين عن المثلية، و من أنصار داروين، و نظرية داروين تقول بالانتخاب الطبيعي، والانتخاب الطبيعي هو عباره عن آلية تنتقل بها الطفرات العشوائية المفيدة إلى الأجيال التالية، ومن ثم يتم المحافظة عليها، أما الكائنات التي تحتوي على فطريات غير مفيدة فتموت وتندثر وتفنى، نظرية داروين تقول إن البقاء للأصلح للحياة ، وطبعا كما نعرف أن زواج الذكر والأنثى هو من الأشياء المفيدة للحياة، لأنهم ينتجوا أجيالًا قادمة لبناء وتعمير الأرض. وأنت تقول: إن وجود المثليين على وجه الأرض شـــيء طبيعي وأنها رغبات طبيعية وميول طبيعي، وهم ليســوا شــواذًا، وإنما هم يمارســون شــيئًا طبيعيًا، قلت له: أليس هذا مخالف لنظرية دارون، حيث إن نظرية دارون تقول: إن بالانتخاب الطبيعي: الطفرات العشوائية المفيدة والصالحة للبقاء هي التي تبقي، فما المفيد من تصرفات المثليين؟

فطبعًا لم يجد إجابة!

دين الفطرة:

هناك قصـــة جميلة حدثت معي من خلال لقائي بزائرين من المكســيك، وقد كانا في منظر مخيف، الوشــوم على جســديهما وعلى أيديهما، أقراط في أُذنيهما وفي أنحاء كثيرة من وجهيهما، كدت ألا أقبل أن أكلمهما عن الإسلام، ولكن قبلت اصطحابهما لأنهما لا يتكلمان الإنجليزية، لكن برفقة بعض الزملاء، وقد كنت أنوي أن أنهي هذه الجولة بسرعة.

بدأت حديثي عن أن المســلمين يؤمنون بإله واحد، الإله الخالق، إله موســى وعيســى وإبراهيم، بناءً على علمي المســبق أنهم من المكسيك، وافترضت أن الأغلبية من أهل هذه البلد هم من النصارى الذين يعرفون موسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام.

قلت لهما: إن الإله الخالق واحد أحد ليس له ولد، وليس كمثله شيء، خلق آدم بلا أب ولا أم، وخلق عيسى نبي الله بلا أب، وأرسل رسالة واحده مع الأنبياء، وإن الرسالة الواحدة تقول: إن هناك خالق واحد يجب أن نعبده كما عبد الأنبياء هذا الخالق.

قوم نوح مثلاً عبدوا الأصــنام وكانت هذه الأصــنام رموز لأشــخاص صــالحين، غير أنهم رفعوا من شــأن هذه الرموز ومقامهم حتى عبدوهم، وقوم عيسى عليه السلام، عبدوا عيسى ورفعوا قدره إلى مقام الألوهية، ولهذا كان الله سبحانه وتعالى يرسل الأنبياء من فترة إلى أخرى ليذكرهم بعبادة الله وحده والرجوع إلى الصواب.

فمثلاً في زمن إبراهيم عليه السلام: أتباع ابراهيم عليه السلام كان دائمًا عليهم عبادة الله وحده، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن إبراهيم رسول الله. وبعث الله موسى عليه السلام لتصديق رسالة إبراهيم، أتباع إبراهيم عليه السلام كان عليهم قبول النبي الجديد، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن موسى وإبراهيم رسل الله.

---

[٨١] (الشورى: ١١).

[٨٢] (آل عمران: ٥٩).

وعندما جاء عيسى عليه السلام لتصديق رسالة موسى عليه السلام، كان على أتباع موسى تصديق عيسى واتِّباعه عليه السلام، وشهادة أن لا إله الا الله، وأن عيسى، وموسى وإبراهيم رسل الله.

وعندما جاء محمد عليه الصلاة والسلام لتصديق رسالة من قبله من الأنبياء، كان على أتباع عيسى وموسى عليهم السلام قبول النبي الجديد، وشهادة أن لا إله الا الله، وأن محمد، وعيسى، وموسى وإبراهيم رسل الله.

فوجئت بالزائرين يبكيان بكاءً شديدًا، رجلان بضخامة وعضلات وطول، وكم كنت على خوف شديد منهما في البداية، وفجأة رأيت منظرًا مهولاً، فسألتهما مباشرة عن سبب بكائهم، فأجاباني، ومن شغفهما وحماسهما الشديدين، كانا يتكلمان بنفس الوقت كالأطفال، ويشكيان بمرارة.

قالا: إننا كنا منذ الصغر على يقين كبير بأن الخالق واحدٌ أحد، وأنه ليس له ولد، وأننا لم نقبل عيسى عليه السلام بأنه إلهًا أبدًا ولا ابن إله، والتثليث كان بالنسبة لنا بلا معنى ولا مغزى ولا تفسير، وكانا قد رفضاه، ورفضا كل نظريات الإلحاد والتطور البيولوجي العشوائي، وهاموا في الأرض ولجأوا الي المخدرات وإلى تصرفات فظيعة مع إيمانهم الداخلي العميق بوجود إله.

وقالا: إننا لم نكن نعتقد بوجود دين على وجه الأرض يقول بلا إله إلا الله. فقد اعتقدنا أن المسلمون يعبدون محمدًا، وأن المسيحيون يعبدون المسيح، وأن البوذيون يعبدون بوذا، واعتقدنا أننا مجانين وغير طبيعيين، فما نجده من ديانات على وجه الأرض، لا يطابق ما في قلوبنا فلجأنا إلى النوادي الليلية. وقالا إنهما عاشا حياةً تعيسةً للغاية، ولم يستمتعا بهذه الحياة الفارغة أبدًا.

قلت لهما: طبعًا هذا الدين موجود، وهذا هو أصل الديانات، وهذا هو الدين الحق، وهو الدين الواحد للجميع، أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وقلت لهم: أن كل مسلم عليه أن يشهد: بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن عيسى رسول الله.

وقد دخل وقت صلاة الظهر، وبدأ مؤذن المسجد بالآذان بصوت جميل جدًا، فبكوا أكثر وزاد بكائهم مع صوت الآذان، وتوقفتُ عن الحديث لسماع الأذان. وما إن انتهى المؤذن من أداء الآذان، حتى قلت لهم: أتدرون ماذا قال؟

قالا: لا.

قلت لهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونقول دائما أن محمدًا خاتم رسل الله، فبذلك نكون قد قبلنا عيسى وموسى وجميع أنبياء الله.

قالا: أنستطيع أن نقول كما قال؟

قلت لهم: إن قلتم فسوف تكون الخطوة الأولى في قبول هذا الدين.

قالا: نعم نحن قبلنا.

ونطقوا الشهادة وسط أجواء رائعة من الدموع والفرح، وأنا شخصيًا بكيت. وكان هذا أكبر دليل على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

قال ابن تيمية: " إنَّ حقيقة التوحيد أن نَعبد الله وحدَه، فلا يُدعى إلاَّ هو، ولا يُخشى إلاَّ هو، ولا يُتَّقى إلاَّ هو، ولا يُتوكَّل إلاَّ عليه ولا يكون الدين إلاَّ له، لا لأحدٍ من الخَلق".

بل كذَّبوا بما لم يُحيطوا بعلمه

وهو معكم أينما كنتم:

في حوار لي مع سائقي الشخصي في نيجيريا، وقد كان كاثوليكيًا متدينًا، قال: إنني أؤمن أن المسيح هو ابن الله، لكنني على قناعة أنه يجب عليَّ أن أدعو وألجأ إلى الله وحده، فأنا لا أطلب من المسيح أبدًا، قال لي معقبًا: كنت أدعو الله يومًا وأبكي وأقول: يا رب أنا لا ألجأ إلا إليك، ولا أدعو غيرك، أنت تعرف أنني أنوي الزواج، والزواج مسؤولية، زوجتي في المستقبل سوف تحمل بابني، ويكون عليَّ يومًا أن أذهب بها إلى المستشفى لتضع جنينها، وسوف احتاج عندها سيارة لأُقلِّها بها، وقلت: يا رب أريد سيارة خاصة بي، وبكيت بشدة. واستطرد قائلاً: وبعد مرور عدة أسابيع، فوجئت بثري من أثرياء منطقتنا، وقد كنت أقوم له ببعض الأعمال مقابل مبلغ من المال، يقول لي: أنا قد اشتريت لزوجتي هذه السيارة الصغيرة كهدية، ولم تقبلها مني لأنها صغيرة، وأنا مغتاظ جدًا منها، وفاجأني بقوله: أنا سوف أعطيك هذه السيارة.

قال لي السائق: أنتِ لن تتخيلي فرحتي حينها، وكانت فرحتي باستجابة الله لي، أكبر من فرحتي بحصولي على السيارة.

أمّا أنا فتذكرت قول الله تعالى: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ"[٨٣]، وقلت في نفسي، ما أعظمك يا الله، إذا كان هذا حالك مع من يُشرك بك ويقول لك ولد، فما بال حالك بمن قال عنك: لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كُفُوا أحد. وفرحت كثيرًا.

وفرحوا بما عندهم من العِلم:

أذكر أنني كنت دائمًا أشعر بالملل خلال تنقلي مع زوجي في بلدان صعبة، ومحاولات زوجي الجاهدة لأن يساعدني للتأقلم والعيش فيها، أذكر أنه قد قام مرةً بدعوة زميل له من دولة أرمينيا مع زوجته على العشاء في مطعم جميل وهادئ، ليعطيني الفرصة لأتعرف على الزوجة، لعل صداقتها تُهوِّن عليَّ غربتي.

لقد لفتت نظري هذه الزوجة بحشمتها وبراءة وجهها، لدرجة أنني شعرت أنها طاقة من الإيمان والبراءة.

وفرحت بها، وخصوصًا أنها قالت لي أنها مُدرسة لغة إسبانية، وتريد أن تتعلم العربية، اتفقنا على أن أُعلمها العربية مقابل أن تتحدث معي بالإسبانية كل يوم لمدة ساعة حتى لا أنسى هذه اللغة، وأبدأ أنا بتعليمها العربية لساعة أخرى يوميًا.

بدأت لقاءاتنا وكنا نسكن في نفس المجمع السكني، ونلتقي في مقهى صغير داخل المجمع، وكانت الأمور تجري على أحسن حال، حتى حصلت المفاجأة، عندما سألتني عن معنى كلمة "الحمد لله" الذي يرددها المسلمون، قلت لها: المسلم يحمد خالقه في السراء والضراء، وهو يعلم أنَّ ما يصيبه من الخير يأتي من رب العالمين، وما يصيبه من سوء فمن نفسه، وعليه أن يتوب إلى الله ويستغفره.

فاجأتني بما لم أتوقعه وقالت: الله غير موجود، أنتم تضحكون على أنفسكم، الحياة ستفنى ونصير إلى العدم.

أما أنا فشعرت بذهول شديد، ليس لأنني لم أقابل ملحدين في حياتي، فأنا دائمًا ما أتحاور مع ملحدين، لكنني لم أتوقع هذا الوجه الذي يحمل كل هذه البراءة والحشمة في اللباس، يخفيان قلبًا أسودًا لا يعرف الله.

قالت: أنا معي درجات عليا في الفيزياء، وأبي عالِم فيزياء، وأبي حذرني من الخوض في هذه التُراهات، وكأني أسمع صوته الآن يقول لي: احذري أن يخدعوك.

---

[٨٣](الحديد:٤).

قلت لها: وعندما تتعرضين لمواقف صعبة ولا يستطيع أباكِ نفسه مساعدتك ولا غيره، فلمن تلجئين؟

قالت: أنا لا أحتاج أحدًا، أنا أعتمد على نفسي ولا أحتاج الإله المزعوم أن يساعدني.

قلت لها عجيب أمركِ، كيف يمكن أن يكون ما تقولينه صحيحًا، وأنتِ فقط عند إصابتك بأنفلونزا حادة قد لا تستطيعين أن تصلي لكوب الماء لتشربي. ماذا قالت لكِ الفيزياء؟ الفيزياء أخبرتك أن هناك موجات صوتية عليكِ أن تؤمني بها دون أن تَرَيْها، وأخبرتكِ عن موجات فوق بنفسجية عليكِ أن تؤمني بها دون أن تريها، وأن الضوء خارج الزمان، وأن الجزيئات المتصلة عندما تنفصل عن بعضها تظل تتواصل مع بعضها في نفس الوقت. وأقنعتكِ بوجود عوالم أخرى، وصدَّقتِ ذلك دون أن تري شيئًا. وأخبركِ العِلم المادي بأن تؤمني وتصدقي بأشياء غير موجودة أصلا كالسراب، وتؤمنين بهذا وتُسلِّمين به، وعند موتك لن تنفعك الفيزياء ولا الكيمياء، حيث أنهم وعدوك بالعدم.

أنتِ آمنتِ أن الضوء خارج الزمن، ولم تقبلي أن الخالق لا يخضع لقانون الزمان والمكان. بمعنى أن الله تعالى قبل كل شيء، وبعد كل شيء، وأن الله تعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته.

أنتِ آمنتِ أن الجزيئات المتصلة عندما تنفصل عن بعضها تظل تتواصل مع بعضها في نفس الوقت، ولم تقبلي فكرة أن الخالق بعلمه مع عبيده أينما ذهبوا.

أنتِ آمنتِ بأن لديك عقل دون أن ترينه، ورفضتِ الإيمان بالله دون أن ترينه أيضًا.

أنت رفضتِ الإيمان بالجنة والنار، وقبلتِ بوجود عوالم أخرى لم تريها.

قلت لها معقبة: من المؤمنين أيضًا من لديه درجات عليا بالفيزياء والكيمياء، لكنه يدرِك أن هذه القوانين الكونية وراءها خالق عظيم، فالعِلم المادي الذي يؤمن به أباكِ قد اكتشف القوانين التي خلقها الله، لكن العِلم لم يخلق هذه القوانين. فالعلماء لن يجدوا شيئًا يدرسونه بدون هذه القوانين التي أوجدها الله. في حين أن الإيمان ينفع المؤمن في الدنيا والآخرة. في زيارتك القادمة لأبيكِ، أخبريه بما قلته لكِ، واساليه عمّن يتبنى التُراهات فعلاً.

قالت: هذه ليست تُراهات، العِلم يقول: أننا جئنا نتيجة لأحداث عمياء وعشوائية وغير عقلانية، ووفقًا للعِلم، يتجه هذا الكون نحو الزوال الحتمي وسيعاني من "الموت الحراري". وسيتم تدمير حياة الإنسان قبل هذا الموت الحراري، حيث ستقوم الشمس في نهاية المطاف بتطهير الأرض، طبعًا النهاية للموت والعدم.

قلت لها: بناءً على ذلك إذا افترضنا أن هذه الحياة عبارة عن سفينة غارقة بركابها لا محالة حسب قولك، فما الهدف من توفير وسائل الراحة على سطح هذه السفينة.

أين الطريق؟

وكنت قد استطردت حواري مع هذه السيدة الأرمينية قائلة لها: أنتم تزعمون أن كل شيء لا معنى له جوهريًا، وبالتالي لدينا الحرية في إيجاد معنى لأنفسنا من أجل الحصول على حياة مُرضِية. إنَّ إنكار الهدف من وجودنا، هو في الواقع خداع للذات. وكأننا نقول لأنفسنا "دعونا نفترض أو نتظاهر بأن لدينا هدفًا في هذه الحياة". وكأنَّ حالنا كحال الأطفال الذين يتظاهرون باللعب بأنهم أطباء وممرضين، أو أمهات وآباء.

إننا لن نحقق السعادة إلا إذا عرفنا هدفنا في الحياة.

قالت: أنا سعيدة هكذا.

قلت لها: ما هي السعادة الحقيقية والهادفة؟ تخيلي أنكِ وُضعتِ ضد إرادتك في قطار فخم، وتجدين نفسكِ في الدرجة الأولى، تجربة فاخرة ومريحة، قمة في الرفاهية.

هل ستكونين سعيدة في هذه الرحلة دون الحصول على أجوبة لأسئلة تدور في ذهنكِ مثل: كيف ركبتِ القطار؟ ما هو الغرض من الرحلة؟ الى أين تتجه؟ إذا بقيت هذه الأسئلة دون إجابة، كيف يمكنك أن تكونين سعيدة؟ حتى إذا بدأتِ في الاستمتاع بكل الكماليات التي تحت تصرفك، فلن تحققي أبدًا سعادة حقيقية وذات مغزى. هل الوجبة الشهية في هذه الرحلة كافية لأن تُنسيكِ هذه الأسئلة؟ إنَّ هذا النوع من السعادة سيكون مؤقتًا ومزيفًا، لا يتحقق إلا بتجاهل متعمد لإيجاد أجوبة لهذه الأسئلة المهمة، إنها كحالة من حالات النشوى الزائفة الناتجة عن السُكر التي تودي بصاحبها إلى الهلاك[٨٤].

حينها تفاجأت بتغير في نبرة صوتها، وقالت: حسنًا، إذا كان الله حقًا موجود، فهذا بالنسبة لي سيَّان، فأنا على أية حال زوجة صالحة، ولا أؤذي أحدًا، وأعامل الجميع باحترام. فلماذا سوف يعاقبني؟

تذكرت حينها قول الله تعالى:

" وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ"[٨٥].

وقوله تعالى:

"وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا" [٨٦].

قلت لها: ما فائدة علاقتك بكل من حولكِ، إذا كانت علاقتك بخالقكِ مقطوعة، هل تقبلين علاقتك مع والدك الذي تتخذينه مثالاً، أن تكون أسوأ علاقة في حياتك؟ وهل سيقبل والدك بهذا ويكافئكِ عليه؟

سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على العليم الخبير:

تقي الدين بن تيمية يقول: "كيف يُطلَبُ الدَّليلُ على مَن هو دَليل عَلى كُلِّ شيء؟" وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت: "وليس يصِحُّ في الأذهانِ شيءٌ ... إذا احتاج النَهارُ إلى دَليلُ".

يسرد لنا القران دلائل وجود الله:[٨٧]

دليل الخلق والإيجاد:

ويعني أن نشأة الكون من العدم، تدل على وجود الاله الخالق.

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ "[٨٨].

دليل الوجوب:

إذا قلنا إن كل شيء له مصدر، وأن هذا المصدر له مصدر وإذا استمر هذا التسلسل على الدوام فإنه من المنطق أن نصل إلى بداية أو نهاية. لا بد من أن نصل إلى مصدر ليس له مصدر وهذا ما نسميه "السبب الأساسي" وهو يختلف عن الحدث الأساسي، فعلى سبيل المثال، إذا افترضنا أن الانفجار العظيم هو الحدث الأساسي، ولكن الخالق هو المسبب الأساسي الذي سَبَّب هذا الحدث.

سألني ملحد يومًا سؤالاً، ظنًا منه أنني لن أجد له إجابة، قال: إذا كان الله هو الخالق، فمن الذي خلق الله؟

---

[٨٤] Hamza Andreas Tzortzis. The Divine Reality: God, Islam & The Mirage of Atheism.

[٨٥] (النحل:٦٢).

[٨٦] (الكهف: ٣٦).

[٨٧] مقتبس من كتاب خرافة الإلحاد. د. عمرو شريف. طبعة ٢٠١٤م.

[٨٨] (آل عمران:١٩٠).

قلت له: أجبني على سؤال بسيط أولاً، وسوف تعرف الإجابة.

قال: حسنًا.

قلت له: ما هي رائحة اللون الأحمر؟

قال: لا يوجد إجابة على هذا السؤال لأن اللون الأحمر لا يُصنف ضمن الأشياء التي يمكن شمّها.

قلت له: شكرًا لك، وبذلك، كل سبب له مُسبِّب، لكن الإله ببساطة لم يُسبَّب، ولا يُصنف ضمن الأشياء التي يمكن خلقها. الإله هو الأول قبل كل شيء، فهو المسبب الأساسي.

إن الشركة المصنِّعة لسلعة أو بضاعة كالتلفزيون أو الثلاجة مثلاً، تضع قوانين وضوابط لاستخدام الجهاز، وتقوم بكتابة هذه التعليمات في كتاب يشرح طريقة استخدام الجهاز وتُرفقه مع الجهاز. وعلى المستهلك اتباع هذه التعليمات والتقيد بها إذا ما أراد أن يستفيد من الجهاز على النحو المطلوب، في حين أن الشركة المصنِّعة لا تخضع لهذه القوانين.

فالله هو الذي خلق قانون السببية، ولا يمكن اعتباره خاضعًا للقانون الذي خلقه، لقد خلق الوقت، لذا فهو لا يخضع للوقت، فهو لا يمر في نفس المراحل الزمنية التي نمر نحن بها، ولا يتعب، ولا يحتاج إلى وضع نفسه في شكل مادي أو أن ينزل إلى الأرض، لذلك لا يمكننا أن نراه في هذه الحياة، لأننا محاصرون في الزمان والمكان، فعلى سبيل المثال: يمكن للشخص الذي يجلس في غرفة بلا نوافذ أن يرى داخل الغرفة فقط. ولرؤية ما في الخارج، يجب عليه مغادرة الغرفة، ومع أن قانون السببية من سُنن الله الكونية، إلا إن الله سبحانه وتعالى فعالٌ لما يريد، وله طلاقة القدرة.

فسألني: لماذا لا يمكن أن يأتي الله إلى الأرض بأيِّ صورة كانت؟

قلت له: على سبيل المثال، ولله المثل الأعلى، ولتقريب الفكرة فقط، فعندما يستخدم الإنسان الجهاز الإلكتروني، ويتحكم فيه من الخارج، فإنه لا يدخل بأي حال من الأحوال داخل الجهاز.

فضحك وقال: فعلاً كلام سليم.

دليل الاتقان والنظام:

ويعني أن دقة بناء الكون وقوانينه تدل على وجود الاله الخالق.

" الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ"[٨٩].

"إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"[٩٠].

دليل العناية:

وهو أن الكون قد تم بناؤه ليكون ملائمًا تمامًا لنشأة الإنسان، ويعود هذا الدليل إلى صفات الجمال والرحمة الإلهية.

" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ"[٩١].

دليل التسخير والتدبير:

ويختص بصفات الجلال والقدرة الإلهية.

---

[٨٩] (الملك: ٣).

[٩٠] (القمر: ٤٩).

[٩١] (إبراهيم:٣٢).

" وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[٩٢].

دليل التخصيص:

ويعني أن ما نراه في الكون، كان يمكن أن يكون على هيئات عديدة، لكن الله عز وجل اختار منها الهيئة الأفضل.

"أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) وَنَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ "[٩٣].

"أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا "[٩٤].

من أين جئنا:

يذكر القرآن احتمالات لشرح كيفية خلق الكون ووجوده[٩٥]:

"أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ"[٩٦].

أم خُلقوا من غير شيء:

وهذا يتنافى مع كثير من القوانين الطبيعية التي نراها من حولنا، فمثال بسيط، كأن نقول إن أهرامات مِصر وجدت من لا شي كافي أن يدحض هذا الاحتمال.

أم هم الخالقون:

خلق الذات: هل استطاع الكون أن يخلق نفسه؟ يُشير مصطلح "مخلوق" إلى شيء لم يكن موجودًا وظهر إلى الوجود، الخلق الذاتي هو استحالة منطقية وعملية، وهذا يرجع إلى حقيقة أن الخلق الذاتي يعني أن شيئًا ما كان موجودًا وليس موجودًا في نفس الوقت، وهو أمر مستحيل، والقول إن الإنسان خلق نفسه يعني أنه كان موجودًا قبل أن يكون موجودًا!

إن كثيرًا من الناس حين تسأله من أوجدك فيقول ببساطة: والديَّ هم السبب في وجودي في هذه الحياة، ومن الواضح أنه جواب يراد به الاختصار وإيجاد مخرج لهذه المعضلة، فالإنسان بطبيعته لا يريد أن يمعن التفكير ويجتهد، فهو يعلم أن والداه سيموتان، ويبقى هو وتأتي من بعده ذريته لتعطي نفس الجواب، وهو يعلم أنه ليس له يد في خلق أبناؤه. فالسؤال الحقيقي هو: من أوجد سلالة الإنسان؟ وقد علق أحد الملحدين على هذه النقطة بقوله: أنه يمكن العثور على الخلق الذاتي في الكائنات أحادية الخلية، والمعروف أيضًا في علم الأحياء باسم التكاثر اللاجنسي.

أجبته بما كنت قد قرأت يومًا[٩٧]: أنه يجب بدايةً افتراض أن الخلية الأولى موجودة أصلاً لطرح هذا النقاش، وإذا افترضنا هذا القول، فإن هذا ليس خلقًا ذاتيًا، بل هو أسلوب تكاثر، والذي ينشأ من خلاله النسل من كائن حي واحد، ويرث المادة الوراثية لذلك الوالد فقط.

أم خلقوا السماوات والأرض:

ولم يوجد أحد ادَّعى أنه خلق السماوات والأرض، إلا صاحب الأمر والخلق وحده، هو من كشف عن هذه الحقيقة، عندما أرسل رسله إلى البشرية، والحقيقة هي، أنه هو خالق وبديع ومالك السماوات والأرض وما بينهما. وليس له شريك ولا ولد.

---

[٩٢] (النحل: ٥ — ٨).

[٩٣] (الواقعة:٦٨-٦٩-٧٠).

[٩٤] (الفرقان:٤٥).

[٩٥] Hamza Andreas Tzortzi.The Divine Reality: God, Islam & The Mirage of Atheism.

[٩٦] (الطور:٣٥-٣٧).

[٩٧] Hamza Andreas Tzortzi.The Divine Reality: God, Islam & The Mirage of Atheism.

" قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ"[٩٨].

وممكن أن نضرب مثالاً هنا، وهو عند العثور على حقيبة في مكان عام، ولم يأتِ أحد ليدَّعي أنه صاحب الحقيبة، باستثناء شخص واحد، قام بتقديم مواصفات الحقيبة ومواصفات ما بداخلها للدلالة على أنها له، في هذه الحالة تصبح هذه الحقيبة من حقه، إلى أن يظهر شخص أخر غيره ويدَّعي أنها له، وهذا حسب قوانين البشر.

وجود خالق:

كل ذلك يقودنا إلى الجواب الذي لا مفر منه، وهو وجود خالق، والغريب أن الإنسان يحاول دائمًا أن يفترض احتمالات كثيرة بعيدة عن هذا الاحتمال، وكأن هذا الاحتمال شيء خيالي مستبعد لا يمكن تصديقه أو التحقق من وجوده. فلو وقفنا وقفه صادقة، عادلة ونظرة علمية ثاقبة، لتوصلنا لحقيقة أن الإله الخالق لا يمكن الإحاطة به، فهو الذي خلق الكون بأسره، فلا بد أن ذاته خارج الإدراك الإنساني، ومن المنطقي أن نفترض أن هذه القوة الغيبية ليس من السهل التحقق من وجودها، ولا بد من هذه القوة أن تُفصِح عن ذاتها بنفسها بالطريقة التي تراها مناسبة للإدراك البشري، ولا بد للإنسان أن يصل لقناعة، أن هذه القوة الغيبية حقيقة موجودة وأنه لا مفر من اليقين بهذا الاحتمال الأخير والمتبقي لتفسير سر هذا الوجود.

"فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ"[٩٩].

وأنه لا بد من الإيمان والتسليم بوجود هذا الإله الخالق المبدع، إذا ما كنا نبحث عن دوام الخير والنعيم والخلود الأبدي.

لماذا نحن هنا:

أذكر سيدة بريطانية كنت قد قابلتها في نيجيريا، وسألتني: لماذا خلقنا الله؟

قلت لها: تخيلي نفسكِ غنية جدًا وكريمة للغاية، ماذا كنتِ ستفعلين؟

قالت: كنت سوف أدعو أصدقائي وأحبابي إلى الطعام والشراب.

قلت لها: صفاتنا هذه ما هي إلا جزء بسيط مما عند الله، فالله الخالق له صفات جلال وجمال، هو الرحمن الرحيم، المعطي الكريم، لقد خلقنا ليرحمنا ويسعدنا ويعطينا، وكل الصفات البشرية الجميلة مشتقة من صفاته.

وقلت معقبة: إنه خلقنا ومنحنا القدرة على الاختيار، فإما أن نختار طريق الطاعة والعبادة، وإما أن ننكر وجوده ونختار طريق التمرد والمعصية.

قالت: لماذا لم يجبرنا على عبادته؟

قلت لها: كان بإمكانه أن يجعلنا مكرهين على الطاعة والعبادة، لكن الإكراه لا يحقق الهدف المرجو من خلق الإنسان.

فالحكمة الإلهية تمثلت في خلق آدم وتَميُّزه بالعلم.

" وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"[١٠٠].

ومنحه القدرة على الاختيار.

" وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"[١٠١].

وفتح باب التوبة والإنابة له، كون أنَّ الاختيار لا بد وأن يُوقِع في الخطأ والزلل والمعصية.

---

[٩٨] (سبأ: ٢٢).

[٩٩] (الذاريات: ٥٠).

[١٠٠] (البقرة: ٣١).

[١٠١] (البقرة: ٣٥).

"فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[١٠٢].

وكل ذلك التجهيز ليجعله خليفةً في الأرض.

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"[١٠٣].

فالإرادة والقدرة على الاختيار في حد ذاتها نعمة، إذا تم استخدامها وتوجيهها بصورة سليمة وصحيحة، وتكون نقمة إذا تم استغلالها لمقاصد ومآرب فاسدة.

إن الإرادة والاختيار، لا بد أن تكون محفوفة بالمخاطر والفتن والكفاح وجهاد النفس، وهي بلا شك أعظم درجةً وتكريمًا للإنسان من الخنوع المؤدي للسعادة المزيفة.

"لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا"[١٠٤].

فما فائدة الثواب والعقاب إن لم يكن هناك اختيار نستحق عليه الجزاء؟

وهذا كله مع العلم أن مساحة الاختيار الممنوحة للإنسان فعليًا محدودة في هذه الدنيا، والله سبحانه وتعالى سوف يحاسبنا فقط على ما أعطانا فيه حرية الاختيار، فالظروف والبيئة التي نشأنا فيها لم يكن لنا خيار فيها، كما أننا لم نختر آباءنا، كما أننا لا نملك التحكم في أشكالنا وألواننا.

عز العبادة ولا ذل المعصية:

إن عبادة الله لا تقتصر على توجهنا له وحده بالصلاة والصوم فقط، بل إن عبادة الله تعني أيضًا حبه وطاعته ومعرفته أكثر، عبادة الله يجب أن تكون هي الهدف النهائي لوجودنا، إنها تحررنا من "العبودية" للآخرين والمجتمع.

إن التسليم لله رب العالمين وحده يحفظ كرامة الإنسان من التذلل لغيره، ومن كان يبتغي العزة فإنه يجدها في التقرب لرب العالمين بالكلام الطيب والعمل الصالح.

" مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ"[١٠٥].

وكلما تواضع الإنسان لربه، كلما زاده رفعةً وشأنًا.

وأتذكر هنا كلمات أرددها كثيرًا وهي: " ربي كفى بي عزًا أن أكون لك عبدًا، وكفى بي فخرًا أن تكون لي ربًا ".

ويستشعر الإنسان بالراحة والطمأنينة في كلمات الرسول عليه السلام:

"وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"[١٠٦].

وليس كما يظن البعض أن المؤمن مأسور بالعبادة، فالإنسان لا بد أن يكون قلبه متعلق بهدف يسعى لتحقيقه.

---

[١٠٢] (البقرة: ٣٧).
[١٠٣] (البقرة: ٣٠).
[١٠٤] (النساء: ٩٥).
[١٠٥] (فاطر: ١٠).
[١٠٦] (صحيح الترمذي).

وإننا حتمًا إن لم نعبد الله فسوف ينتهي بنا المطاف إلى عبادة "آلهة" أخرى، فالقلب إما أن يتعلق بأمر من أمور الدنيا يسعى لتحقيقه ويجري ورائه للحصول عليه، أو أن يتعلق بخالقه وأصل وجوده، وبالتالي فإن رغباتنا وأهوائنا قد تستعبدنا دون أن نشعر، في حين أن ربط قلوبنا بالله عز وجل وبالآخرة، تخرجنا من حلقة الاستعباد لغيره، ورب العالمين هو خالقنا وهو أحق من نلجأ إليه ونستعين به.

كثيرًا من الناس ينجذبون إلى الشهرة والموضة، كما أن الإعلانات ووسائط التواصل الاجتماعي تشد اهتمام الناس بشَكل مفرط، ولها دور كبير في بث مفاهيم قاصرة تدعو للاهتمام بالجزيئات وتشتيت الأولويات، وهذا كله يُسهم في معاناتنا، ويجعلنا نعيش حياةً مضطربة وغير سعيدة. كما أن بعض المعايير الاجتماعية وغيرها من الضغوط العائلية التي قد تفرض علينا مراعاة تقاليد ومفاهيم موروثة، تشدنا بعيدًا عن المطلوب منا في هذه الحياة وواجبنا تجاه الدين.

الأم مثلا تعد الطعام لأبنائها على أي حال، إن كانت مؤمنة أو غير مؤمنة، لكن المؤمنة تجدد نيتها وتهب أعمالها لله، وتنتظر منه الجزاء، فبذلك لن تحزن أبدًا إذا لم يُقدر أبناءها مجهودها، فهي تنتظر ثوابها من الخالق، فبذلك نجد أمامنا امرأة لا تُحبَط من خذلان أبناء، ولا تخاف من رئيس في العمل، ولا تخش من تنمر صديق، لأنها قالت بأعلى صوتها: حياتي كلها لله.

فنحن لا نملك في هذه الحياة إلا أن نقبل دعوة الله للإيمان به والتسليم له، لنكسب خيري الدنيا والآخرة، أو نرضى بالدنيا فتهلكنا، ويكون مصيرنا الجحيم.

وإنني أذكر تعليق لملحدة برتغالية، حاصلة على درجة الدكتوراة في الفلسفة، عندما قلت لها هذا الكلام، قالت: أنتم محظوظون بهذا الإيمان وهذه الطريقة في التفكير، أنا لم أجد هذا الجمال في التفكير في كتب الفلسفة ووجدته لديكم أنتم المسلمون.

العِلم والإيمان

لا غالب إلا الله:

في زيارة لنا لقصر الحمراء في غرناطة، وعند دخولنا القصر، رأينا عبارة "لا غالِبَ إلا الله" منقوشة على الجدران، وفاضت عيناي بالدموع، فقد كانت نسمات الماضي المشرِّف للمسلمين تهب في كل مكان.

وذهبت بأفكاري إلى أمجاد الماضي، عندما كان علماء المسلمون يعلمون العالَم العربي والغربي الطب والصيدلة والهندسة والفلك والشِّعر، وأنشأ المسلمون أوَّل جامعة تعرفها أرض أوروبا في إسبانيا، وإلى زمن عبد الرحمن الداخل الذي طوَّق جيشه إيطاليا وفرنسا؟ وإلى زمن المعتصم عندما عبث رومي بعباءة امرأة فصاحت وآ معتصماه، فجهَّز المعتصم جيشًا للدفاع عنها. فتعجَّبت من الادعاء الذي يتبناه الكثيرون من أن اتباع تعاليم الدين يعود بنا إلى الوراء!

وكان قد قطع شرودي بالتفكير المرشد السياحي الإسباني وهو يقول: العبارة المنقوشة في الأعلى تعني بالعربية " لا غالِبَ إلا الله "، إن كان معنا عرب هنا، فليقولوا نعم بصوت عالي إن كنت على صواب، فقلت فورًا: نعم، نعم، "لا غالِبَ إلا الله" وابتهجت نفسي فرحًا.

وشهد شاهد من أهلها:

الكاتبة الألمانية الشهيرة سيجريد هونكه، صاحبة كتاب "شمس الله تشرق على الغرب"[١٠٧]، الذي صدر عام ١٩٦٠ ميلادي، قد نقلت فيه نصًا طريفًا ومهمًا، يتحدث عن موقفًا مشابهًا تمامًا لما يعيشه كثير من المسلمين اليوم.

المتحدث هو أُسقف قرطبة "ألقاروا" في زمن تفوق الحضارة الإسلامية، وكان يشتكي بقوله: "إنَّ كثيرين من أبناء ديني، يقرؤون أساطير العرب ويتدارسون كتابات المسلمين من الفلاسفة وعلماء الدين، ليس ليدحضوا، وإنما ليتعلموا اللغة العربية، ويحسنون التوسل بها، حسب التعبير القويم والذوق السليم، وأين النصراني اليوم من غير المتخصصين الذي يقرأ التفاسير اللاتينية للإنجيل؟ بل من ذا الذي يدرس منهم حتى الأناجيل الأربعة؟ وآحسرتاه! إن شباب النصارى جميعهم اليوم، لا يعرفون سوى لغة العرب والأدب العربي! إنهم يتعمقون بدراسة المراجع العربية باذلين في قراءتها ودراستها كل ما في وسعهم من طاقة، منفقين المبالغ الطائلة في اقتناء الكتب العربية وإنشاء مكتبات ضخمة، ويذيعون جهرًا في كل مكان، أن ذلك الأدب العربي جدير بالإكبار والإعجاب! ولئن حاول أحد إقناعهم بالاحتجاج بكتب النصارى، فإنهم يردون باستخفاف، ذاكرين أن تلك الكتب لا تحظى باهتمامهم، وآمصيبتاه! إن النصارى قد نسوا حتى لغتهم الأم، فلا تكاد تجد اليوم واحدًا في الألف يستطيع أن يدبج رسالة بسيطة باللاتينية السليمة، بينما العكس تعبيرًا وكتابةً وتحبيرًا، بل إنَّ منهم من يقرضون الشعر بالعربية، حتى قد حذقوه ونافسوا في ذلك العرب أنفسهم".

لقد كانت اكتشافات العلماء المسلمين هي المعتمدة خلال العصور الوسطى، وقد كان العلماء المسلمون يتعبدون إلى الله بعلمهم، ويتقربون به إليه، دون أن يظهر أي تعارض بين العِلم المادي والدين، بل كثيرًا ما كان من العلماء المسلمين فقهاء في علوم الدين، ورجال عِلم في نفس الوقت.

---

[١٠٧] كتبت أيضا: (الله ليس كذلك) وهو كتاب تدافع فيه عن المسلمين والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي.

ولقد وضع علماء الإسلام منهجًا تجريبيًّا حسيًّا وعقليًّا في البحث، وقد كان مختلفًا تمامًا عن المنهج اليوناني، كما وضعوا نظريات علمية مستقلة للمعرفة.

وحتى في العصر الحديث، هناك علماء كبار قد حازوا على جوائز نوبل في الطب والفيزياء، دون أن يروا تعارضًا بين العِلم والدين.

إن فكرة النزاع بين الدين والعِلم لم تظهر عبر التاريخ، حتى في اليهودية، فإنه على مدى عصور كثيرة كانت السيطرة للدين، وكان التطور العلمي بطيئًا، ويدور في فلك الضرورات، أو كان ممزوجًا بالوثنيات والأساطير؛ ولكن ظهر هذا الصراع في عصر سيطرة الكنيسة، بعد ظهور النصرانية بأكثر من تسعة قرون.

وقد ظهرت قضية الصدام بين الدين والعِلم في عصر النهضة الأوربية، وبداية الوقوف بحزم من رجال العلم ضد سيطرة الكنيسة، وتطور الإلحاد عند البشر بصور مختلفة، ولكنه ظهر عند أصحاب الكتب السماوية السابقة بصورة واضحة، بسبب المفهوم المعقد والمحرف عن الإله في تلك الكتب، والذي ينافي المفهوم البسيط الذي فطره الله في قلوب البشر. ومن الأسباب الأخرى التي دفعت الناس للإلحاد والمطالبة باستبدال الدين بالعلم، كانت بسبب مطالب وأوامر رجال الدين والمؤسسات الدينية غير المقبولة، والتي كانت بهدف مكاسب دنيوية وسياسية. وقد عانى العالَم من هذا الصراع بين الدين والعِلم المادي، الكثير من التدنِّي في الأخلاقيات، القِيم البشرية والفكر الإنساني.

العلم في القرآن:

لقد ذكر الله آيات كثيرة في القرآن الكريم في الدعوة لتحفيز العقل البشري، وإيقاظ الحواس، والتأمل والتفكر.

"أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[١٠٨].

**" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" **[١٠٩].

أول آيات القرآن الكريم نزولاً، تحدثت عن العلم بشكل عام، وعن خلق الإنسان بشكل خاص، وهذا المزج الرائع في التكامل بين العلم والإيمان تتجلى صوره في كثير من الآيات.

"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ"[١١٠].

ونجد هنا أن الآيات الكريمة أشارت إلى النظر والتدبر في إنزال المطر والألوان المختلفة من الثمرات والجبال والناس والدواب، وفي هذا إشارة واضحة لشمولية العِلم والمعرفة بكافة تخصصاتها، مما جعل الدين والعِلم جزأين متكاملين.

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ "[١١١].

---

[١٠٨] (العنكبوت: ١٩-٢٠).

[١٠٩] (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

[١١٠] (العلق: ١-٥).

[١١١] (فاطر: ٢٧-٢٨).

ما الحاجة للدّين؟

يقول "هانز شـفارتز" أسـتاذ علم اللاهوت:" إنه مع أهمية العلم، إلا أنه يمكن أن يسـتخدم للهدم تمامًا كما يمكن أن يسـتخدم في التعمير، وهنا يأتي الدور الأهم للإيمان، وأن التجربة العملية لا يمكن أن تأتي بكل الإجابات ".

وقال: "يحتاج الإيمان والمعرفة بعضـهما البعض، ويجب على العلماء أن يعترفوا بأنهم أحيانًا ما يسـتخدمون الإيمان ليتمكنوا من فهم العلاقات العميقة بين مظاهر الطبيعة التي يلاحظونها".

ويرى شفارتز، "أن العلماء لا يمتلكون الحقائق والإجابات كما يدَّعون، ويجد في التساؤلات التي يواجهها العلماء يوميًا أكبر دليل على هذا الأمر، وخاصةً العلماء الذين يبحثون في أصل الحياة، فكلما توصلوا لاستنتاج، ناقضه اكتشاف جديد في اليوم التالي".

والسـؤال عن مصـدر حياتنا والمغزى منها، والذي لا يمكن للعِلم المادي الإجابة عليه، أعطى الدور للميتافيزيقا أو علم ما وراء الطبيعة للإجابة عليه، وكانت حادثة هيروشـيما وغيرها من الكوارث التي حدثت بسـبب الاختراعات العلمية، قد أفقدت العِلم براءته، وأطلق الفيلسوف "كارل جاسبرز" وغيره على العِلم المادي مُسمَّى الخرافة.

ونستنتج من ذلك أنه من غير الممكن الإجابة على أسئلة أصل الحياة وهدفها والأخلاقيات، مع استمرار المحافظة على التطور العلمي؛ إلا من خلال التوفيق والتكامل بين العِلم والدين.

إلحاد الفجوات وليس إله الفجوات:

في حوار لي مع ملحد روسي كان قد طرح كثيرًا من الأسئلة، ومنها أنه قال: هل يستطيع الخالق خلق صخرة كبيرة لا يستطيع حملها؟ والمقصود بهذا النوع من الأسئلة، أنَّ إجابتي سواءً كانت بنعم أو لا، فإنها تُظهِر وكأن الخالق ليس كُلِّي القدرة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا.

وقد أدهشـني سـؤاله جدًا، لأنني كنت قد قرأت لأول مرة عن طرح الملحدين لهذا النوع من الأسـئلة في اليوم السـابق فقط لحواري معه[١١٢]، فكانت صـدفة غريبة، ولقد استفدت من قراءتي لهذا الكتاب في الإجابة عن هذا السؤال وأسئلة أخرى كان قد طرحها هذا الملحد خلال الحوار.

فقلت له: حسنًا هل تستطيع أن ترسم لي مثلثًا دائري الشَّكل؟

فقال لي مباشرة: أنتِ تتلاعبين بالكلام.

قلت له: أنت الذي تلاعبت في الكلام ليس أنا، فسـؤالك ليس له معنى وليس فيه منطق. الخالق الإله الواحد الأحد جل جلاله، لا يفعل ما لا يليق بجلاله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا، وأعطيته مثالاً بسـيطًا لتقريب الفكرة فقط، حيث قلت له: أن أي قسـيس أو إنسان لديه منزله دينية رفيعة لا يخرج الى الشارع العام عاري الجسد، على الرغم من استطاعته فعل ذلك، لكنه لا يمكن أن يخرج للملأ بهذه الصورة؛ لأن هذا التصرف لا يليق بمكانته الدينية.

ولله تعالى المثل الأعلى، فالله قادر على كل شيء، لكنه لا يفعل ما لا يليق بمقامه جل جلاله.

قال: الإله غير موجود، العِلم هو الطريق الوحيد للحقيقة.

---

[١١٢] كتاب خرافة الإلحاد. د. عمرو شريف. طبعة ٢٠١٤م.

قلت له: هذه العبارة ليس بيانًا علميًا قائمًا على الأدلة والملاحظات التجريبية، وبالتالي لا يمكن قبوله كحقيقة. الحقيقة أننا نعلم أن الأشياء لا تظهر بدون سبب، ناهيك عن هذا الكون المادي المأهول الضخم وما فيه من مخلوقات، تمتلك وعيًا غير ملموس، وتطيع قوانين الرياضيات غير المادية.

قال: أنتم المؤمنون تتبنَّون مبدأ "إله الفجوات"[١١٣]. عندما تعجزون عن تفسير شيء بأسلوب علمي، فإنكم تطرحون الإله كستار لجهلكم ولخمولكم العقلي، وفي نفس الوقت تستدلون بهذا الجهل على وجود إلهكم، أي كلما وجدتم ثغرة في العِلم، نسبتم إلى الإله القيام بها.

قلت له: هل الرجوع إلى صانع الطائرة عند عدم فهمنا لآلية عمل محرك الطائرة يعتبر فجوة في تفكيرنا؟ بالرغم من أنَّ صانع الطائرة لا وجود له في أي خطوة من آلية عمل المحرك، لكنه مسؤول عن وجود الآليات التي نعرفها.

إن العِلم المادي يقول إن الكون قد نشأ من العدم، بينما يخبرنا العِلم نفسه، أن المادة لا تفنى ولا تستحدث من عدم، مما أوقع العلماء في حيرة، فبما أن المادة لا تُستحدث من عدم، فكيف نشأ الكون من عدم؟ الآن يأتي دور الدين لتفسير ما أقر العِلم بعجزه عن تفسيره. إنَّ إلهنا ليس إلهًا لسد ثغرات منشأها الجهل، لكنه السبب الأول وراء كل الآليات التي يكتشفها العِلم.

قلت له مسترسلة: أنتم من تتبنَّون مبدأ إلحاد الفجوات، فأنتم تستخدمون عدم قدرتكم أو عدم رغبتكم في إدراك مصدر قوانين الكون، كدليل على أنَّ هذا المصدر لا وجود له، وهذا في الواقع أكبر فجوة في الإدراك والمنطق، أليس هذا "إلحاد الفجوات"؟

قلت له مسترسلة: إنه لشرح وجود كون مادي محدود، نحتاج إلى مصدر مستقل، غير مادي وأبدي. يمكن للعِلم أن يدرس فقط الأشياء التي يمكن الشعور بها أو رؤيتها، وهو ما يعني الأشياء ذات الخصائص الفيزيائية المحدودة، لذلك، لا يمكننا أبدًا تفسير وجود الكون بالعِلم المادي وحده.

إن الطبيعة بكل قوانينها ما هي إلا حقيقة من حقائق الكون، وليست تفسيرًا لسبب وجود الكون، وما يُكتشف من قوانين ليست نفيًا لوجود الصانع، بل هي بيانًا لخلق الله.

فعلى سبيل المثال، من يُودِع في مؤسسة ادخار كل شهر مبلغًا من المال، ويأتي في نهاية العام، ليستلم المال الذي ادَّخره مع الأرباح من المؤسسة، ويقول له المحاسب: إن قانون الضرب الذي استخدمناه في حساب المبلغ هو الذي أوجد لك النقود.

لكن في الواقع بدون ما قام به الشخص من إيداع للنقود، سيظل رصيده صفرًا، ومِن ثم، فإنَّ ادعاء أنَّ قوانين الطبيعة هي التي أوجدت الكون، هو السَّفه بعينه. النظريات والقوانين تصف مسار الأمور بدقة، لكنها لا توجد شيئًا من العدم.

قوانين الحركة تستطيع أن تصف مسار كرة السَّلة، لكن يد اللاعب هي التي تحرك الكرة، وهكذا فإن القوانين تحتاج إلى موجود تؤثر فيه قوة محددة، في مكانٍ ما، وزمانٍ ما، وبدون هذه العناصر، لا عمل لهذه القوانين، بل لن تكون موجودة أصلاً.

يعطينا الدين ما لا يعطينا العِلم:

يستطيع الإنسان بالعِلم المادي أن يصنع صاروخًا، لكن لا يستطيع بهذا العِلم أن يحكم على جمال لوحة فنية مثلاً، ولا تقدير قيمة الأشياء، ولا يُعرفنا الخير والشر. بالعِلم المادي نعلم أن الرصاصة تقتل، ولا نعلم أنه من الخطأ أن نستخدمها لقتل الغير.

---

[١١٣] نوع من النقاش في علم اللاهوت والذي يتم من خلاله جعل الفراغات (النقص) في المعرفة العلمية دليلاً على وجود الإله.

يقول ألبرت آينشتين عالم الفيزياء الشهير:" لا يمكن أن يكون العِلم مصدرًا للأخلاق، لا شك أن هناك أُسسًا أخلاقية للعِلم، لكننا لا نستطيع أن نتحدث عن أسس علمية للأخلاق، لقد فشلت وستفشل كل المحاولات لإخضاع الأخلاق لقوانين العِلم ومعادلاته".

ويقول إيمانويل كانط الفيلسوف الألماني الشهير: "إن البرهان الأخلاقي لوجود الإله أقيم وفق ما تقتضيه العدالة، لأن الإنسان الخيِّر يجب أن يُكافأ، والإنسان الشرير يجب أن يعاقَب، وهذا لن يحدث إلا في ظل وجود مصدر أسمى يحاسِب كل إنسان على ما فعل، كما أن البرهان قائم على وفق ما تقتضيه إمكانية الجمع بين الفضيلة والسعادة، إذ لا يمكن الجمع بينهما إلا في ظل وجود ما هو فوق الطبيعة، وهو العالم بكل شيء والقادر على كل شيء، وهذا المصدر الأسمى والموجود ما فوق الطبيعة يُمثل الإله".

وكان الملحد الروسي قد سأل مجددًا: حسنًا، لكن في اعتقادي، إن وجود تحقيق منافع وراء فكرة الإله، جعلت الإنسان يتوهم بوجود الإله لتحصيل هذه المنافع.

قال الملحد مسترسلاً: إذا كان قوس قزح هو انعكاس الأشعة الشمسية على المطر، فمن الخطأ القول: إن منفعتنا في الاستمتاع بمنظر قوس قزح تدفعنا للاعتقاد بوجود خالق، فباكتشاف العِلم للآلية التي أظهرت ألوان قوس قزح، فقد نفى بالقطعية وجود الخالق.

قلت له: إذا كنت تسير في الطريق وضاع منك هاتفك المحمول، ووجدت كابينة هاتف عمومي، وأردت الاستفادة منها والاتصال بزوجتك، هل استفادتك من وجود هذا الهاتف، واكتشافك لآلية عمله، دليل على عدم وجود صانع أصلاً لهذا الهاتف؟ أم أن الهاتف العمومي وجود حقيقي وله صانع؟ إن وجود الفائدة لا ينفي وجود الشيء، بل يؤيده.

في الواقع، إن استمتاع البشر بمنظر قوس قزح الجميل، واكتشاف العِلم للآلية التي أظهرت القوس، لا ينفي وجود خالق الشمس ومُنزل المطر.

قال: إن الملحد لا يمكن أَن يؤذي الآخرين، ولا يمكن أن يدفع إنسانًا لفعل تصرفات سيئة، كما يفعل بعض المتدينين باسم الدين.

قلت له: يدعو الدين إلى الأخلاق الحميدة وتجنب الأفعال السيئة، وبالتالي فإن السلوك السيئ لبعض المسلمين يرجع إلى عاداتهم الثقافية أو جهلهم بدينهم وابتعادهم عن الدين الصحيح. ألم تسمع عن محاولات إقامة الشيوعية في العالم التي تسببت بمقتل الملايين من المسلمين والمسيحيين، كيف تقول إذًا إن إنكار الإنسان للإله لا يمكن أن يدفع إنسانًا لفعل تصرفات سيئة؟

يقول أحد الفلاسفة الشُيوعيين: "كنا نظن أنه يمكن أَن نكون أَفضل دون إله، وأن نحافظ على إنسانية الإنسان، كم كنا مخطئين، لقد حطمنا الإله والإنسان سويًا".

قال: صفي لي الخالق؟

قلت له: سوف أُعطيك مثالاً للتقريب فقط، صف لي أنت أولاً شيئًا غير مادي مثل "الفكرة". أعطني وزنها بالجرامات، وطولها بالسنتيمترات وتركيبها الكيميائي ولونها وضغطها وشكلها وصورتها[١١٤].

قال: طبعا غير ممكن.

قلت له: إننا لكي نصف أمرًا ليس ماديًا، فإنَّ علينا استخدام مصطلحات وأوصاف أخرى تختلف اختلافا كبيرًا عن المصطلحات التي نستخدمها في دائرة العلوم، فما بالك في وصف خالق الكون وما يحتويه.

قال: أنا أشعر أن فكرة الإيمان كقصص الأطفال المسلية، أو رؤى المنام الجميلة التي تُسلي الإنسان عن همومه، ولكن ليس أكثر.

---

[١١٤] كتاب الله يتجلى في عصر العلم. مجموعة من العلماء الأمريكيين.

قلت له: هذه الرؤى الجميلة أفضل من كابوس الإلحاد الذي تعيشونه، كن مع خالقك الواحد الأحد المحيي المميت، ولا تُبال.

قال: الطبيب أيضًا يُحيي ويُميت، حين يقرر علاج مريضه أو يتخلى عنه، والقاتل حين يتراجع عن قتل ضحيته فكأنه أحياها.

فذكرت له هذه الآية:

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"[١١٥] .

قلت له معقبة: أتدري ما كان عقاب الله لهذا الرجل؟ لقد أرسل الله عليه مخلوقًا من أضعف مخلوقاته، وهي بعوضة، دخلت في أنفه، ووصلت لدماغه، حتى مات، ليُثبت الله أنَّ الإنسان مهما أُوتي من قوة وجبروت، يبقى عاجزا عن حماية نفسه من أصغر مخلوقات الله.

استطرد الملحد الروسي: لكنَّ الخالق كان عليه أن يأخذ رأيي قبل أن يخلقني! كيف يُجبر الخالق شخص على حياة هو لا يريد أن يعيشها؟

قلت له: تستطيع أن تخرج من الحياة بقتل نفسك. إن عدم اقدامك على الانتحار، وخوفك على حياتك لهو أكبر دليل على رضائك عن خلقه لك.

قال: أنت تقولين: إن في بداية خلق الإنسان تم عقد ميثاق بين الإنسان وخالقه، حيث شهد له بالوحدانية والربوبية، لكنني لا أتذكر ذلك.

قلت له: ألا تنظر عيناك إلى السماء رغمًا عنك، عند تعرضك لخوف شديد؟ ألا ترتفع يداك دون أن تدري لطلب العون من القوة الخفية التي في السماء؟

قال: بلى. – وكنت قد بدأت أشعر بنبرة حزن في صوته – قلت له: إذًا فأنت تتذكر، ولكن في الضراء، فأنت في الواقع مؤمن، ولكن عليك أن تتذكره في السراء والضراء ليكتمل إيمانك.

كان قد فاجأني هذا الملحد الروسي بحركة غريبة عندما أخبرته أنني سوف أذهب إلى مكتبي وأُحضر له نسخة من كتابي المفهوم الحقيقي للإله، لكي يبحث في هذا الكتاب عن أجوبة للأسئلة التي لا زالت في ذهنه، حيث أنَّه أخبرني بضرورة مغادرته المسجد حالاً، نظرًا لانتهاء الوقت المحدد له لزيارة المسجد، وفقًا لبرنامج مكتب السياحة الذي جاء عن طريقه، وقد كان المرشد السياحي ينتظره في قاعة المسجد، لكن في زاوية بعيدة، وعندما ذهبت لإحضار الكتاب وعدت ثانيةً، دخلت القاعة ولم أجد الملحد الروسي في المكان الذي كنا نتحدث فيه، فأخذت أبحث عنه في كل مكان، وقد أخبرني المرشد أنه في زاوية أخرى، فنظرت حيث أشار لي المرشد، فوجدته قد أتم سجود المسلمين رافعًا رأسه من السجود وهو يبكي بشدة، فأدهشني المنظر، وقال لي المرشد السياحي مازحًا، ماذا فعلت بالرجل؟

قلت له: لم أفعل شيئًا، كان قد سألني أسئلة كثيرة وقد أجبت عليها، فقال المرشد لي: إن الزائر أخبرني في غيابك أنه متأثر جدًا، وأنه لطالما أحبَّ أن يكون مؤمنًا، لكنه لم يجد أجوبة على أسئلة كثيرة تدور في ذهنه، والآن وجدها، فقلت للمرشد: الحمد لله، هذا من فضل الله وتوفيقه، والله يعلم علم اليقين أن هذا الشخص فيه خيرًا كثيرا، وهو يبحث عن الحقيقة، ولهذا فقد يَسَّر له الطريق إلى هذا المكان.

---

[١١٥] (البقرة: ٢٥٨).

العلَّة الفاعلة والعلَّة الغائيَّة[١١٦]:

يصف أبو حامد الغزالي رحمه الله أن لكل موجود (كتابًا مثلاً)، عِللاً أربع.

العِلَّة المادية: وهي الأصباغ والورق الذي صُنع منها الكتاب.

العِلَّة الظاهرة: وهي الهيئة التي شُكِّل عليها الكتاب.

العِلَّة الفاعلة: هي المؤلف، صانع الورق وعامل الطباعة.

العِلَّة الغائية: وهي الغرض الذي من أجله كَتب الكاتب الكتاب.

ولقد تجاهل الملحدون العِلَّة الغائية، باعتبارها خارج نطاق العلم، لأنه لن يُخبِر بالغاية من الصنعة إلا صانعها، واعتبروا التصديق بها ضد العلم، وصار على الجميع التصديق بأن الكون وما فيه لا غاية من ورائه.

في الواقع، أنَّ كل ما يقوم به الإنسان من نشاطات، وما يجري في الكون من أحداث يجمع بين الآلية والغائية، فنحن على سبيل المثال، نتناول كوب الماء بأيدينا بآلية الحمل، لنشرب ونروي ظمأنا، وكذلك نستخدم الطائرة بآلية الركوب للوصول إلى مكانٍ معين[١١٧].

وأذكر أن ملحدًا قال لي يومًا: إن الاعتراف بوجود الخالق يُعطِّل العقل والمنطق.

قلت له: إنَّ دور العقل هو الحكم على الأمور والتصديق عليها، فعجز العقل عن التوصل للغاية من وجود الإنسان مثلاً، لا يلغي دوره، بل يعطي الفرصة للدين ليخبره بما عجز عن إدراكه، فيخبره الدين عن خالقه ومصدر وجوده والغاية من وجوده، فيقوم هو بالفهم والحُكم والتصديق على هذه المعلومات، فبذلك يكون الاعتراف بوجود الخالق لم يعطل العقل ولا المنطق.

يقول ابن طفيل في قصة حي بن يقظان:

"إن العقل يستطيع بما لديه من الأفكار الفطرية الأولى أن يُدرك الحق فيما يتعلق بالمبادئ الأولى، ويدرك منها وجود الله، وأما ما وراء ذلك من أسرار الوجود والخلق والخالق المحجوبة عنا بحُجب الغيب، فهو أعجز من أن يدرك كُنهها وأحقيتها؛ لأن الحواس لا تُدرِك غايات الأشياء، ونحن نرى أن العقل قادر على إدراك القوانين، واستنباط الكليات والوعي بالعلل، لو أنه تحرر من ضغوط المكابرة والعناد الإلحادي، وما لا يستطيع العقل فعله، هو الوصول للتفاصيل والجزئيات التي يأتي بها الدين، وتُعتبر حقائق الدرجة الثانية، ومن المفروض أن تُقبل تبعًا للحقائق الكبرى، كما أن العقل أيضًا وإن كان قادرًا على إدراك وجود الله، فهو عاجز عن إدراك كُنه الله، ولا أعتقد أنه من البحث العلمي في شيء، الإصرار على البحث في كُنه الله، **" لَيس كَمثله شَيْءٌ "** [١١٨]. وهذا ليس لأنه لا يدرَك بالحواس فحسب، بل لأنه لا يوجد عالِم طبيعة يستطيع أن يعرف كل شيء عن حقيقة ذبابة واحدة وخواصها، فضلاً عن أن يعرف كُنه ذات الله، فهل يرجو الإنسان الذي لا يعرف المادة، ولا يعرف كيف يعرف، ولا يدرِك كيف يدرِك، أن يدرِك حقيقة الله".

وأتذكر هنا تعليق لملحد يومًا، أنه قال: لقد توصَّل العِلم المادي إلى أن جهاز الحاسوب يشبه عقل الإنسان، والسبب:

أولاً: كل الماديات ذات الأشكال والنُّظم يمكن تقليدها.

ثانياً: المخ عبارة عن مادة ونظام.

---

[١١٦] كتاب تهافت الحكماء في رد مذاهب أهل الأهواء لأبي حامد الغزالي.

[١١٧] مقتبس بتصرف من كتاب وهم الإلحاد. دكتور عمرو شريف. طبعة الأزهر نوفمبر/ديسمبر ٢٠١٣.

[١١٨] (الشورى: ١١).

ثالثاً: إذًا المخ يمكن تقليده.

رابعاً: إذًا المخ هو حاسوب.

قلت له: أنت كمن يقول إن جهاز الحاســـوب يُدرك ما يحتوي من معلومات! أو كمن يقول إن جهاز التلفاز يُدرك ما يَعرض من برامج، إن الفارق بينهما هو إدراك عقل الإنسان وشعوره بما يفعل.

من عبادة الكون لعبادة رب الكون:

إن من مظاهر النزاع الذي قام بين الدين والعلم المادي في بلاد اليونان القديمة، أن حرَّمت الشرائع اليونانية دراسة علم الفلك، مما أعاق التطور العلمي بسبب عبادة موجودات الكون. ولقد عجَّل فشل نظام دول المدائن في اليونان القديمة تدهور الدين القديم؛ ذلك لتزايد اليقين لديهم بأن آلهة المدينة عاجزة عن حمايتهم، فتزعزع إيمان الناس بهذه الآلهة واختلط أهلها بالتُّجار الأجانب، الذين بدورهم نشروا الشكوك واللهو بين المواطنين، وقد بقيت أساطير الآلهة المحلية القديمة بين الفلاحين والسُذَّج من سكان المدن، وانتشرت الخرافات والأوهام، في الوقت الذي بلغ فيه العلم المادي أوجُه، وبذلك لم يتقدم العلم في اليونان القديم، إلا بعد أن توقف بعض مفكريه عن تقديس موجودات الكون. لكنَّ الخطأ الفادح الذي وقعوا فيه هو، عندما اعتبروا أنَّ الإلحاد ضروري لممارسة العِلم الحقيقي.

وقصة إبراهيم عليه السلام في القرآن تُعلِّمنا أنَّ التخلِّي عن عبادة موجودات الكون، لا تعني دحض وجود خالق للكون؛ بل هي دعوة لعبادة رب الكون[١١٩].

"وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ(٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[١٢٠].

لماذا تخلَّفنا؟

إن الحضارة الإسلامية قد نجحت في إظهار حرية العقل والفكر، وكان دين الإسلام نفسه مسؤولاً، ليس فقط عن إنشاء حضارة عالمية شـارك فيها أناس من خلفيات عرقية مختلفة، لكنه لعب دورًا رئيسًـا في تطوير الحياة الفكرية والثقافية على نطاق لم يسـبق له مثيل من قبل. منذ حوالي ثمانمائة عام، كانت اللغة العربية هي اللغة الفكرية والعلمية الرئيسة في العالم، فلماذا تخلفنا الآن إذًا؟

في حوار لي مع صديقة مسلمة، كانت ابنتها قد رسبت في امتحان الثانوية العامة، البنت معروفة بإهمالها في الدراسة وعدم جديتها، وكان ذلك تزامنًا مع مرض أم صديقتي الشديد، وكانت صديقتي بِحُكم عملها لا تستطيع البقاء مع والدتها في المنزل لرعاية شؤونها، وكان رسوب البنت يستدعي إعادة دراسة مناهج السنة الدراسية من المنزل، فكانت طبعا فرصة لأن تكون برفقة جدتها هذه المدة، حيث إنه لن يتسنَّ لها الالتحاق بالجامعة هذا العام.

كنت قد تفاجأت أن صديقتي بدأت تُحدث الناس بأن الله قد تسبب في رسوب ابنتها، لتتمكن من الجلوس مع أمها ورعايتها.

قلت لها: عجيب! الله الذي قد تسبب في رسوب ابنتك، أم إهمالها في دراستها؟

قالت: أما رأيتِ هذا التيسير والتوقيت المناسب لرسوب بنتي تزامنًا مع مرض أُمي؟

---

[١١٩] مقتبس بتصرف من كتاب وهم الإلحاد. دكتور عمرو شريف. طبعة الأزهر نوفمبر/ديسمبر ٢٠١٣.

[١٢٠] (الأنعام: ٧٥-٧٩).

قُلت لها: "ولا يَظلِم رَبُّك أحدا"[١٢١]، الله لن يظلم ابنتكِ ليوفِّر سُبل الراحة لكِ، الله عَلم بعلمه المسبق أنَّ ابنتك مهمِلة ولن تنجح في الاختبار، لكنه لم يجبرها على الرسوب، ولو كانت ابنتك متفوقة لهيَّأ الله أسبابًا أخرى لرعاية أمك.

وتذكرت حينها قصة من القصص التي روتها لي أُمي عند صغري، ولا أدري ما مصدرها، ولكن فيها كثير من الحقيقة.

والقصة تقول: أنه في بلاد الأندلس، عندما كانت البلاد تحت حكم الإسلام، وأراد أحد الحكام الظلمة أن يحتلها، فأرسل جاسوسًا إليها ليأتيه بأخبار الجيوش ومدى استعدادهم، فما أن دخل بلاد الاندلس، وجد طفلاً صغيرًا في طرف المدينة، يجلس تحت شجرة ويبكي، لأنه تعوَّد على أن يضرب عصفورين بسهم واحد، واليوم لم يستطع أن يضرب إلا عصفورًا واحدًا بسهم واحد، وكان قد اعتبر هذا الإخفاق بسبب ذنب قد اقترفه، فقال الجاسوس في نفسه: إذا كان هؤلاء هم أطفالهم ، فكيف بكبارهم، فرجع من طرف المدينة إلي الحاكم وقال له: لا طاقه لك بهؤلاء، ولكن انتظر حتى تدخل عليهم المعاصي والذنوب لتتمكن من دخول تلك البلاد.

"...إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا..."[١٢٢].

الشاهد هنا، أنَّنا لا نتخلَّف بالمعاصي فقط، ولكن نتخلف أيضًا بعدم اعترافنا بتقصيرنا وذنوبنا، فالانتصار على الأعداء والنجاح في الحياة، لا بد أن يسبقه الانتصار على النفس، ومجاهدتها على: تقوية الإيمان، البعد عن المعاصي، حُسن الظن بالله، الأخذ بالأسباب، الاعتراف بالذنب وتجديد التوبة دائمًا، ليأتي النصر ويتحقق المراد.

يقول ابن القيم: "احذر نَفسك فَمَا أَصَابَك بلَاء قطّ إِلَّا مِنْهَا، وَلَا تُهادِنها، فوَاللَّه مَا أكرمها من لم يُهنها، وَلَا أعزها من لم يُذلها، وَلَا جبرها من لم يَكسرها، وَلَا أراحها مَن لم يُتعبها، وَلَا أمّنها مَن لم يُخوّفها، وَلَا فرّحها من لم يُحزنها ".

إنَّ في الحضارة الإسلامية، لم يظهر ما يُسمى بالنزاع بين العِلم والدين كقضية، بل قد اعتبر بعض علماء الطبيعة والفلك والرياضيات المسلمين أنفسهم في عبادة الله تعالى.

لقد تقدم الغرب بالعلوم والمعارف عندما ترك المعتقدات الخاطئة، والتي كانت تقوم على أساس الدين المشوَّه لديهم، ولذلك نجح عندما ترك هذه البدع، وبدأ بالأخذ بأسلوب العلم والمنطق، وترك الخوض في الغيبيات المستقاة من أفكار رجال الدين، ومع توجُّههم للعلم بطريقة سليمة، كانوا قد خسروا القِيم والأخلاق والغاية من وجودهم، بتغاضيهم عن اعتناق الدين الصحيح.

لكن عند العرب كان الوضع على النقيض، فقد تخلَّف العرب عندما تركوا الدين الصحيح، وتوجَّهوا للعلم بأسلوب خاطئ، عندما جروا وراء الأسلوب الغربي في التفكير والتقليد الأعمى. وإذا ما رغبنا في استرجاع أمجاد الماضي، فلا بد من تصويب الوضع، وإعادة ترتيب الأولويات، فالدين عندنا صحيح ومعتقداته سليمة، ويحث ويُحفز على العِلم بأسلوب روحي، عقلي ومنطقي، ويرفض البدع والخرافات، فالأساس عندنا موجود ولا ينقصه إلا البنيان، لإعادة بناء الحضارة من جديد.

---

[١٢١] (الكهف:٤٩).

[١٢٢] (آل عمران: ١٥٥).

الدين القيِّم

والذين آمنوا أشد حبًّا لله:

في زيارة لنا لمعلَم من المعالم المميزة في هونغ كونغ، وجدنا الناس تتهافت على الصـــلاة لتمثال بوذا وتقريب القربات له، ودائمًا ما كان يدور في خاطري، كيف أن غواتاما اســتخدم كلمة "بوذا" بســياق كلمة "نبيّ" وعنى بذلك الشــخص الذي يتم تنويره بالوحي الإلهي. وكان قد قال لأتباعه:" أنا لم أكن أول بوذا ولن أكون آخر بوذا"، وعندما يشعر البوذي بخوف شديد، يلجأ إلى القوة التي في السماء لطلب الإغاثة"[١٢٣]. ووسط الازدحام الشديد، والأفكار التي تدور في خلدي عن اعتقادات هذه الشعوب، سمعت زوجي يقول بصوت واضح وعالي نسبيًا: لا إله إلا الله، ابتسمت وقلت له: أخفض صوتك، فنحن محاطون بالناس، قال لي: صدقيني لا أستطيع اخفاض صوتي، لا أستطيع أن أتمالك نفسي. فقلت في نفسي سبحان من جَبَلَ القلوب السليمة على ذِكره، وتذكرت الآية الكريمة: **"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ"**[١٢٤]، وسُعدتُ كثيرًا.

أمَر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القَيِّم:

إن بالنظر إلى الثقافات والحضـارات المختلفة للأمم، واختلاف اللغات والمعتقدات للشعوب، نجد أنه يوجد قواسـم مشـتركة فيما يتعلق بالقيم والأخلاق والمعاني الإنسـانية، كما تتشـابه كثيرًا مشـاكلنا وتحدياتنا وطموحاتنا. فالشـعوب لا تتشـارك فقط في القِيم والأخلاق والمعاني الإنسـانية، بل وأيضـا في الخلفية التاريخية وأصـول الدين والعقيدة، فنحن جميعًا نلتقي في آدم ولا بد أن آدم كان له دين ومعتقد واحد. وإن اختلاف الديانات والمعتقدات جاءت من البشر.

وبإمعان النظر في معتقدات الشعوب، نكتشف أنَّ غالبية الأمم التي لديها موروث ديني ولديها رموز دينية مختلفة، لا تزال تؤمن بوجود خالق للكون، وتلجأ إليه عند الشدائد، مما يؤكد أنَّ هذه الديانات والمعتقدات لها أصول تاريخية نابعة من ديانة أصلية واحدة صحيحة. وأنَّ ما لدى الشـــعوب الحالية من تراث ديني يحوي بداخله على مبدأ التوحيد والإيمان بإله واحد والتفرد بعبادته، وأنَّ هناك دلائل وشواهد في هذه الديانات والكتب تشير إلى أنَّ جذورها وأصولها ترجع إلى عقيدة التوحيد.

أتذكر عندما كان ابني يقضي وقت الاجازة السنوية في العمل التطوعي في مجال الدعوة إلى الله، وقد كان طالبًا في كلية الهندسة آنذاك. كان قد أخبرني يومًا، أنه في أثناء حواره مع شخص من الديانة الهندوسية، قد لفت نظره أنه يؤمن بإله واحد أحد، لكنه يلجأ بالتوسل لغير الله، حيث قال له الهندوسي: نحن نشتري آلهتنا حسب إمكانيتنا، فمن لديه المال، يشتري إلهًا من ذهب، والفقير يشتري إلهًا من خشب، فتعجب ابني من قوله وقال: وعند حدوث خلل في الطائرة وتدركون أنكم هالكون لا محالة، ماذا تفعلون؟ قال: نلجأ إلى الإله الواحد الذي في السماء. فقال له ابني: إذًا لماذا لا تلجؤوا له كل يوم لتتوحد قلوبكم لما فيه خيركم.

---

[١٢٣] (إنجيل بوذا، صفحة ٢١٧ -٢١٨) "قال أناندا للمبارك: "من يعلمنا عندما تذهب؟ " فرد المبارك: "لست أول بوذا جاء إلى الأرض ولن أكون الأخير. في الوقت المناسب سوف يظهر بوذا آخر في العالم ""

[١٢٤] (البقرة: ١٦٥).

تذكرت حين انتهى ابني من سرد القصة، قصة عمران بن حُصَين، عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه:" يا حُصَين كم تعبد اليوم إلهًا؟ قال الأب: سبعةٌ ستةٌ في الأرض وواحدٌ في السَّماء. قال النبي الكريم: فأيهم تَعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السَّماء. فقال له النبي: فاترك الذين في الأرض واعبد الذين في السماء، فأسلم الحصين"[١٢٥].

ففرحت وقلت لابني: سبحان الذي هداك لهذا الجواب.

"... إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[١٢٦].

ولن أنسى إجابة زائرة هندوسية، عندما سألتها عن خوفها الشديد مني عندما كنت أكلمها عن المفهوم الحقيقي للإله، قالت: أنا أخاف أن أناقشك لأنكِ قد تكوني أنتِ الله، حيث لديكِ كثير من العلم، فالإله قد يأتي بصورة إنسان أو ربما حيوان ليعلمنا درسًا معينًا، وقد يكون قد أتى في صورتك.

حينها شعرت بمشاعر مختلطة بين الرغبة في الضحك من إجابتها، والحزن على حالها، والتعجب من الحال التي وصل إليها هؤلاء الناس.

قلت لها: عجيب أمرك، أنا لا أستطيع أن أتخيل أبي أو زوجي في صورة حيوان أو أي مخلوق آخر، كيف تقبلين هذا التصور للإله الخالق، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وأتذكر هنا قصة زائر هندوسي كان قد جاء برفقة ابنته وزوجها المسلمَيْن، ودموع ابنته شوقًا لسماع خبر قبول والدها لاعتناق الإسلام، لا زالت في ذاكرتي.

كان فعلاً قد قبل عرضًا منيٍّ لاعتناق الإسلام، عندما أجبته عن سؤال يدور في ذهنه، قال: أنا مقتنع بالإسلام، ولكن أشعر أنني حين أُصبح مسلمًا، سوف يكون تصرُّفي هذا فيه كثير من قلة الاحترام لوالديّ وعدم الوفاء لهما بعد موتهما.

قلت له: وهل نسيت حق خالقك الذي خلقك وصَوَّرك وكرَّمك، وأعطاك المال والولد؟ إن كان أبواك قد ألقوا بأنفسهم في البحر ليغرقوا، هل كنت سترمي بنفسك؟ مستقبلك مع خالقك وليس مع أبويك. ولو كان لأبويك الفرصة للعودة للحياة لنصحوك بالإسلام.

وكنت قد أكَّدتُ قبل نطقه بالشهادة على ضرورة الإيمان باليوم الآخر، وترك عقيدة تناسخ الأرواح، وهذه من النقاط الأساسية التي يجب التركيز عليها، وكان قد سألني عن السبب.

قلت له: هل تقبل إدارة أي مدرسة أو جامعة لأيٍّ من تلاميذها، أن يُكمل أحدًا عنه الاختبار عند انتهاء الوقت المحدد؟ الحياة هي ورقة اختبارك.

إننا لو تأملنا الانسجام الموجود بين أجساد البشر وأرواحهم لتَبيَّن لنا أنَّه من غير الممكن جعل هذه الأرواح تسكن في أجساد الحيوانات ولا يمكن لها التجوُّل بين النباتات والحشرات (تناسخ الأرواح) ولا حتى في أشخاص. لقد مَيَّز الله الإنسان بالعقل والمعرفة وجعله خليفة في الأرض، وفضَّله وكرَّمه ورَفع من شأنه على كثير من الخلائق. ومن عدل الخالق وجود يوم القيامة والحساب والجنة والنار، لأنَّ كل الأعمال الصالحة والسيئة سوف تقاس وتُوزن في هذا اليوم.

" فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ "[١٢٧].

---

[١٢٥] (أخرجه الترمذي).

[١٢٦] (يوسف: ٤٠).

[١٢٧] (الزلزلة: ٧-٨).

ومن القصص الجميلة التي رواها لنا أحد شيوخنا الأفاضل في مجال الدعوة، عن شخص من الديانة الهندوسية والذي كان قد سافر لأول مرة في حياته، وكان قد وضع إلههُ الصغير في حقيبة السفر مع باقي أغراضه الشخصية، وعندما وصلت الطائرة إلى وجهتها، لسوء حظه ضاعت الحقيبة، وذهب إلى استعلامات المطار ليُبلِّغ عن فقدان حقيبته، وعندما سألوه عن محتويات الحقيبة، خجل أن يخبرهم أنَّ إلههُ داخل الحقيبة، وقد كان هذا الموقف المحرِج نقطة انطلاق له للبحث عن الحقيقة، وإدراك فداحة ما ارتكبه طول حياته من عبادة ما لا ينفع ولا يضر من دون الله. وانتهى به المآل إلى الإسلام، وعندها أيقن أنَّ فقدانه للحقيبة في ذلك اليوم كان من حُسن حظه وليس كما ظن في البداية.

وإلهكم إلهٌ واحد:

منذ ظهور الإنسان على الأرض – منذ عهد آدم – أرسل رب العالمين الرسل، وكان يختار أكثر الرجال ورعًا وتقوى في قومه ليكون نبيًا وحكمًا بينهم، ولتذكيرهم بإخلاص العبودية لله وحده. وكلما قام الناس بتحريف رسالة الأنبياء السابقين، وحادوا عن الطريق السليم وعبدوا غيره، كان الله يُرسل نبيًا جديدًا ليقود الناس ويعيدهم إلى الطريق الصحيح وتوجيههم مرةً أخرى لعبادته وحده.

أرسل الخالق رسالة واحدة إلى جميع الأمم وطريق واحد للخلاص، عبارة عن رسالة واضحة بسيطة وهي: الإيمان بإله واحد، وعبادته وحده. كان وجود النبي في قومه بمثابة المشكاة التي تنير الطريق لأتباعه ويُبين لهم وسيلة الحصول على الخلاص، وذلك باتباع تعاليم هذا النبي وأفعاله بعبادة الخالق وحده، وليس كما يفهم البعض خطأً أن يجعلوا نبيهم وسيط أو إله، للتقرب لرب العالمين من خلاله.

كما أن العديد من الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله للأمم المختلفة، ذُكرت أسمائهم في القرآن الكريم (مثل عيسى، موسى، إبراهيم، نوح، داود، سليمان، إسماعيل، إسحق ويوسف، إلخ....)، هناك آخرون لم يُذكروا. فإن احتمالية كون بعض الرموز الدينية في الهندوسية والبوذية (مثل راما، كريشنا، وغواتاما بوذا) أن يكونوا أنبياء أرسلهم الله، هي فكرة غير مستبعدة، غير أنَّ هذه الشعوب استخدمت هذه الرموز للشرك بالله. وبينما تَتذرَّع بعض الشعوب بأن الله لم يبعث فيهم رسولاً ولا نبيًا كما أرسل للعرب النبي محمد، فيأتي القرآن الكريم ليؤكد عكس ذلك في قوله تعالى:

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ" [١٢٨].

وقوله تعالى:

"إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"[١٢٩].

وهنا تتجلَّى عظمة الإسلام في شموليته وبساطته، فمُصطلح الإسلام غير مرتبط بأي شخص أو مكان أو جماعة خاصة، ولكنه يعكس العلاقة مع رب العالمين.

أَذكر هنا قصة لمدرس اللغة الفرنسية الكاثوليكي في أفريقيا، أنه قال لي يومًا أمام الطلاب في الفصل، وقد كنت المسلمة الوحيدة بينهم، قال: أنا أحب الإسلام.

قلت له: لماذا؟

قال: المسلمون يعبدون إلهًا واحدًا، ولديهم كتابًا مقدسًا واحدًا، ويصلون باتجاه واحد، فأنا معجب جدًا بهذا الدين.

---

[١٢٨] (غافر: ٧٨).

[١٢٩] (فاطر: ٢٤).

شـــعرت حينها بفرحة كبيرة وفخر بهذا الدين العظيم، وكانت هذه اللحظة نقطة انطلاق لي لتكريس وقتي وجهدي لدراســـة الطريقة السليمة لعرض الإسلام، وتغيير أسلوب الحوار الدارج بين الدعاة، والذي يُنفِّر من الإسلام أكثر مما يُقرِّب إليه. فالإسلام دين الفطرة، بسيط ومفهوم، ولكن يُعرَض بطريقة معقدة، وتكاد تكون خاطئة. وقد أعجبني قول سمعته مرة: أنَّ الإسلام سلعة جيدة ولكن المسوق لها فاشل.

في زيارة لزائر أرجنتيني لمركزنا، فاجأني بقوله: أنا معي خمس دقائق فقط هنا، وأريد أن أعرف بثلاث دقائق فقط ما هو الفرق بين النصراني والمسلم قبل أن أخرج، لأتمكن بباقي الوقت من التقاط بعض الصور للمسجد.

قلت في نفسي: ماذا عليَّ أن أقول بهذه الدقائق الثلاث، واحترت لوهلة، لكنني شعرت بقوة مفاجئة للرد عليه بسرعة وقلت له: هل لديكم في الأرجنتين من النصارى من نشأ في أُسرة نصرانية وتعمَّد، وعندما كَبر قال: أنا غير مقتنع بأنَّ الله له ولد، وهو بالنسبة لي واحد أحد، والمسيح هو نبيٌ فقط، وأنا ألجأ إلى الله في الدعاء مباشرةً ولا ألجأ إلى المسيح؟

قال لي: نعم، هناك الكثير، وأنا واحد منهم.

قلت له: إذًا أنت مسلم دون أن تدري.

فذُهل وقال: عجيب! إذًا فأنا مسلم؟

قلت له: نعم، لكن عليك أن تقبل بمحمد عليه الصلاة والسلام على أنه خاتم رسل الله، لأنك قد سمعت عنه مني هنا.

قال: نعم أقبل، وعقَّب قائلاً: عند دخولي المركز، كان أقصى أملي أن أعرف الفرق بين المسلم والنصراني، ولم أكن أتوقع أن أخرج من هذا المكان مُسلمًا. شكرًا لكِ أن أنرتِ دربي.

قلت له: الحمد والشكر لله وحده، أن هدانا جميعًا لدين الحق.

المنطقي من الله والمعقد من البشر:

سألني يومًا زائرٌ ألماني، وقد كان واحدًا من ضمن مجموعة كبيرة من الألمان الذين يستمعون إلى تعريف بالإسلام، كنت أُلقيه بنفسي عليهم باللغة الألمانية، قال: إذا كان الإســـلام بهذه البســـاطة والمنطقية كما تقولين، فلماذا يتســـبب المســـلمون بكل هذه المشـــاكل السياسية؟

وقد كان هذا السؤال أمام المجموعة وكان عليَّ أن أتدارك الموضوع، حتى لا يُفسد هجومه هدوء الحوار.

قلت له فورًا: أنا فقط للعلم سوف أموت لوحدي، وسوف أُبعث وحدي، وسوف ألقى الله وحدي، بدون أهلي ومالي. إنَّني سوف ألقى الله بثلاثة أجوبة لثلاثة أسئلة وهي: من ربك، وما دينك ومن رسولك؟ والله ينتظر مني الإجابة، وهي: أن الله الخالق ربي، وديني هو الإيمان به وعبادته وحده بدون وسيط، ونبيّي محمد خاتم الرسل، وباعترافي بمحمد خاتم الرسل، أكون قد آمنت بجميع الرسل الذين سبقوه، وهذا فرض وواجب على كل مسلم.

" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "[١٣٠].

قلت له: وأنتم أيضًا، وكل إنسان على وجه الأرض، سوف يقابل الله وحده، والحياة قصيرة، والموت يداهمنا فجأة، متى سوف نتعلم كيف نفرق بين المشاكل السياسية والدين؟ أما آن الأوان لنتعلم كيف نحدد أولوياتنا؟

---

[١٣٠] (البقرة: ٢٨٥).

فهدأ الرجل وصفقت المجموعة فرحًا بالإجابة.

قلت لهم جميعًا بعد ذلك: أريد أن أسألكم سؤالاً، إنه لمن المعروف، أنَّ كل أُمَّة وشعب من الشعوب، لديهم عادات، تقاليد، أهواء وبدع.

قلت لهم مسترسلة: شخص بسيط مثلي هنا، أو آخر في الصين، أو لديكم في ألمانيا أو في أمريكا الجنوبية أو أفريقيا مثلاً، كيف يستطيع أن يُفرِّق مبدئيًا بين دين الله البسيط، وتقاليد وبِدع شعب المكان الذي هو فيه، قبل قراءة أي كتاب ديني؟

أخذوا يحاولون التخمين، وبعد أن فشلوا بإعطائي الجواب الصحيح، قلت لهم: كلكم تعرفون شيئًا يُدعى الفطرة السليمة، أو المنطق السليم، فكل ما هو منطقي من الله، وكل ما هو مُعقَّد من البشر، وضحكوا جميعًا بشدَّة، ومنهم من صفَّق ثانيةً.

قلت لهم: على سبيل المثال، إذا أخبركم رجل دين مسلم أو نصراني أو هندوسي أو من أي ديانة أخرى، أن للكون خالق، واحد أحد، ليس له شريك ولا ولد، لا يأتي إلى الأرض بصورة إنسان أو حيوان، ولا حجر ولا صنم، وأنَّه علينا أن نعبده وحده ونلجأ إليه وحده بالشدائد، فهذا فعلا دين الله، أما إن أخبركم عالِم دين مسلم أو نصراني أو هندوسي الخ، أنَّ الله يتجسد بأي صورة، ويجب أن نعبده ونلجأ إليه عن طريق أي شخص أو نبي أو قسِّيس أَو قدِّيس، فهذا من البشر، اتركوه.

قلت لهم: إنه يكفي لأن تذهبوا لزيارة للهند مثلاً، وتقولوا بين الجماهير، الخالق الإله واحد، لأجاب الجميع وبصوت واحد، نعم نعم الخالق واحد. فقلت للمجموعة: وهذا فعلاً ما هو مكتوب في كتبهم.[١٣١]

لكنهم يختلفون ويتعاركون وقد يُذبِّحون بعضهم البعض، على نقطة أساسية وهي: الصورة والهيئة التي يأتي بها الله إلى الأرض. فالهندي النصراني يقول مثلاً: الله واحد، لكنهُ يتجسد في ثلاثة أقانيم (الآب، الابن والروح القدس)، والهندي الهندوسي منهم من يقول: يأتي الله بصورة حيوان أو إنسان، أو صنم.

قلت لهم: لو تفكرون مليًا لوجدتم أن جميع المشاكل والفروقات بين طوائف الديانات والديانات نفسها، هي بسبب الوسطاء التي يتخذها البشر بينهم وبين خالقهم، فمثلاً طوائف الكاثوليكية وطوائف البروتستانت وغيرها، وطوائف الهندوسية، تختلف على كيفية التواصل مع الخالق، وليس على مفهوم وجود الخالق نفسه، فلو عبدوا الله جميعهم مباشرة لتوحدوا.

---

[١٣١] **في الهندوسية:**

(تشاندوجيا أوبانيشاد ٦: ٢-١).

"إنه إله واحد فقط ليس له ثاني".

(فيداس، سفيتا سفاتارا أبانيشاد: ٤:١٩، ٤:٢٠، ٦: ٩).

" الإله لا يوجد آباء ولا سيد".

" لا يمكن رؤيته، لا أحد يراه بالعين".

"لا يوجد شبيه له".

(ياجورفيدا ٤٠: ٩).

"يدخلون الظلمة، أولئك الذين يعبدون العناصر الطبيعية (الهواء والماء والنار، إلخ). يغرقون في الظلام، أولئك الذين يعبدون السامبوتي (أشياء مصنوعة باليد مثل الوثن، الحجر، إلخ) ".

في المسيحية:

(إنجيل ماثيو ٤: ١٠).

" حِينَئِذٍ قال لَهُ يَسوعُ: اذْهَبْ يا شَيْطانُ لأَنَّهُ مَكْتوبٌ: للرَّب إلهكَ تَسْجُدُ وإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ".

(سفر الخروج ٢٠: ٣ - ٥).

"لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ".

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[١٣٢].

قلت لهم مسترسلة: إضافةً إلى ذلك، يجب أن تعرفوا أنَّ دين الله واضح ومنطقي، ولا ألغاز فيه. فأنا هنا إن أردت أن أُقنعكم بأنَّ محمدًا إلهًا، عليكم أن تعبدوه، فعليَّ أن أبذل مجهودًا كبيرًا لكي أُقنعكم بهذا، ولن تقتنعوا أبدًا، لأنكم قد تسألوني: كيف يكون محمد إلهًا، وقد كان يأكل ويشرب مثلنا؟ وقد ينتهي بي المطاف لأقول لكم، أنتم لم تقتنعوا، لأنه لغز ومفهوم غامض، سوف تفهموه عند لقاء الله. وهذا المثال يبرهن على أنَّ دين الله الصحيح، لا بد أن يكون خالي من الألغاز، والألغاز لا تأتي إلا من البشر.

قلت لهم مسترسلة: دين الله أيضًا مجاني، فالجميع لديه الحرية في الصلاة والتعبد في بيوت الله، دون الحاجة لدفع اشتراكات للحصول على عضوية للتعبد فيها، أما إن كان فُرض عليَّ أن أُسجل وأدفع النقود في أيٍّ من دور العبادة للتعبد، فهذا من البشر.

أما إن أخبرني رجل الدين، أن عليَّ أن أُخرج صدقةً لمساعدة الناس مباشرة فهذا من دين الله.

والناس سواسية كأسنان المشط الواحد في دين الله، فإنه لا فرق بين عربيٍّ ولا أعجميٍّ ولا أبيض ولا أسود إلا بالتَّقوى. فلو أخبروكم أنَّ هذا المسجد أو الكنيسة أو المعبد للأبيض فقط، والأسود له مكان منفصل، فهذا من البشر.

قلت لهم: تكريم المرأة والرفع من شأنها، هو أمر من الله، لكن قمع المرأة من البشر.

فسأل أحدهم: فلماذا المرأة المسلمة في أفغانستان مقمعة إذًا؟

قلت له: وهل تظن أنَّ المرأة البوذية أو النصرانية في أفغانستان تعيش في الجنة؟

إذا كانت المرأة المسلمة مقمعة في أفغانستان، فالهندوسية أيضًا مقمعة والبوذية والنصرانية هناك، هذه ثقافة شعوب، وليس لها علاقة بدين الله الصحيح في شيء.

قلت لهم معقبة: دين الله الصحيح دائمًا في توافق وتناغم مع الفطرة، فمثلاً، أي مُدخن للسيجار أو شارب للخمر، يطلب من أولاده دائمًا الابتعاد عن شرب الخمر والتدخين، لقناعته العميقة بخطرهما على الصحة والمجتمع.

فعندما يُحرِّم الدين الخمر مثلاً، فهذا بالفعل أمرٌ من أوامر الله، لكن إذا جاء الدِّين ليحرِّم الحليب على سبيل المثال، فليس فيه منطق، فالجميع يعلم أنَّ الحليب مفيدٌ للصحة. إن من رحمة الله ولطفه في خلقه أن سمح لنا بأكل الطيبات، ونهانا عن أكل الخبائث.

وغطاء الرأس للمرأة، والاحتشام للرجال والنساء مثلاً أمرٌ من الله، لكن تفاصيل الألوان والتصاميم من البشر، فالمرأة الصينية الريفية الملحدة والريفية النصرانية السويسرية تلتزم بغطاء الرأس، على أساس أنَّ الاحتشام شيء فطري.

فهكذا نستطيع أن نفرِّق بين الحق والباطل قبل أن نقرأ أي كتاب ديني.

والإرهاب مثلاً، منتشر بأشكال كثيرة في العالم بين طوائف جميع الديانات، وقد عشت في أفريقيا لفترة طويلة وأعلم أنَّ هناك طوائف نصرانية، تقتل وتمارس أبشع أنواع القمع والعنف باسم الدين، وباسم الله، وهم يشكِّلون ٤٪ من تعداد نصارى العالم. بينما من يمارس الإرهاب باسم الإسلام، يشكِّلون ٠,٠١٪ من تعداد المسلمين، ولا يقتصر الإرهاب على هذا، بل هو منتشر أيضًا بين طوائف البوذية والهندوسية وغيرها من الدِّيانات الأخرى.

لكن تسليط الضوء بوسائل الإعلام على الأمثلة السيئة من المسلمين، والجيدة من غير المسلمين، وإلقاء لقب إرهابي على المسلم الذي يقتل غيره، ولقب مريضًا نفسيًا على غير المسلم الذي يقتل الغير، هذا ما لا نقبله أبدًا.

---

[١٣٢] (آل عمران:٦٤).

وهذا ما قلته لصحفي فرنسي أثناء حواري معه بهذا الخصوص، قلت له: أنتم في الإعلام تلعبون دورًا خطيرًا في تشويه صورة الإسلام من خلال حرصكم المتواصل على نقل أخبار هذه الأمثلة السيئة من المسلمين.

فقال: عذرًا، نحن لا ننقل إلا الحقيقة ولا ننقل الأخبار الزائفة.

قلت له: أنا لا أدَّعي أنَّ أخباركم زائفة، أنا أقول: إنكم حين تخصصون زاويةً في مجلاتكم الإخبارية للحديث عن الأمثلة السيئة من المسلمين، عليكم أيضًا أن تخصصوا زاوية أخرى للحديث عن غيرهم، وعندما تُلقِّبوا القاتل المسلم بالإرهابي، فعليكم أن تُلقِّبوا القاتل غير المسلم بالإرهابي أيضًا.

قال: كلامك فيه كثير من الصحة.

فأقِم وجهك للدين القَيِّم:

"قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"[١٣٣].

"وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"[١٣٤] .

إن الدين هو: مجموعة العلاقات والأخلاقيات والقيم التي تربط الإنسان بخالقه، وبالمجتمع من حوله.

أولا: جزء يختص بالعلاقة مع رب العالمين.

ثانيا: جزء يختص بتنظيم العلاقات الإنسانية.

تُشدِّد الوصايا في الآيات الكريمة أعلاه، على المحافظة على الحقوق، وعلى رأسها حق رب العالمين في اخلاص العبودية له، وهي النقطة التي تُغطي العلاقة بين الإنسان وخالقه.

ومن ثم حق الوالدين بالإحسان لهما، ومن ثم حق الأولاد في الحصول على حياة كريمة، والنهي عن اقتراف الفواحش أو حتى الاقتراب منها، وعدم قتل النفس البشرية بغير حق، والمحافظة على مال اليتيم، والقسط في الوزن والمكيال، والعدل عند القول والفعل، والوفاء بالعهود، وعلى رأسها العهد مع رب العالمين.

ورغم وجود هذه الوصايا في الديانات الأخرى المنتشرة في العالم، إلا أنه من العجيب، أنَّني قد وجدت من خلال حواراتي مع غير المسلمين أنهم يتذكرون كل الوصايا إلا الوصية الأولى، فعندما أطلب منهم سردها لي فإنهم غالبا ما يبدؤون من الثالثة، ويُعلِّلون ذلك بأنهم دائمًا ما ينسون الوصية الأولى والوصية الثانية، واللاتي تنصان على أهمية الإيمان بالله وعبادته وحده وعدم الشرك به. وهذا دليل على تجاهل هاتين الوصيتين بصورة متعمدة، من قبل رجال الدين والمؤسسات الدينية، لكسب فوائد دنيوية وسياسية.

أما فيما يتعلَّق بطبيعة باقي الوصايا والقوانين الأخلاقية العالمية للدين، فيمكن إيجازها على النحو التالي:

إن مجموعة المبادئ التوجيهية الأخلاقية، والتي تُقيد السلوك البشري، يمكن الإشارة إليها بالضمير الداخلي للإنسان أو الحاكم أو الرقيب الإنساني، ويتم تعزيز هذا الضمير أو الرقيب من خلال التربية والتعليم، ويتم تغذيته بالمعلومات والثقافة من البيئة المحيطة بالإنسان.

---

[١٣٣] (الأنعام:١٥١).

[١٣٤] (الأنعام:١٥٢).

وهذه المبادئ فطرية معنوية، لا تُشرح ولا تُفسَّر للناس، ولا ينبغي فرضها بالقوة، لأنها جزء من التصرف الفطري للإنسان، وبالتالي فإن الناس مدركون لهذه القِيم الأخلاقية بشكل طبيعي وغريزي. فمثلاً الصدق والأمانة هي صفات وفضائل طبيعية، بينما الاحتيال والخداع صفات منبوذة بطبيعتها، ويمكن للمرء بسهولة انتهاك أو تجاوز هذه القواعد والأوامر الأخلاقية لأنها ليست مادية ملموسة، لذلك كان على المجتمع المتحضِّر أن يضع قواعد اجتماعية يتم المحاسبة عليها، من خلال نظام المكافأة والعقوبة، وأي شخص يحاول تقويض هذه القِيَم يجب أن يُحاسَب ويُحاكَم.

هذه المبادئ الأخلاقية عبارة عن التزامات اجتماعية، لا يمكن الاختلاف عليها، أو أن تُصبح موضوع استفتاء عام. إنها حقائق اجتماعية لا غنى للمجتمع عنها في محتواها ومعناها، فدائمًا مثلاً ما يُنظَر إلى عدم احترام الوالدين أو الكذب على أنه سلوك بغيض، ولا يمكن تبريره على أنَّه صدق أو احترام.

إنَّ تثبيت وإرساء هذه القِيم الأخلاقية كمعايير اجتماعية لا يعني عدم وجود الفجور والشر في هذا العالم. إن الدين واقعي وعملي، ولا يوجد فيه أوهام، ولا يفترض المثالية، إنه يُقر بوجود الخير والشر كما ويُقر بوجود الحياة والموت.

"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ"[١٣٥].

جميع هذه المبادئ التوجيهية والأخلاقية مترابطة بشكل قوي، وتُشكِّل شَبكة كلية من الروابط والصلات، لا تسمح بالتفكك أو الانقسام، لأنها تُمثل مسارًا مستقيمًا واحدًا لا يمكن تجزئته.

" وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [١٣٦].

إنَّ الالتزام بهذه المبادئ الأخلاقية لا يتطلب قوة أو مهارة من الفرد. إنَّ الإيمان بالخالق واتباع الوصايا الأخلاقية، لا يتطلب ذكاءً حادًا، ولا قدرات خاصة، ولا يحتاج المرء أن يكون موهوبًا أو مبدعًا بشكل استثنائي، حتى يعرف أنَّ قتل الآخرين هو تصرف خاطئ، والنفور من هذه الخصلة متأصِّل في الطبيعة البشرية. إنَّ أركان الإسلام ووصاياه لا تحتمل التأويل أو أنصاف الحلول.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ"[١٣٧].

يمكن اعتبار الأخلاق على أنها قانون روحي اجتماعي، يُرسي أساس العلاقة بين أعضاء الجنس البشري، ولا شك أنَّه يُميِّز البشر عن الحيوانات، وهو ساري المفعول بغض النظر عن الهيكل الاقتصادي في المجتمع.

تتميز أخلاق الدين بصلاحيتها على المستوى العالمي، هذه الأخلاق تختلف عن العادات والتقاليد (العُرف). فالأحكام والأخلاقيات والقِيم، عبارة عن قواعد دقيقة وقوانين ثابتة ومحددة، وهي موجودة منذ عهد نوح وحتى آخر الرسل محمد عليه الصلاة والسلام على شكل وصايا، وهي صالحة لكل زمان ومكان، وتتقاسمها العديد من الثقافات المختلفة في العالم، ويتم التقيد بها، بغض النظر عن طبيعة النظام الاقتصادي أو البيئة الاجتماعية.

وتُعتبر القاسم الإنساني المشترَك، الذي يوحد الثقافات والأنظمة السياسية، ويوحد العرق والطبقة والجنس. إنها تؤثر بشكل مباشر على السلوك الاجتماعي للفرد، عند إضفاء الطابع التشريعي والقانوني عليها كمواد دستورية أو قوانين محلية. كما يجدر الإشارة هنا، أنَّ الديانات دعت أيضًا للأخذ بالعُرف (الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر)، وهو احترام التقاليد والعادات للمجتمع والتي لا تتنافى مع

---

[١٣٥] (الأنبياء:٣٥).

[١٣٦] (الأنعام:١٥٣).

[١٣٧] (آل عمران:١٠٢).

القيم والأخلاق العامة. وهو ما اعتاده أغلب الناس أو طائفة منهم، وساروا عليه، من قول أو فعل أو ترك، مما لا يخالف شريعة الدين القيِّم.

" ..... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ" [١٣٨].

سألني ملحد يومًا، عن أهمية الالتزام بالأخلاق العالمية تحت مظلة الدين، والذي كان برأيه الاكتفاء بمعاملة الناس بعضهم بعضًا بخُلقٍ حَسن، دون الإيمان بالله، ما دام الغرض من الحياة هو تعمير الأرض، وأنه يوجد كثير من الملحدين ملتزمون تمامًا بالأخلاق الحميدة، ويسعون جاهدين لعمارة الأرض.

قلت له: إنَّ تعمير الأرض والخُلق الحَسن ليسا الغاية للدين، لكنهما في الحقيقة وسيلة! فغاية الدين أن يُعرِّف الإنسان بربِّه، ثم بمصدره هو وطريقه ومصيره، ولا يتحقق حسن النهاية والمصير، إلا بالحصول على رضا رب العالمين، والسبيل إلى ذلك يكون بتعمير الأَرض والخُلق الحسن، بشرط أن تكون أفعال العبد ابتغاءً لمرضاته تعالى.

" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا"[١٣٩].

نستنتج مما سبق أنَّ الدين القيِّم هو: الإيمان بأنَّ للكون خالق واحد، وهو الله الواحد الأحد، ودين الله يجب أن يكون واحد، سهل، مفهوم وبسيط، موافق للفطرة البشرية، وصالح لكل زمان ومكان. وهو:

الوحدانية: الإيمان بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد، وأنه هو الخالق والرازق للكون كله وما يحتويه.

العبودية: عبادة الله وحده، وعدم الاشراك في عبادته أحدًا أو شيئًا آخر.

الإيمان بالرسل: اتباع الرسل والإيمان بما جاؤوا به (في تلك الفترة) .(البشارة بقدوم النبيِّ محمد، والحث على إتباعه والإيمان به لمن سمع عنه).[١٤٠]

الأخلاق: فعل الخيرات واجتناب السيئات.

"قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[١٤١].

---

[١٣٨] (النحل:٨٩).

[١٣٩] (الكهف:١١٠).

[١٤٠] www.fatensabri.com كتاب المفهوم الحقيقي للإله. فاتن صبري.

[١٤١] (الأنعام: ١٦١).

وكذلك جعلناكم أمّة وسطا

ولا تنس نصيبك من الدنيا:

في زيارة لنا لدولة الصين، قمنا بزيارة لحديقة "نافذة على العالم"، وهي عبارة عن حديقة عامة تمتد على مساحات شاسعة، وتضم مجسمات متراصة في توزيع متقن لأبرز مزارات العالم، حيث نجد في ركن من الحديقة مثلاً، مجسمًا لبرج "ايفل"، وعلى مقربة منهما نجد نموذجًا لساعة "بيغ بن" أيقونة لندن، وفي جانب آخر من الحديقة مجسمًا آخرًا لأهرامات مصر، وفي جزءٍ آخر نجد مسقطًا مائيًا هائلاً تنهمر مياهه محاكيةً "شلالات نياجرا" الأمريكية. وتعطي هذه الزيارة الفرصة لتذوق أكل الطعام اللاتيني مثلاً ولبس أزياء شرق آسيا ومعايشة التقاليد الأفريقية. موقع يأخذ بالألباب ويعطي الفرصة لاكتشاف العالَم بأسره.

ووسط ذهولي وفرحة أبنائي، وقيام زوجي بالتقاط الصور التذكارية، تذكرت سؤالاً كنت أردده كثيرًا في صغري، وهو عن إمكانية تحقيق التوازن بين التعرف على ثقافات وحضارات العالم وتحقيق متع الدنيا، والحرص على الفوز في الآخرة في الوقت نفسه، وحينها تذكرت الآية الكريمة، **" وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ "**[١٤٢]، وسُعدت كثيرًا.

أُمةً وسطًا:

الفيلسوف النمساوي ليو بولد فايس – الذي ترك اليهودية واعتنق الإسلام وغيَّر اسمه لمحمد أسد – قال في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق":

"إنَّ سفرنا في هذا العالم أمر ضروري، وجزء إيجابي من سنة الله، من أجل ذلك كان لحياة الإنسان قيمة عظمى، ولكن يجب ألاَّ ننسى أنها قيمة الواسطة إلى غاية فقط، وليس هنالك مجال في الإسلام لتعظيم الجانب المادي، كما هو في الغرب الحديث، الذي يقول: مملكتي في هذا العالم فقط، ولا احتقار الحياة الذي يجري على لسان النصرانية: إن مملكتي ليست في هذا العالم. إنَّ الإسلام يتخيَّر في ذلك طريقًا وسطًا، ولذلك يُعلِّمنا القرآن أن ندعو فنقول **" رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخرة حَسَنَةً"** [١٤٣]، وهكذا نرى أنَّ قدر هذا العالم وما فيه من متاع، لا يقف حجر عثرة في سبيل جهودنا الروحية. إنَّ النجاح المادي مرغوب فيه، ولكنه ليس غاية في نفسه، فعلى كل مسلم أن ينظر إلى نفسِه على أنه مسؤول شخصيًا عن نشر السعادة حوله، وأن يسعى إلى إقرار الحق، وإزهاق الباطل في كل زمان ومكان، ومصداق ذلك الآية: **"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ "** [١٤٤].

وقال الفيلسوف النمساوي بما معناه أيضًا:

"إنَّ الحرص على انتشار الإسلام لم يحث عليه حب السيطرة، وليس فيه شيء من الأنانية الاقتصادية أو القومية، ولا الطمع في زيادة أسباب رفاهيتنا الخاصة على حساب شعب آخر. ولم يُقصد منه في يوم من الأيام إكراه غير المؤمنين على الدخول في الإسلام، لقد قُصِد به دائمًا ما يُقصد به اليوم من بناء إطار عالمي لأحسن ما يمكن من التطور الروحي للإنسان، إنَّ المعرفة بالفضائل – حسب تعاليم الإسلام – تفرض على الإنسان من تلقاء نفسه العمل بالفضائل، وأما الفصل الأفلاطوني بين الخير والشر، من غير الحث على زيادة الخير، ومحو الشر، فإنه فسق عظيم".

---

[١٤٢] (القصص: ٧٧).

[١٤٣] (البقرة: ٢٠١).

[١٤٤] (آل عمران: ١١٠).

إن من أحد الأسباب التي تدعو الناس للنفور من الدين واللجوء الى الأخذ بالعلم وحده، هو وجود تناقضات في بعض المفاهيم الدينية عند بعض الشعوب، لذلك فإنه من أهم السمات والأسباب الرئيسة التي تدعو الناس إلى الإقبال على الدين الصحيح، هو وسطيته وتوازنه. وهذا ما نجده بوضوح في الدين الإسلامي.

إن مشكلة الديانات الأخرى، والتي نشأت من تحريف الدين الصحيح الواحد:

إما أن تكون روحية صِرفه، وتشجع أتباعها على الرهبانية والانعزال.

وإما أن تكون مادية بحتة.

وهذا ما تسبب في صرف كثير من الناس عن الدين عمومًا في كثير من الشعوب وأصحاب المِلل السابقة.

لا تغلوا في دينكم:

إن التطرف، التشدد والتعصب، ما هي إلا صفات قد نهى عنها الدين الصحيح أساسًا. وقد دعا القرآن الكريم في آيات كثيرة للأخذ باللطف والرحمة في التعامل، والأخذ بمبدأ العفو والتسامح.

" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"[١٤٥] .

"ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[١٤٦] .

الأصل في الدين هو الحلال، باستثناء بعض المحرمات المعدودات التي ذُكرت بوضوح في القرآن الكريم والتي لا يختلف عليها أحد.

"يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"[١٤٧].

إنَّ ما يدعو إلى التطرف والتشدد أو التحريم بغير دليل شرعي، نَسبهُ الدين الى أفعال شيطانية، والدين منها برئ.

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[١٤٨].

" وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا" [١٤٩].

يريد الله بكم اليسر:

إن الدين في الأصل يأتي ليُخفف عن الناس كثيرًا من القيود التي يفرضونها على أنفسهم. ففي الجاهلية وقبل الإسلام على سبيل المثال، كانت قد انتشرت ممارسات بغيضة كوأد البنات وتحليل أنواع من الطعام للذكور وتحريمها على الإناث، وحرمان الإناث من الميراث، إضافة إلى أكل الميتة والزنا وشُرب الخمور وأكل مال اليتيم والرِّبا وغيرها من الفواحش.

كما نجد عند بعض الشعوب الأخرى كثيرًا من التشريعات والأحكام والممارسات الخاطئة، والتي نُسبت إلى الدين، كذريعة لإجبار الناس عليها، والتي انحرفت بهم عن طريق الصواب، وعن مفهوم الدين الفطري، وبالتالي فَقَد كثير من الناس القدرة على التمييز بين

---

[١٤٥] (آل عمران: ١٥٩).

[١٤٦] (النحل: ١٢٥).

[١٤٧] (الأعراف :٣١ -٣٣).

[١٤٨] (البقرة: ١٦٨-١٦٩).

[١٤٩] (النساء: ١١٩).

المفهوم الحقيقي للدين والذي يُلبي الحاجات الفطرية للإنســـان والتي لا يختلف عليها أحد، وبين القوانين الوضـــعية والتقاليد والعادات والممارسات الموروثة من قِبل الشعوب، مما أدى لاحقًا إلى المطالبة باستبدال الدين بالعِلم الحديث.

إن الدين الصـــحيح هو الذي يأتي للتخفيف عن الناس ورفع المعاناة عنهم، وليَضَـــع الأحكام والتشـــريعات التي تهدف بالدرجة الأولى التيسير على الناس.

"....يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ....."[١٥٠].

" يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا"[١٥١].

".....وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" [١٥٢].

" .....وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[١٥٣].

"....وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ..." [١٥٤].

وقوله عليه الصلاة والسلام:

"يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا "[١٥٥].

وأذكر هنا قصة الثلاثة رجال الذين كانوا يتحادثون فيما بينهم، حيث قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال:

"أَنْتُمُ الذينَ قُلتُمْ كَذا وكَذا؟ أمَا والله إنِّي لأَخشاكُمْ لله وأتقاكُمْ له، لكنِّي أَصومُ وأُفطِرُ، وأُصلي وأَرقُد، وأَتزوّج النِّساءَ، فَمَن رغِبَ عن سُنّتي فليس مِنِّي".[١٥٦]

وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لعبد الله بن عمرو وقد بلغه أنه يقوم الليل كله، ويصوم الدهر كله، ويختم القرآن في كل ليله فقال:

" فلا تَفْعَلْ، قُمْ ونَمْ، وصُمْ وأَفْطِرْ، فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا"[١٥٧].

يقول الفيلسوف محمد أسد النمساوي أيضًا:

"نحن نعدُّ الإسلام أسمى من سائر النُّظم المدنية؛ لأنه يشمل الحياة بأسرها، إنَّه يهتم اهتمامًا واحدًا بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد وبالمجتمع، إنَّه لا يحملنا على طلب المحال، ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة مما فينا من استعداد، وإلى أن نصل إلى مستوى أسمى من الحقيقة، حيث لا شقاق ولا عداء بين الرأي وبين العمل، إنه ليس سبيلاً بين السُّبل، ولكنه السبيل. وإنَّ الرجل الذي جاء بهذه التعاليم ليس هاديًا من الهداة، ولكنَّه الهادي، فاتِّباعه في كل ما فعل وما أمر، اتِّباع للإســـلام بعينه، وأما طرح سُـــنَّته، فهو طرح لحقيقة الإسـلام. ويقول أيضًـا: ومن بين سـائر الأديان نجد الإسـلام وحده يتيح للإنسـان أن يتمتع بحياته الدنيا إلى أقصـى حد، من غير أن يضيع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة، وهذا يختلف كثيرًا عن وجهة النظر النصرانية".

---

[١٥٠] (البقرة: ١٨٥).
[١٥١] (النساء :٢٨).
[١٥٢] (النساء:٢٩).
[١٥٣] (البقرة: ١٩٥).
[١٥٤] (الأعراف: ١٥٧).
[١٥٥] (صحيح البخاري).
[١٥٦] (صحيح البخاري).
[١٥٧] (صحيح البخاري).

التوازن في إعطاء الحقوق:

وأذكر هنا حوار طريف لي مع زائرة لاتينية كانت قد سألتني قائلة: هل بمقدور المرأة المسلمة أن ترتدي أقراط في أذنيها كبقية النساء. وقد أضحكني بشدة هذا السؤال وقلت لها: المرأة المسلمة من البشر، لا تختلف عن نسائكم، لكنها فطنة، وتستطيع أن تميز بين الحقوق والواجبات وإعطاء الأوليات، وعمل التوازن في تطبيق هذه المصطلحات بصورة مذهلة، والتي قد عجزت المرأة اللاتينية والغربية عن القيام به.

قالت: ماذا تقصدين؟

قلت لها: المرأة المسلمة فهمت مصطلح" الخصوصية " جيدًا، فعندما أحبت أبيها وأخيها وابنها وزوجها، فهمت أن حب كلاً منهم له خصوصية، فحبها لزوجها وحبها لأبيها أو أخيها يتطلب منها إعطاء كل ذي حق حقه. فحق والدها عليها من الاحترام والبر ليس كحق ابنها من الرعاية والتربية وهكذا. فهي تفهم جيدًا متى وكيف ولمن تُبدي زينتها، فهي لا ترتدي في لقاءها مع الغريب كما ترتدي مع القريب، ولا تظهر بنفس الهيئة للجميع.

قلت أيضًا: المرأة المسلمة هي امرأة حُرة، رفضت أن تكون أسيرة لأهواء غيرها وللموضة، ترتدي ما تراه مناسب لها ويُسعدها هي، ويُرضي خالقها، انظري كيف أصبحت المرأة في الغرب أسيرة للموضة ودور الأزياء، إن قالوا مثلاً: إن الموضة هذا العام هي لبس البنطال القصير الضيِّق، تسارعت المرأة لارتدائه، بغض النظر عن ملاءمته لها أو حتى شعورها بالراحة عند ارتدائه من عدمه.

قلت لها مسترسلة: إنه لا يخفاكِ وضعها عندما تحولت إلى سلعة، ويكاد لا يخلو إعلان أو منشور من صورة امرأة عارية، مما يعطي رسالة غير مباشرة للمرأة الغربية بقيمتها في هذا العصر.

إن بإخفاء المرأة المسلمة لزينتها، تكون هي التي قد أرسلت رسالة للعالم، وهي: أنها إنسانة ذي قيمة، مُكرَّمة من الله، ويجب على من يتعامل معها، أن يحكم على علمها، ثقافتها، قناعاتها وأفكارها، ليس على مفاتن جسمها.

قالت: عجيب! هذا يُدعى لدينا بالإتيكيت.

قلت لها: نعم، والمرأة المسلمة فهمت أيضًا الطبيعة البشرية التي خلق الله الناس عليها، فهي لا تُظهر زينتها للغرباء لحماية المجتمع وحماية نفسها من الأذى، ولا أظنك تنكرين حقيقة أن كل فتاة جميلة مفتخرة بإظهار مفاتنها للعلن، عندما تصل لسن الشيخوخة تتمنى لو أن كل نساء العالم ارتدين الحجاب.

قالت: هذا صحيح ١٠٠٪.

قلت لها متسائلة: هل قرأتِ عن إحصائيات معدلات الوفاة والتشويه الناجمة عن عمليات التجميل؟ ما الذي دفع المرأة لأن تُقاسي كل هذا العذاب؟ لأنهم أجبروها على خوض مسابقة الجمال الجسدي عوضًا عن الجمال الفكري، مما أخسرها قيمتها الحقيقية بل وحياتها أيضًا.

قالت: جميل جدًا، هذه فلسفة عجيبة لم أسمع عنها من قبل.

وقالت: حسنًا، وهل حقق الإسلام للمرأة المساواة مع الرجل؟

قلت لها: المرأة المسلمة تبحث عن العدالة ولا تبحث عن المساواة، فمساواتها بالرجل تُفقدها كثيرًا من حقوقها وتميزها.

قالت: عجيب! وكيف ذلك؟

قلت لها: لنفترض أن لديك ابنان، أحدها يبلغ من العمر ٥ سنوات والآخر ١٨ سنة. وأردتِ شراء قميص لكلٍّ منها، فالمساواة هنا تتحقق في أن تشتري لهما القميصين بنفس المقاس، مما يتسبب في معاناة أحدهما، لكن العدالة أن تشتري لكل واحد منهما مقاسه المناسب، وبالتالي تتحقق السعادة للجميع.

قلت لها مستطردة: تحاول المرأة في هذا الزمن إثبات أنه بإمكانها أن تفعل كل ما يفعله الرجل. غير أنه في الواقع، المرأة تفقد تفردها وامتيازها في هذه الحالة. فإن الله خلقها لتقوم بما لا يمكن أن يقوم به الرجل. لقد ثبت أن آلام الوضع والإنجاب من أكثر الآلام شدة، وجاء الدين ليعطي المرأة التكريم المطلوب مقابل هذا التعب، ويعطيها الحق بعدم تحملها لمسؤولية النفقة والعمل، أو حتى أن يتقاسم زوجها معها مالها الخاص كما هو الحال لديكم. وفي حين لم يُعطِ الله الرجل القوة على تحمل آلام الولادة، لكن أعطاه القدرة على صعود الجبال مثلاً.

قالت: لكنني أحب أن أصعد الجبال، وأستطيع فعل ذلك كالرجل تمامًا.

قلت لها: حسنًا، بإمكانك أن تصعدي الجبال كالرجل وتعملي وتكدّي، لكن في النهاية أنتِ من سيضع الأطفال أيضًا، ويقوم برعايتهم وإرضاعهم، فالرجل في كل الأحوال لا يستطيع القيام بهذا، وهذا مجهود مضاعف عليكِ، كان بإمكانك تفاديه.

ما لا يعرفه الكثيرون، هو أنه إذا أرادت امرأة مسلمة المطالبة بحقوقها من خلال الأمم المتحدة، والتنازل عن حقوقها في الإسلام، فستكون خسارة لها، لأنها تتمتع بحقوق أكثر في الإسلام. فالإسلام يحقق التكامل الذي خُلق من أجله الرجل والمرأة مما يوفر السعادة للجميع.

إحسان الحضارة الإسلامية:

أخبرتني يومًا زائرة من دولة كولومبيا وزميلتها في العمل، عن رغبتهما الشديدة بعبادة الله وحده، لكنهما لا تستطيعان التخلص من رغبتهما في ذكر السيدة مريم أم المسيح عيسى في الدعاء، حيث أنهما لا تريدان بخس حق السيدة مريم عليهما.

قلت لهما: المسلم يستطيع تحقيق التوازن في عبادته، دون أن يبخس النبي أو أم النبي حقهما.

قالتا: كيف؟

قلت لهما: المسلم أحب خالقه وأعطاه حقه في عبادته وحده، ومحبة المسلم للرسول، تكون باتباع المنهج الذي جاء به الرسول من عند الله، وهو عبادة الخالق كما فعل الرسول، وليس عبادة الرسول نفسه.

قلت لهما متسائلة: ما هي العبارات التي تستخدمانها في الدعاء إلى الله، والتي تشتمل على اسم السيدة مريم ولا تستطيعان التخلص من الرغبة في استخدامها؟

قالت الزائرة الأولى: الله يبارك في مريم ويساعدها.

قلت لها: هذا صحيح وسليم، فإننا نقول صلى الله على النبي محمد، وعيسى عليه الصلاة والسلام، ومريم كذلك.

قالت الأخرى: نقول أيضًا، يا مريم باركيني وساعديني.

قلت لها: هذا غير صحيح.

قالتا: وما الفرق؟

قلت لهما: في الدعاء الأول طلب للسيدة مريم وفي الثاني طلب منها، ولا يحق الطلب إلا من الله. فباستطاعتكما التمسك في الصيغة الأولى للدعاء، ولكن عليكما التوقف عن استخدام الصيغة الثانية.

ابتهجتا الزائرتين كثيرًا، لأنهما وجدتا أن عبادتها لله مباشرة لن تجعلهما تتركان ذكر السيدة مريم. وطلبتا اعتناق الإسلام مباشرةً.

إننا نجد أن كثيرًا من الأمم والحضارات فشلت في تحقيق هذا التوازن، فبينما رفعت أُمَّة عيسى عليه السلام قدر عيسى عليه السلام وأمه الصديقة مريم إلى درجة الألوهية، كان قد رفض قوم موسى عليه السلام الاعتراف بعيسى كرسول، فجاء المسلم وحقق التوازن المطلوب، وآمن بموسى وعيسى واحترمهم وقدَّرهم، وذلك بتصديق رسالتهم الصحيحة وعبادة الله كما عبد جميع الأنبياء الله.

إن الحضارة الإسلامية قد أحسنت التعامل مع خالقها، ووضعت العلاقة بين الخالق ومخلوقاته في المكان الصحيح، في الوقت الذي أساءت فيه الحضارات البشرية الأخرى التعامل مع الله، فقد كفرت به، وأشركت معه مخلوقاته في الإيمان والعبادة، وأنزلته منازل لا تتلاءم مع جلاله وقدره.

والمسلم الحق لا يخلط بين الحضارة والمدنية، فينهج منهج الوسطية في تحديد كيفية التعامل مع الأفكار والعلوم، والتمييز بين:

- العنصر الحضاري: المتمثل بالشواهد العقائدية، العقلية، الفكرية، والقِيم السلوكية والأخلاقية.
- العنصر المدني: المتمثل في الإنجازات العلمية، والاكتشافات المادية، والمخترعات الصناعية.

فإنه يأخذ من هذه العلوم والاختراعات في إطار مفاهيمه الإيمانية والسلوكية.

فالحضارة اليونانية تؤمن بالله، ولكنها تُنكر صفة الوحدانية والوجود له، وتصفه بأنه لا ينفع ولا يضر.

والحضارة الفارسية قبل الإسلام، كفرت بالله وعبدت الشمس من دونه وسجدت للنار وقدَّستها.

والحضارة الهندوسية، تركت عبادة الخالق وتعبد الإله المخلوق، والمتجسد بالثالوث المقدس، والمتكون من ثلاث صور إلهية: الإله " براهما" في صورة الخالق، والإله "فشنو" في صورة الحافظ، والإله " سيفا" في صورة الهادم.

والحضارة البوذية تنكرت للإله الخالق، وجعلت من بوذا المخلوق إلهًا لها.

وحضارة الصابئين، كانوا من أهل الكتاب وتنكروا لربهم، وعبدوا الكواكب والنجوم. باستثناء بعض الطوائف الموحدة المسلمة التي ذكرها القرآن الكريم.

ومع بلوغ الحضارة الفرعونية درجة كبيرة من التوحيد والتنزيه للإله في عهد أخناتون، إلا أنها لم تتخل عن صور التجسيم والتشبيه للإله ببعض مخلوقاته كالشمس وغيرها، فكانت رمزًا للإله. وقد بلغ الكفر بالله ذروته عندما ادعى فرعون في زمن موسى الألوهية من دون الله، وجعل من نفسه المشرع الأول.

وحضارة العرب التي تركت عبادة الخالق وعبدت الأصنام.

والحضارة النصرانية كما ذكرنا كفرت بوحدانية الله، وأشركت به المسيح عيسى وأمه مريم، وتبنت عقيدة التثليث، وهي الإيمان بإله واحد متجسد في ثلاثة أقانيم (الآب، الابن، الروح القدس).

والحضارة الرومانية التي تنكرت للخالق بدايةً، وأشركت به عند اعتناقها النصرانية، حيث دخلت عقائدها مَظاهر الوثنية، من عبادة الأوثان ومظاهر القوة.

والحضارة اليهودية التي تنكرت لخالقها، واختارت إلهًا خاصًا بها، وعبدت العجل، ووصفوا الإله في كتبهم بصفات بشرية غير لائقة به.

وكانت قد اضمحلت الحضارات السابقة، وتحولت الحضارة اليهودية والنصرانية إلى حضارتين لا دينيتين، وهما الرأسمالية والشيوعية.

ووفقًا لأساليب تعامل هاتين الحضارتين مع الله والحياة عقائديًا وفكريًا، فإنهما متخلفتين وغير متقدمتين، ويتسمان بالوحشية وغير الأخلاقية، مع وصولهما الذروة في التقدم المدني، والعلمي والصناعي، وليس بهذا يقاس تقدم الحضارات.

إن معيار التقدم الحضاري السليم، يستند إلى شواهده العقلية، والفكرة الصحيحة عن الله والإنسان والكون والحياة، والتحضر الصحيح الراقي، هو الذي يُوصِل إلى المفاهيم الصحيحة عن الله وعلاقته بمخلوقاته ومعرفة مصدر وجوده ومآله، ويضع هذه العلاقة في مكانها الصحيح، وبالتالي نصل إلى أن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة المتقدمة بين هذه الحضارات، لأنها ببساطة حققت التوازن المطلوب[١٥٨].

الإسلام دين ودولة:

لقد رسمت الرأسمالية منهجًا حرًا للإنسان، ودعته للسير على هديه، حيث ادعت الرأسمالية أن هذا المنهج المنفتح هو الذي سيوصل الإنسان للسعادة الخالصة، لكن الإنسان وجد نفسه في نهاية المطاف يقبع في مجتمع طبقي، فإما غنًا فاحشًا يقوم على الظلم للغير، أو فقرًا مُدقعًا للملتزم أخلاقيًا.

وجاءت الشيوعية فألغت كل الطبقات، وحاولت أن ترسم مبادئ أكثر صلابة، لكنها خلقت مجتمعات أكثر فقرًا وألما، وأكثر ثورية من غيرها.

وأما الإسلام فقد حقق الوسطية، وكانت الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط، فقدمت للإنسانية نظامًا عظيمًا بشهادة أعداء الإسلام. لكن هناك من المسلمين من قصَّروا في الالتزام بقيم الإسلام العظيمة.

وكان قد سألني يوما دبلوماسي فرنسي عما اعتبره تناقضًا غير مفهوم. حيث قال:

أنا لا أفهم كيف يكون الدين الإسلامي حسب وصفكِ لي بهذه المنطقية، في حين يخوض كثير من المسلمين في هذه العشوائية وقد ابتعدوا عن النظام والأخلاق، أليس هذا تناقض؟

قلتُ له: وأين التناقض هنا؟ وهل ارتكاب سائق سيارتك الفخمة حادث مُروِّع لجهله بأصول القيادة السليمة، يناقض حقيقة فخامة السيارة؟

فعلَّق فورًا مرافقه الخاص وقد كان فرنسيًا من أصول عربية قائلاً: فعلاً المسلم الفاشل لا يمثل إلا نفسه. وقد تحدث الكثيرون عندما وجدوا أخلاق الإسلام تُمارَس من قبل غير المسلمين، حيث قالوا: وجدنا الإسلام ولم نجد المسلمين.

المستشرق والباحث الألماني في الدراسات العربية والإسلامية "شاخت جوزيف"، وعلى الرغم من تطرفه في بعض آرائه، إلا أنه لم يستطع إلا القول بالحق في تقييمه للدين الإسلامي، فكان مما قال:

"تميز الإسلام بأنه دين ودولة، وتميزت الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي بتأثيره بقوة في الثقافات القانونية التي جاوزته، وكانت سلطتها فوق سلطة الدولة. إن النزاع بين الدين والدولة اتخذ أشكالا مختلفة، ففي المسيحية كان هناك صراع من أجل السلطة السياسية من جانب هيئة كنسية منظمة تنظيمًا متدرجًا ومتماسكًا، ينتهي إلى رئاسة عليا، كان يعتبر القانون الكنسي أحد أسلحتها السياسية. أما في الإسلام، فلم يكن هناك قط ما يشبه "الكنسية". فالشريعة الإسلامية لم تستند مطلقًا إلى تأييد قوة منظمة، وعلى ذلك فلم ينشأ قط في الإسلام اختبار حقيقي للقوى بين الدين والدولة، وظل المبدأ القائل بأن الإسلام هو دين ينبغي أن ينظم الناحية القانونية في حياة المسلمين، قائمًا لا يتحداه أحد".

---

[١٥٨] كتاب إساءة الرأسمالية والشيوعية إلى الله. الأستاذ الدكتور غازي عناية.

ومن بعض الآراء للمُستشرق "شاخت":

"إن من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني، الذي يسمى "الشريعة"، والشريعة الإسلامية تختلف اختلافًا واضحًا عن جميع أشكال القانون. إن الشريعة الإسلامية هي أبرز ما يُميَّز أسلوب الحياة الإسلامية، وتفرده يعود لنظرته لجميع أفعال البشر، وعلاقاتهم بعضهم ببعض، بما في ذلك ما نعتبره قانونًا على أساس المفاهيم التالية: الواجب والمندوب والمتروك والمكروه والمحظور".

ويقول "شاخت":

"لقد أثر التشريع الإسلامي تأثيرًا عميقًا في جميع فروع القانون عند أهل الديانات الأخرى، من اليهود والنصارى، والذين شملهم تسامح الإسلام وعاشوا في الدولة الإسلامية. فاليهودي موسى بن ميمون (٦٠١هـ – ١٢٠٤م) قد تأثر ببعض ملامح المؤلفات الإسلامية في تنظيمه للمادة القانونية في مُدونته (مشنة توراة) وهو عمل لم يسبقه إليه أحد من اليهود، ولم يتردد اليعاقبة والمونوفيزية في النصرانية[١٥٩] – أصحاب الطبيعة الواحدة — والنسطوريون[١٦٠] في الاقتباس من قواعد التشريع الإسلامي". [١٦١]

وقال المؤرخ الهولندي رينهاردت دوزي في كتابه " نظرات في تاريخ الإسلام":

"لقد كان غالبية النصارى في الشرق ينتمون إلى مذاهب متعددة، كانت قد لقيت من اضطهاد حكومة القسطنطينية وإعناتها ما أرهق أصحابها إرهاقًا، فلما جاء الإسلام – ومن طبيعته التسامح والإخاء – ترك لهم الحرية التامَّة في البقاء على دينهم، وظَلَّلهم بحمايته، وساوى بينهم في الحقوق على اختلاف مذاهبهم، وبما أنهم كانوا مضطرين إلى دفع ضرائب فادحة للإمبراطور الروماني، فقد أعفاهم الإسلام منها، ولم يفرض عليهم إلا جزية معتدلة لا تُرهق أحدًا".

الدولة في الإسلام ليست دولة "دينية" بالمعنى المفهوم في الفكر الغربي سابقًا، بل إن في المفهوم الإسلامي نزع لكل عصمة أو قداسة لفعل البشر، وهي دولة واجبها الرئيس خدمة مصالح الناس. إن الانطلاق من المرجعية الإسلامية للدولة لا ينافي إطلاقًا مفهوم الدولة المدنية أو مفاهيم الحداثة، بل يجب أن يكون سبيلاً للاعتزاز بهويتنا ومكانتنا الحضارية والتاريخية.

في حواري مع أحد العلمانيين الفرنسيين يومًا، كان قد سألني قائلاً: لماذا لا يُفصل الدين عن الدولة، وتكون المرجعيات في المجتمع لرأي الإنسان ووجهة نظره فقط، كما هو الحال في الدول الغربية؟ والأخذ بالفصل التام للدين عن الدولة وحياة الناس وسلوكهم، كما في التجربة الفرنسية مثلاً.

قلت له مبتسمة: تقصد مرجعيات تعود لأهواء الإنسان ورغباته وتقلبات مزاجه! نحن في الواقع بحاجة إلى شريعة ربانية ثابتة، تناسب الإنسان في كل أحواله، ولا تتغير بحسب الأهواء، كما فعلوا في تحليل الرِّبا والمثلية، ولا تُكتب من قبل الأقوياء لتكون ثِقلاً على المستضعفين كما في النظام الرأسمالي، ولا شيوعية تعارض الفطرة في الرغبة في التملك.

قلتُ له مستطردة: التجربة الفرنسية جاءت كردة فعل على تسلط وتحالف الكنيسة والدولة على مقدرات الشعب وعقولهم في العصور الوسطى. العالم الإسلامي لم يواجه هذه المشكلة قط، نظرًا لعملية ومنطقية النظام الإسلامي.

قال: إذًا فإنكم لا تعترفون في الديمقراطية.

قلت له: لدينا ما هو أفضل من الديمقراطية، لدينا الشورى.

---

[١٥٩] نسبه للمطران السرياني يعقوب البرادعي عن النصرانيين، الذين يقتون للكنائس الميافيزية المصرية (الكنيسة القبطية الأرثوذكسية).

[١٦٠] هو المعتقد الديني النصراني الرافض لمجمع أفسس المعقود سنة ٤٣١ م. يعرف داعمو كيرلس الأول النسطورية بأنها العقيدة القائلة بأن يسوع المسيح مكون من جوهرين يعبر عنها بالطبيعتين وهما: جوهر إلهي وهو الكلمة، وجوهر إنساني أو بشري وهو يسوع.

[١٦١] https://www.islamweb.net/ar/article/193333/ المستشرقون يؤكدون الإسلام دين ودولة.

قال: وما الفرق؟

قلت له: الديمقراطية هي عندما تأخذ رأي جميع أفراد أُسرتك بعين الاعتبار مثلاً، في قرار مصيري يخص الأُسرة، بغض النظر عن خبرة هذا الفرد أو عمره أو حكمته، من طفل في رياض الأطفال إلى الجد الحكيم، وتساوي بين آرائهم في اتخاذ القرار. أما الشورى فهي توجهك لاستشارة كبار السن والمقام، وأصحاب الخبرة لما يصلح أو لا يصلح.

قلت له معقبة: الفرق واضح جدًا، وأكبر دليل على الخلل بالأخذ بالديمقراطية، هو إعطاء الشرعية في بعض الدول لتصرفات، هي في حد ذاتها مخالفة للفطرة والدين والأعراف والتقاليد، مثل المثلية الجنسية والرِّبا وغيرها من الممارسات المقيتة، لمجرد الحصول على الأغلبية في التصويت، وبكثرة الأصوات التي تنادي بالانحلال الأخلاقي، كانت الديمقراطية قد ساهمت في خلق مجتمعات لا أخلاقية.

قلت له أيضًا: إن الفرق بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية، هو خاص بمصدر السيادة في التشريع، فالديمقراطية تجعل السيادة في التشريع ابتداءً للشعب والأمة، أما الشورى الإسلامية فإن السيادة في التشريع ابتداءً هي لله سبحانه وتعالى، تجسدت في الشريعة، وهي ليست إنتاجًا بشريًا، وما للإنسان في التشريع إلا سلطة البناء على هذه الشريعة الإلهية، وكذلك له سلطة الاجتهاد بما لم ينزل فيه شرع سماوي، شريطة أن تظل السُّلطة البشرية محكومة بإطار الحلال والحرام الشرعي.

قال: التشريع الإسلامي فريد من نوعه، فبالرغم من أنه قانون ديني، إلا أنه من حيث الجوهر لا يعارض العقل بأي وجه من الوجوه، وهو ذو منهج منظم، يؤلف مذهبًا متماسكًا، ونُظمه المتعددة مترابطة بعضها مع بعض، لكنني ضد الحدود التي وردت في القرآن.

قلت له: الحدود وُضعت للردع ولعقاب من يقصد الإفساد في الأرض، بدليل أنها تُعطَّل في حالات القتل الخطأ أو السرقة بسبب الجوع والحاجة الشديدة، وهي في الأساس لحماية المجتمع، ومنها ما هو موجود أصلاً في القانون الفرنسي كحد الإعدام.

قال: وهل حقًا موجود حكم الإعدام في القانون الفرنسي؟

قلت له: نعم، وموجود في كثير من القوانين الوضعية في دول أخرى.

قلت له: تخيل نفسك تعود لمنزلك وتجد أفراد أُسرتك قد قُتلوا على يد أحدهم بهدف السرقة أو الانتقام مثلاً، وجاءت السُّلطات لتقبض عليه وتحكم عليه بالسجن لمدة معينة، طويلة كانت أو قصيرة، يأكل فيها وينتفع بالخدمات الموجودة في السجون، والتي تساهم بتوفيرها أنت بنفسك عن طريق دفع الضرائب.

قلت له مستطردة: ماذا سوف تكون ردة فعلك في هذه اللحظة؟ سوف ينتهي بك الأمر للجنون، أو الإدمان على المخدرات لتنسى آلامك. إن الموقف نفسه لو حدث في دولة تُطبق الشريعة الإسلامية، سوف يكون تصرف السُّلطات مختلف، سوف يأتون بالمجرم إلى أهل المجني عليهم، لإعطاء القرار في شأن هذا الجاني، إما أن يأخذوا بالقصاص، وهو العدل بعينه، أو دفع الدِّية وهي المال الواجب بقتل آدمي حُر، عوضًا عن دمه، أو العفو، والعفو أفضل كما جاء في القرآن الكريم.

"...وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[١٦٢] .

قلت له مسترسلة: عدد آيات القران الكريم ٦٣٤٨ آية، وآيات الحدود لا تتجاوز العشر الآيات، والتي وُضعت بحكمة بالغة من لدن حكيم خبير. هل تخسر فرصة الاستمتاع بقراءة وتطبيق هذا المنهج الذي تعتبره أنت فريد من نوعه، فقط لأنك تجهل الحكمة من وراء عشرة آيات؟

---

[١٦٢] (التغابن :١٤).

التوازن في الاقتصاد:

وأذكر أن سألني أحد اللاتينيين المهتمين بالاقتصاد عن الفرق بين النظام الاقتصادي في الإسلام والرأسمالية والاشتراكية.

قلت له: بخصوص حرية التملك، في الرأسمالية، الملكية الخاصة هي المبدأ العام، أما في الاشتراكية، الملكية العامة هي المبدأ العام. وفي الإسلام، السماح بملكيات ذات أشكال متنوعة:

الملكية العامة: وهي عامة لمجموع المسلمين مثل الأراضي العامرة.

ملكية الدولة: الثروات الطبيعية من غابات ومعادن.

ملكية خاصة: تكتسب فقط عن طريق العمل الاستثماري بما لا يُهدد التوازن العام.

قال: وماذا بخصوص الحرية الاقتصادية؟

قلت له: في الرأسمالية، تُترك الحرية الاقتصادية بلا حدود. أما في الاشتراكية، مصادرة الحرية الاقتصادية تمامًا. أما في الإسلام، يُعترف بالحرية الاقتصادية في نطاق محدود يتمثل في:

التحديد الذاتي النابع من أعماق النفس بناءً على التربية الإسلامية، وانتشار المفاهيم الإسلامية في المجتمع والتحديد الموضوعي الذي يتمثل بالتشريعات المحددة التي تمنع أعمالاً محددة مثل: الغش، والميسِر، والرِّبا، وغيرها.

قال: الدين كالأفيون، يتعاطاه الفقراء والمضطهدين لقبول الظلم والمعاناة، ويتركهم يحلمون بالجنة والآخرة، ليُعطي الفرصة للأغنياء للاستحواذ على الثروات، مما تسبب بتخلف وفقر المسلمين، وغيرهم من المتدينين.

قلت له: المجتمعات البشرية لم تشهد الفقر والظلم الاجتماعي بسبب إيمانها أو حتى قلة الموارد لديها، ولكن بسبب بعدها عن دينها وسوء توزيع مواردها، فالفقر المدقع لا يظهر إلا بسبب الغنى الفاحش.

إنه في حين ساد الاعتقاد في الرأسمالية، بعدم قدرة الموارد الطبيعية على تلبية احتياجات الإنسان المتجددة، وتحدثت الاشتراكية بوجود التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع، كان قد بيَّن الإسلام أن الله تعالى خلق للبشرية من الثروات الطبيعية ما يُلبيِّ احتياجاتها جميعًا دون قصور ونفاد. وأن المشكلة تكمن في الإنسان ذاته بعدم استخدامه للثروات الطبيعية بشكل سليم، وعدم التزامه بعدالة التوزيع.

قلت له مستطردة: الواقع هو أن الدين التزام ومسؤولة، إنه يجعل الضمير متيقظًا، ويحث المؤمن على محاسبة نفسه في كل صغيرة وكبيرة، المؤمن مسؤول عن نفسه وأسرته وجاره وحتى عن عابر السبيل، وهو يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله، ولا أظن أن هذه من صفات مدمني الأفيون.

قلت له: أفيون الشعوب الحقيقي هو الإلحاد وليس الإيمان.

ضحك وقال: لماذا؟

قلت له: لأن الإلحاد يدعو أتباعه للمادية، وتهميش علاقتهم مع خالقهم برفضهم للدين والتخلي عن المسؤوليات والواجبات، وحثهم على الاستمتاع باللحظة التي يعيشونها، بغض النظر عن العواقب، فيفعلوا ما يحلو لهم، معتقدين بعدم وجود رقيب أو حسيب، ولا بعث أو حساب.

وسألته مباشرة: أليس هذا وصف للمدمنين حقًا؟

قال: نعم صحيح.

قال: وكيف حقق الإسلام التوازن الاجتماعي؟

قلت له: إن من القواعد العامة في الإســـلام، أن المال مال الله والناس مســـتخلفون فيه، وألا تكون الأموال دُوَلة بين الأغنياء، ويَمنع الإسلام كنز المال بدون إنفاق نسبة بسيطة منه للفقراء والمساكين عن طريق الزكاة، وهي عبادة تساعد الإنسان على تغليب صفات البذل والعطاء على نوازع الشح والبخل.

" مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "[١٦٣].

" آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ"[١٦٤].

"...الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "[١٦٥].

كما ويحث الإسلام على العمل لكل قادر.

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"[١٦٦].

وحرَّم الإسلام الإسراف وارتفع بمستوى الأفراد لضبط مستوى المعيشة، على أن مفهوم الإسلام للغنى ليس تلبية للحاجات الضرورية فقط بل أن يملك الإنسان ما يأكل ويلبس ويسكن ويتزوج ويحج ويتصدق أيضًا.

"وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا"[١٦٧].

فالفقير في نظر الإسلام هو من لم يظفر بمستوى من المعيشة ما يمكِّنه من إشباع حاجاته الضرورية وحسب مستوى المعيشة في بلده، وبقدر ما يتسع مستوى المعيشة يتسع المدلول الواقعي للفقر، فإذا كان المتعارف عليه في مجتمع ما حيازة كل عائلة على منزل مستقل بها مثلاً، أصبح عدم حصول أسرة معينة على منزل مستقل بها، يُعتبر لونًا من ألوان الفقر، وعلى هذا فالتوازن يعني إغناء كل فرد (مسلمًا كان أم ذميًا) بالقدر الذي يتناسب وإمكانيات المجتمع في ذلك الوقت.

ويضمن الإسلام تلبية حاجات جميع أفراد المجتمع، ويتحقق ذلك من خلال التكافل العام، فالمسلم أخو المسلم وكفالته واجبة عليه ومن هنا فإن على المسلمين ألا يظهر بينهم محتاج وإلا أثموا جميعًا.

قال النبي عليه الصلاة والسلام:

"المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلِمُه ولا يُسْلِمه، ومَن كان في حاجةِ أخيهِ كان الله في حاجتِه، ومَنْ فرَّج عَنْ مُسلمٍ كُربةً فرَّج الله عنه كُربَةً مِن كُرباتِ يومِ القيامة، ومَن سَتَر مُسلماً ستره الله يومَ القيامة" [١٦٨].

أذكر هنا قصة جميلة أيضا لزائرة كولومبية، قد جاءت مع أبنائها المراهقين وصديقتها لزيارة المركز، وللأسف جاؤوا في وقت متأخر جدًا، حيث كانت نهاية الدوام، ولم أتمكن من الإجابة على جميع أسئلتهم، وقد شرحت ما بوسعي خلال ١٥ دقيقة، لكنني شعرت أن السيدة الكولومبية تُخفي أمرا. في صباح اليوم التالي عادت السيدة وأولادها فقط بدون الصديقة، وقالت لي: إنني مصرة على أن أكمل حواري معك، لأنني عندي أسئلة تمنعني من الإسلام منذ سنوات، وأريد أن أجد إجابة على هذه الأسئلة.

قلت لها: لا تترددي في طرح أي سؤال، أنا جاهزة للرد على أسئلتك، معي اليوم كاملا.

---

[١٦٣] (الحشر: ٧).

[١٦٤] (الحديد: ٧).

[١٦٥] (التوبة:٣٤).

[١٦٦] (التوبة: ١٠٥).

[١٦٧] (الفرقان: ٦٧).

[١٦٨] (صحيح البخاري).

فقالت: أنا تعرفت على صديقه مسلمة في بلدٍ ما، خلال سفري وتنقلي مع زوجي، وأخبرتني أنه في الإسلام ليس علينا أن نذهب إلى طبيب عندما نمرض، يكفي أن ندعو الله فيجيب دعائنا، وأنا لم أقتنع بهذه النقطة أبدًا، وكانت هذه النقطة من النقاط التي منعتني من قبول هذا الدين، فأنا باعتقادي أننا يجب أن نأخذ بالأسباب.

فقلت لها: فعلاً للأسف أنتِ تعرفين عن الاسلام أكثر مما تعرفه هذه الأخت المسلمة، وأنها بحاجة لمن يشرح لها دينها، الأخت المسلمة لم تعطيكِ المعلومة الصحيحة، فالإسلام دين عمل في الواقع، وقال سبحانه وتعالى" **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ** "[١٦٩]. والله سبحانه وتعالى يأمرنا بالتوكل وليس بالتواكل، فالتوكل يقتضي العزم وبذل غاية الطاقة والأخذ بالأسباب، ثم التسليم بعد ذلك لقضاء الله وحُكمه.

والنبي صلى الله عليه وسلم قال لمن أراد أن يترك ناقته سائبة توكلاً على الله:

" اعقِلْها وتَوَكَّلْ"[١٧٠].

وبهذا يكون المسلم قد حقق التوازن المطلوب.

فرحت الزائرة كثيرًا بإجابتي، وأذكر أنني أمضيت معها يومًا كاملاً في الإجابة على أسئلتها، فقالت في نهاية الحوار: إنها فوجئت قبل ستة سنوات بإسلام زوجها الذي لم يكن يعتنق أي دين من قبل، ولم يكن له اهتمامات دينية، مبررًا لها أنه وجد أجوبة على جميع الأسئلة التي طالما دارت في خلده، وقد دعاها للإسلام، لكنها ترددت، لأنها لا زالت لديها شكوك واستفسارات عن نقاط كثيرة، وأخبرتني أنها ولله الحمد وجدت جميع الإجابات على أسئلتها خلال حواري معها.

إن الاسلام ينظر للحياة كما ينبغي أن تكون، إن ما يتطلع اليه الناس هو دين متوازن يُلبِّي الحاجات الروحية التي لا غنى عنها، ولا يُهمِّش الحاجات المادية للإنسان. الدين يدعو إلى الوسطية، وهو المبدأ الذي شدَّد عليه الدين السماوي الخاتم الذي جاء به خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، ليُصحح الخطأ الذي وقعت فيه الأمم السابقة، والذي أدى لتشويه مفهوم الدين وربطه بالروحانيات فقط، وبالتالي أدَّى إلى انتشار الخرافات مما أدَّى إلى صرف الناس عن الدين بالكلية. إضافةً إلى أن الدين أصبح مستغلاً لتحقيق أهداف ومآرب خاصة، ومستخدمًا كوسيلة للضغط على الشعوب، وهذا ما دفع كثير من الدول لاتباع نهج ما يُدعى "العلمانية "، وهو فصل الدين عن الدولة.

وقد نجح الإسلام كمنهج، بينما فشلت الرأسمالية والشيوعية، ولكن ابتعاد المسلمين عن دينهم الصحيح وعجزهم عن نشر مبادئ الإسلام بصورة صحيحة، ساهم في العقود الأخيرة بازدياد نسبة الملحدين والمشككين والحائرين في العالم، وبدأت البشرية تكفر بكل العقائد لجهلها بالدين الصحيح وفساد ما يُعرض عليها من معتقدات.

---

[١٦٩](التوبة: ١٠٥).

[١٧٠] (صحيح الترمذي).

إن ربي رحيمٌ ودود

إنما نُطعمكم لوجه الله:

أذكر أننا أقمنا أول عامين لنا في مدينة لاغوس في نيجيريا في شـــقق فندقية، حتى يتســـنى لنا البحث عن منزل مناســـب وقريب من مدارس الأولاد، وكنت حريصة على أن أُحضر هدايا بسيطة لجميع عمال التنظيف وطاقم الاستقبال وسائق السيارة بعد عودتي من أي رحلة ســـفر، ومشـــاركتي لهم في الطعام والشـــراب، لكنني وبكل أمانة لم تكن الدعوة في بالي في ذلك الوقت، ولكن أردت بهذه الأعمال التقرب إلى الله، وعند قرارنا بمغادرة المكان للانتقال للمنزل الجديد، فوجئنا ببكاء الجميع، وقد أخبرنا السائق أنهم يقولون: إنهم لم يقابلوا عائلة مسلمة بهذه الأخلاق تنشر روح المحبة والإخاء، وهم يريدون أن يكافئونا. فلم أعد أعرف هل أفرح بسبب السعادة التي أدخلناها على قلوبهم، أم أحزن لحال المسلمين اليوم، والذي أعطى أهل هذا البلد هذا التصور عن المسلمين، وقلت للسائق: مكافأتنا هي سعادتهم، وتذكرت الآية الكريمة: "إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا"[١٧١]، فارتاحت نفسي.

ورحمتي وسعت كل شيء:

أذكر قصة لمدرِّسة اللغة الفرنسية، وهي أفريقية من دولة "بنين" المجاورة لمدينة لاغوس حيث نقيم، والتي كنت قد أبلغتها بعد المحاضرة بحاجتي لخادمة للمنزل تتكلم اللغة الفرنسية، لكي أتمكن وأولادي من ممارسة اللغة الفرنسية معها، فتفاجأت بقولها: أنا مستعدة لأن أعمل خادمة لديكِ.

قلت لها: أنتِ مُدرستي ولك احترامك عليّ.

قالت: أنت لطيفة للغاية، ولكنني فعلاً بحاجة لهذا الأمر، فأنت تعرفين أنني آتي كل يوم من دولة "بنين" المجاورة لهذه المدينة، وأنا بحاجة إلى سكن، وسوف أنظف لكِ البيت صباحًا وأعمل في المركز مساءً، وأنا لاحظت أنكم ودودون جدًا، مع أن كتابكم (القرآن) لم يتحدث عن الحب أبدًا، ولا حتى عن حب الخالق لعبيده، وكيف يحبهم وهو يُضيق عليهم في العيش.

قلت لها: بالنسبة للسكن، فتفضلي للسكن بدون عمل ولا مقابل، فلدينا ملحق خاص للعاملين وممكن أن تشاركيهم في المبيت.

أما بخصوص القرآن، فهل قرأتِ القرآن أصلاً؟

قالت: لا، ولكنني سمعت بذلك.

قلت لها: لو قرأتِ القرآن لأدركتِ ما فيه من ذكر لرحمة الله وحبه لعباده، ولكن حب الله جل جلاله للعبد ليس كحب العباد بعضهم بعضًا، لأن الحب في مقاييس البشـــر هو حاجة يفتقدها المحب، فيجدها عند المحبوب، ولكن الله جل جلاله غني عنا، فحبه لنا حب تفضل ورحمة، حبُّ قويٍّ لضعيف، وحب غني لفقير، وحب قادر لعاجز، حبُّ عظيمٍ لصغير، وحب حكمة.

قالت: كيف هذا؟

قلت لها: ألا تأخذي بيد طفلك الصغير بكل حب إلى غرفة العمليات ليشقوا بطنه، وأنتِ واثقة تمامًا من حكمة الطبيب وحبه للصغير وحرصه على نجاته.

---

[١٧١] (الإنسان:٩).

قالت: كيف يحبهم وهو يُقيد حريتهم ولا يسمح لهم بأن يفعلوا ما يحلو لهم؟ ألم تسمعي بالفردانية؟ ألم تسمعي بهذا المفهوم المتطور، وهو أن قرارات الفرد يجب أن تكون مستندة على منفعته ومتعته الشخصية وهو مركز الاهتمام الرئيسي، أي أن مصالحه الشخصية تتحقق فوق اعتبارات البلد وتأثيرات المجتمع والدين، وتسمح له بتغيير جنسه، ويفعل ما يحلو له، ويرتدي ويتصرف في الطريق كما يريد، فالطريق للجميع.

قلت لها: وهل تسمحين لأطفالك بفعل ما يحلو لهم بذريعة حبك لهم؟ هل تسمحي لابنك الصغير أن يُلقي بنفسه من نافذة المنزل أو يلعب بسلك الكهرباء المكشوف؟

قلت لها: عبارة الطريق للجميع صحيحة لكن فهمك لها خاطئ، لو كنت تسكنين مع مجموعة من الأشخاص في منزل واحد مشترك، هل كان سيعجبك تفسيرك لهذه العبارة؟ هل كنت ستقبلين بأن يقوم أحد شركائك في المنزل بعمل مشين كقضاء الحاجة في صالة المنزل بحجة أن المنزل للجميع؟ هل ستقبلين الحياة بهذا المنزل بدون قوانين ولا ضوابط تحكمها؟ فالإنسان بالحرية المطلقة يصبح كائن قبيح، وكما ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه عاجز عن تحمل هذه الحرية.

الفردانية لا يمكن لها أن تكون هوية بديلة عن الهوية الجامعة مهما كانت قوة الفرد أو نفوذه. أفراد المجتمع طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى لبعضها عن بعض. فمنهم الجنود والأطباء والممرضون، والقضاة، فكيف يتسنى لأي منهم أن يُغلِّب منفعته ومصلحته الشخصية على الآخرين ليحقق سعادته، ويكون هو مركز الاهتمام الرئيسي؟

قالت: وكيف تتحقق السعادة إذًا؟

قلت لها ما قرأته يومًا وأعجبني كثيرًا[١٧٢]: إن السعادة في الفردانية هي الانتصار، الهيمنة وامتلاك التكنولوجيا. لكن السعادة في الإسلام، هي القلب المطمئن، الزواج الناجح، المسكن الواسع، الجار الصالح، المركب المريح، المشاركة والتعاون.

وقد جعلت الحضارة الإسلامية والتي تشكلت من مزيج من مختلف الشعوب والقبائل الفردانية كالرسم البياني، فجعلت حساب وجزاء، واجبات وحقوق، وكما يقع على الفرد العقاب أيضًا يُكافأ، ولقد حرر الإسلام أيضًا الفرد من العصبية القبلية وأعاده إلى الفطرة السليمة، كمدني اجتماعي، يعيش في جماعة تحترمه وتُقدر إمكانيته التفكيرية وقدرته على التعايش مع الآخرين، فالأمة المتطلعة للتقدم والتي تتبنى هدفًا ساميًا، تنطلق من مفهوم الكيان الواحد، فلكل فرد اجتهاده وأفكاره وقدراته، لكن التطبيق يحتاج إلى الجماعة، وبالتالي يتساوى الجميع هنا حسب ما قدمه كل فرد. وبذلك يكون الإسلام قد حدد علاقة الفرد بالمجتمع، وأوضح بأن الفرد ليس سوى جزءٍ صغير لا يتجزأ من الهوية الجماعية التي بدورها تكفل ضبط إيقاع الحياة. مما أنتج مجتمعًا مستقرًا وآمنًا، لأنه كلما اختل التوازن بين الطبقات، ستظهر الصراعات، ويُفتقد الرضا في المجتمع. فلم يعد المال هو المعيار الأعلى الذي يُميِّز مالكه عن الآخرين، ولا بالمال تتحقق القوة وقيادة العالم. القائد في النظام الإسلامي لا يُقيَّم بما يملك من مال، لكن بما لديه من عِلم وأخلاق وعدل، وبهذه الصفات وحدها استطاعوا سابقًا التقدم وتحقيق الانتصارات.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

"مَثَلُ المؤمِنين في تَوادِّهم وتَراحُمِهم وتَعاطُفِهم مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتكى مِنه عُضو تَداعى لهُ سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهرِ والحُمى"[١٧٣].

قالت: الفردانية ترتبط بالشذوذ الجنسي بشكل مباشر، فلماذا لا تحبون الشاذ جنسيًا، فما لديه من ميول، هو مسألة جينية طبيعية، وميول طبيعي، ويجب أن نحترمه.

---

[١٧٢] https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2020/05/26/523195.html. من مقال مفهوم الفردانية المطلقة والفرد في الأمة بقلم: مروان صباح، جريدة الوطن.

[١٧٣] (صحيح مسلم).

قلت لها: وهل تحترمي ميول السارق إلى السرقة؟ فهذا أيضًا ميول، ولكنه في الحالتين ميول غير طبيعي، إنه خروج على الفطرة البشرية، واعتداء على الطبيعة، ويجب أن يُقوَّم.

لقد خلق الله الإنسان وهداه إلى الطريق السليم، ولديه حرية الاختيار بين طريق الخير وطريق الشر.

"وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " [١٧٤].

ولذلك نجد أن المجتمعات التي تُحرِّم المثلية نادرًا ما يظهر فيها هذا الشذوذ، والبيئة التي تبيح وتشجع على هذا السلوك، تزداد فيها نسبة المثليين، مما يدل على أن الذي يحدد احتمال الشذوذ لدى الإنسان، هو البيئة والتعاليم المحيطة به.

ولذلك قال تعالى عن قوم لوط:

" وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ " [١٧٥].

هذه الآية تؤكد أن الشذوذ ليس وراثيًا، وليس من أصل تركيب الشفرة الوراثية للإنسان، لأن قوم لوط هم أول من ابتدع هذا النوع من الفاحشة. وهذا يتطابق مع أوسع دراسة علمية، والتي تؤكد أن الشذوذ الجنسي لا علاقة له بالجينات الوراثية[١٧٦].

إن هوية الإنسان تتغير في كل لحظة، حسب مشاهدته للفضائيات، أو استخدامه للتكنولوجيا أو تعصبه لفريق كرة قدم مثلاً، فالعولمة صنعت منه إنسانًا معقدًا. فالخائن أصبح صاحب وجهة نظر. والشاذ أصبح صاحب سلوك طبيعي، وأصبح لديه الصلاحية القانونية للمشاركة في نقاشات علنية، بل وعلينا دعمه والتصالح معه. وأصبحت الغلبة لمن لديه التكنولوجيا، فإذا كان الشاذ هو الطرف الذي يمتلك أسباب القوة، فسيفرض على الطرف الآخر قناعاته. مما أدى إلى إفساد علاقة الإنسان بنفسه وبمجتمعه وبخالقه. وبارتباط الفردانية بالشذوذ الجنسي بشكل مباشر، تلاشت هنا الفطرة الآدمية التي ينتمي لها الجنس البشري، وسقطت مفاهيم العائلة الواحدة، فبدأ الغرب بوضع حلول للتخلص من الفردانية، لأن الاستمرار بهذا المفهوم سيضيع المكاسب الذي حققها الإنسان المعاصر، كما أضاع مفهوم العائلة، وبالتالي ما زال الغرب حتى اليوم يعاني من مشكلة تقلص أعداد الأفراد في المجتمع، والذي أدى إلى فتح الأبواب لاستقطاب المهاجرين.

فالإيمان بالله واحترام قوانين الكون التي خلقها لنا، والالتزام بأوامره ونواهيه، هو طريق السعادة في الدنيا والآخرة.

وما كان عطاء ربك محظورا:

كانت المدرِّسة قد أكملت حوارها معي قائلة: وكيف تتطور دول ملحدة وتتخلف دول مؤمنة بالله، على الرغم من حبه لهم.

قلت لها: وهل يعطي مدير المدرسة لابنه الفاشل شهادة النجاح، لمجرد أنه ابنه فقط؟ هناك قوانين وأنظمة يجب أن تُتَّبع في هذه المدرسة، ويُحدَّد بناءً عليها الناجح والراسب. لكن هذا لا يُغيِّر واقع أن مدير المدرسة يحب ابنه أكثر من الجميع وهو حامل اسمه ووريثه الوحيد.

قلت لها: فالكون كالمدرسة له قوانينه وسُننه، ولقد حقق غير المؤمنين التقدم المادي والتطور التكنولوجي بسبب أخذهم بالقوانين الكونية والسنن الإلهية، ومن ثم استطاعوا بناء أنظمة سياسية جيدة، وأنظمة تعليمية وتربوية قوية وذات معايير منهجية. وكان هذا التقدم المادي فقط لمن أخذ منهم بزمام السنن الإلهية والقوانين الكونية، وهذا دليل على أن النجاح الدنيوي لا يُحابي أبيض ولا أسود،

---

[١٧٤] (البلد: ١٠).

[١٧٥] (الأعراف: ٨٠ -٨٢).

[١٧٦] https://kaheel7.net/?p=15851 موسوعة الكحيل للإعجاز في القرآن والسنة.

والعدل من أسمائه عز وجل، والظلم من أقبح ما حذرنا الله منه. ولكن مع هذا فالله لن يُعط غير المؤمن الآخرة التي هي لعباد الله المؤمنين وأحبائه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إِنَّ اللهَ تعالى لا يَظْلِمُ المؤمِنَ حسَنَةً، يُعْطَى عليْها في الدنيا ويُثابُ عليها في الآخرة، وأمَّا الكافِرُ فيُطْعَمُ بِحَسَناتِهِ في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكنْ لَهُ حسنةٌ يُعْطَى بِها خيرًا"[١٧٧].

فالله تعالى يعطيهم في الدنيا ما يستحقونه باعتبار ما عندهم من خير وما يبذلونه من حق.

كما أن الله تعالى قد ينصر أمة كافرة على أمة مسلمة، عقوبة لها على معاصيها، كما حدث بغزوة أحد.

"وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ "[١٧٨].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن الله قَسَّم بَينَكُم أخلاقَكُم كما قَسَّم بَينكُم أرزاقَكُم، وإن الله يُعطي الدُّنيا مَن يحُب ومَن لا يُحب، ولا يُعطي الايمانَ إلا مَن يُحب"[١٧٩] .

فقالت: إذًا إن آمنتُ به الآن فسوف يعطيني مالاً ومنزلاً؟

قلت لها: وإن لم يعطيكِ والدك مالاً ومنزلاً هل كنتي ستنكرين وجوده؟

الله ينتظرنا:

في قصة جميلة لمجموعة من الملحدين الصينيين الذين كانوا يتساءلون عن رحمة الله، فقال أحدهم:

كيف يعطينا الخالق غرائز ثم يطالبنا بأن لا نستعملها؟ ويعطينا المال ويطالبنا بأن نخسره بالصدقات، ويعطينا الوقت ويطالبنا بأن نضيعه في العبادات؟ أليس هذا دليل على القسوة؟

قلت له: إذا فأنت تؤمن به واعتراضك فقط على رحمته من عدمها؟

قال: لا، أنا لا أؤمن به لأنه قاسي.

ابتسمت وقلت له: افتراضك أنه قاسي، دليل على إيمانك بوجوده، أنت للأسف تناقض نفسك. تعالى الله عما يُنسب إليه من القسوة والظلم، فهو الرحمن الرحيم، لكن رحمته هي الرحمة المطلقة. وعلى أية حال فإن القسوة التي تفترضها ليست حجة ضد وجود الله، بل ضد رحمته.

قلت له: أنت برغبتك بإطلاق غرائزك، تريد أن تكون عبدًا لها، والله يريدك أن تكون سيدًا عليها، يريدك الله إنسانا عاقلاً حكيمًا يتحكم في غرائزه، فليس المطلوب منك تعطيل الغرائز بل توجيهها للارتقاء بالروح وسمو النفس.

قلت له: ألديك أطفال؟

قال: نعم.

قلت له: عندما تُلزم أولادك بتخصيص بعض الوقت في المذاكرة، ليحصلوا على مكانة علمية في المستقبل، مع رغبتهم في اللعب فقط، هل تُعتبر أنت في هذه اللحظة أب قاسي؟

---

[١٧٧] (صحيح مسلم).

[١٧٨] (آل عمران: ١٥٢).

[١٧٩] (حديث صحيح الإسناد).

حينها تفاجأت بالمجموعة تنتفض من الفرحة لإجابتي، وســـألني أحدهم: ماذا نفعل الآن وقد أبعدنا عن الله كثيرًا، هل يقبلنا إذا عدنا وقد أسأنا إليه كثيرًا؟

قلت له: أنتم أسأتم لأنفسكم فقط، فالله تعالى ليس بحاجة لنا، بل نحن بحاجة إليه، ولكن على أية حال، ماذا كنت سوف تفعل أنت عندما يبتعد عنك ابنك العاصي؟ هل كنت ستفضحه وتُشهِّر به، هل كنت ستطلب منه أن يقتل نفسه؟

قال: سأبقى منتظرًا عودته، وأسامحه إن عاد.

قلت له: إذًا فالله ينتظركم الآن.

فشهق فرحًا وردد بصوت عالي: الله ينتظرنا ويكررها، وصار الجميع يلتفت لبعضه البعض ويقول: الله ينتظرنا.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:

" لَلهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه مِن أحدكم كان على راحلَته بأرضٍ فَلَاة، فانفلتت مِنه وعليها طَعامه وشَرابه، فأيِسَ منها، فأتى شجرةً فاضطجَعَ في ظلِّها قد أيِس من راحِلَته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخِطامها، ثمَّ قال مِن شدَّة الفرحِ: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك، أخطأ من شِدَّة الفَرح"[١٨٠].

وأذكر قصــة لي مع ممثل هندي شــهير، كان قد اعتنق الهندوسـية مؤخرًا، وفي أثناء حواري معه وفريق عمله، عن رحمة الله وحبه لعباده، قال أحدهم لي: كيف يصف الله نفسه بالغفور الرحيم تارة، وشديد العقاب تارة أخرى؟

قلت له: الله غفور رحيم مع أصـحاب الذنوب التي تُرتكب دون إصـرار وبحكم بشـرية الإنسـان وضـعفه، ولا يقصـد بها تحدي الخالق، لكنه تعالى يقصم من يتحداه وينكر وجوده، أو يصوره في صنم أو حيوان، فقاطعني الممثل بصورة غير لائقة وقال: هذه صغائر والله لا يهتم بها.

قلت له: إنك لو شتمت حيوان فلن يلومك أحد، أما أن تشتم والديك، فسوف تُلام وبشدة. لا تنظر إلى صغر المعصية، لكن انظر من عصيت.

فاتبعوني يُحببكم اللَّه:

من التجارب العنيفة التي خضـــتها في مجال الدعوة، كانت مع امرأة من جنوب أفريقيا وأخيها النصـــرانيين، وزوجة أخيها التايلاندية البوذية. المرأة وأخيها من ســكان أفريقيا الجنوبية البيض الذين يتميزون بضــخامة عجيبة في الأجســاد، بينما زوجة الأخ كانت صــغيرة الحجم جدًا، وكنت قد ارتبكت في البداية للتناقض في أشكال وأحجام وعقائد الزوار، وشراسة المرأة في عرضها للدين النصراني عليّ، حيث كان من المفترض أن أبدأ حواري معهم بعرض مختصـر عن الإسـلام، وقد فاجأتني بسـيل من العبارات الغريبة وبدون توقف، ولم تعطني حتى الفرصة لأن أتكلم كلمة واحدة، وهي تقول: "الله محبة"، الله يحبك، الله مات من أجلك.

تمالكت نفسي وقلت لها: حسنًا، أنا مستعدة لاعتناق النصرانية، إن أجبتِ عن أسئلتي.

فرحت الزائرة كثيرًا، وذهبت لتُحضر زوجة أخيها لتسمع الحوار، حيث كانت زوجة الأخ في زاوية أخرى في المسجد تلتقط بعض الصور التذكارية، وفهمت أن المرأة الجنوب أفريقية تحاول مع زوجة أخيها من فترة لتترك البوذية وتعتنق النصـــرانية، فاعتقدت الزائرة أن قبولي للنصرانية سوف يكون حافزًا لزوجة أخيها.

قالت الزائرة في حضور زوجة أخيها: أخبريني ما هي أسئلتك.

قلت لها: أنت تقولين إن الله يحبني ومات من أجلي، للتكفير عن ذنوبي.

قالت نعم.

---

[١٨٠] (رواه البخاري).

قلت لها: وهل حبي لابني يجعلني أقتل نفسي لأسامحه على أخطاؤه؟

وهل حب الله لي يجعله عاجزًا أن يغفر لي إن رجعت وعدت إليه؟

وهل حبه لي يجعله يحاسبني على خطيئة ارتكبها غيري وهي خطيئة آدم، ويعطيني الخلاص لمجرد إيماني بموت شخص آخر على الصليب، وليس بصالح عملي؟

وهل حب الله للمسيح يجعله عاجزًا عن حمايته من القتل والصلب؟

وكيف يموت الله وهو حي لا يموت في عقيدتكم؟ أليس هذا تناقض؟

وعندما مات لثلاثة أيام حسب اعتقادكم، من كان يدير الكون في غيابه المزعوم؟

ومن كان يعطي ويرزق، من كان يحيي ويميت، من أحياه هو نفسه عندما مات؟

ومع أن الله قادر على كل شيء كما تبررون عقيدتكم، لكن هل يفعل الله ما لا يليق بجلاله، كأن يُعلَّق على خشبة ويُبصق عليه ويُعذَّب ويموت مصلوبًا، والمصلوب يعتبر ملعون في كتابكم؟

وأين قال المسيح في كتابكم أنه هو الله؟

ولما بكى المسيح وصلَّى لطلب الإغاثة من الله عندما أرادوا صلبه، كان قد صلى لنفسه؟

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا.

وكنت قد لاحظت ارتباكها واختلاسها نظرات لزوجة أخيها، وشعرت أنها بدأت تخشى من تأثير كلامي على زوجة أخيها، وقالت بعجلة بدون أن تجيب على أي سؤال: لقد أعجبني ثوبك كثيرًا، وحضنتني بشدة حتى شعرت بالخوف على نفسي، وتركتني وأمسكت بيد زوجة أخيها وغادرت المسجد فورًا.

وأذكر أنني قد واجهت موقف شبيه بهذا الموقف، مع فرنسي نصراني متدين، حيث قال لي: الله يحبك، الله مات من أجلك.

قلت له: من أخبركم بهذا؟ الله نفسه أم المسيح؟

قال: القديس بولس، وهو شخص ذكي ومتعلم جدًا، ودرجة تعليمه في مستوى درجة تعليم شخص في وقتنا الحاضر ممن يحملون ثلاث شهادات دكتوراه.

قلت له: وما علاقة درجة تعليم بولس بالوحي الإلهي؟

قال: لقد رأى منامًا أخبره أن الله مات من أجلنا.

قلت له: الوحي الإلهي يأتي من الله، ومنه الوحي بالرسالات السماوية، ونقيضه الوحي الشيطاني الذي يأتي عن طريق المنامات للبشر، وكانت قد أضحكته إجابتي.

واستطردت قائلة: ثم إن العِلم البشرى هو إنتاج بشرى، يُصيب ويخطئ، ومنه الابداع العلمي والالهام الأدبي. وهو تجارب وخبرات إبداعية. ولا علاقة لها بالوحي الإلهي على الإطلاق.

وقلت له أخيرًا: أنا ليس لدي الكثير من المعلومات عن هذه النقطة، لكنني أتعجب ممن يترك رسالة المسيح الحقيقية التي هي وحي إلهي، ويتبع رؤيا منام، ليس فيها شيء من المنطق ومخالفة للفطرة والعقل بكل المقاييس، لشخص لم يقابل المسيح في حياته كالقديس بولس، لمجرد أنه متعلم؟ وقد كان من ألد أعداء المسيح، وحاول جاهدًا هدم دينه والقضاء عليه، وكان ممن عذَّب أتباعه.

وقلت مستطردة: أنا الآن كإنسانة محبة للمسيح، وعليَّ أن أصدق رسالته.

وقد قال المسيح: الله واحدٌ أحد[١٨١]، ويقول القديس بولس الله ثلاثة في واحد[١٨٢].

وقال المسيح في كتابكم: سوف أصعد إلى أبي وأبيكم، ربي وربكم[١٨٣]، وقال القديس بولس: المسيح الابن المولود الوحيد لله[١٨٤].

وقال المسيح في كتابكم: أنا لا أستطيع أن أعمل شيئًا بنفسي[١٨٥]، ويقول بولس: المسيح كلي القدرة[١٨٦].

وقال المسيح في كتابكم: الإله أعظم مني[١٨٧]، وقال بولس: أن المسيح مساوي للإله في العظمة[١٨٨].

فأخبرني أرجوك ماذا عليَّ أن أفعل الآن؟ أصدق المسيح، أم أصدق بولس؟

قال: تعرفين كل هذا، وتقولين ليس لديك معلومات؟ هل تسمحين لي بالتقاط بعض الصور لأنني عندي موعد هام وعليَّ المغادرة.

قلت له: تفضل.

ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم:

قصة أخري لأمريكي وياباني من أروع القصص التي عشتها في حياتي، حيث كنت في ذلك اليوم متعبه جدًا وكان هذا اليوم حافلاً بالعمل، وكانوا قد أخبروني أن في انتظاري زائرين أمريكي وياباني، وظننت أنهم أصدقاء لكنني فوجئت أنهم لا يعرفون بعضهم البعض، ولكن تقابلوا في غرفة الانتظار في المركز، فأخذتهم في زيارة الي الداخل مع تعبي الشديد لكنني سبحان الله وافقت.

وجئت بالأمريكي ينهال عليَّ بالأسئلة بشكل متواصل، وسؤال يتبعه سؤال، طبعا الياباني كان يتكلم الانجليزية بطلاقه ولكنه كان يستمع، لم يقاطعنا وكان يستمع بإنصات، لكن الأمريكي كان لا يتوقف عن الأسئلة بشكل غير طبيعي لدرجة أنني شككت أنه يريد مهاجمة الإسلام وأنه لا يسأل للاستفادة، حيث أنه سألني أسئلة كثيرة استمرت إلى ثلاث ساعات.

وقد طلب مني أن يتعلم ويحفظ سورة الفاتحة، وحفظها، وطلب أن يتعلم سورة الاخلاص وأن يتعلم الصلاة، في الزيارة خلال الثلاث ساعات، وقد ألهمني الله الصبر مع تعبي الشديد، وشعرت لاحقًا من طبيعة أسئلته أنه ملحد ولا يعتنق أي ديانة، لأن النصراني عادة لا يهاجم الخالق.

فقال من ضمن ما سأل: لماذا لا يقبل الله الادعاء بأن المسيح ابنه، هل يغار الله من المسيح؟

قلت له: عندما تُرسل لي طردًا مع ساعي البريد، وأُذيع أنا بين الناس أن ساعي البريد هو ابنك، هل تقبل أنت بهذا؟

قال: لا.

قلت له: هل لأنك تغار منه؟

قال: لا، لأنه ببساطة ليس ابني.

---

[١٨١] (العهد الجديد، إنجيل مارك ١٢:٢٩).

[١٨٢] (العهد الجديد، كورنثوس ١٢ :٣-٦).

[١٨٣] (العهد الجديد، إنجيل يوحنا ٢٠:١٧).

[١٨٤] (العهد الجديد، غلاطية ٤:٤-٥).

[١٨٥] (العهد الجديد، إنجيل يوحنا ٥:٣٠).

[١٨٦] (العهد الجديد، إنجيل يوحنا ٥:١٥).

[١٨٧] (العهد الجديد، إنجيل يوحنا ١٤:٢٨).

[١٨٨](العهد الجديد، العبرانيين ١:٣).

قلت له: إذًا، فأنت تقبل على خالقك ما لا تقبله لنفسك.

قال: ولماذا يُعذِّب الله بالنار؟

قلت له: وماذا تنتظر من الله ليفعل بمن يُعذِّب الأطفال بالأسلحة الكيماوية مثلاً، أن يدخله الجنة؟

قلت له: ومن تبرأ من أمه وأبيه وأهانهم وطردهم من المنزل وجعلهم في الشارع مثلاً، ماذا تشعر تجاه هذا الشخص؟

قال: اشعر بغيظ شديد.

قلت له: إن قلت لك أنني سوف أُدخله منزلي وسوف أُكرمه وسوف أُطعمه وسوف أشكره على هذا العمل هل تُقدر أنت عملي، هل تتقبل ذلك مني؟

قال: لا.

قلت له: ولله المثل الأعلى، ماذا تنتظر أن يكون مصير من رفض خالقه وكفر به؟ من عوقب بالنار فكأنما وُضع في مكانه الصحيح، هذا الشخص احتقر السلام والخير على الأرض، فلم يستحق نعيم الجنة.

"...وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ"[١٨٩].

أي أن ذنبهم ليس ذنبًا محدودًا في الزمان بل هو خصلة ثابتة.

"يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ"[١٩٠].

فهم يواجهون الله أيضًا بالحلف الكذب، وهم بين يديه يوم القيامة.

"وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" [١٩١].

كما أن الشر يمكن أن يأتي من أناس في قلوبهم حسد وغيرة ويتسببوا في بث المشاكل والنزاعات بين البشر. فكان من العدالة أن يكون جزائهم النار وهو ما يتناسب مع طبيعتهم.

وصفة الله العادل تقتضي أن يكون منتقمًا إلى جانب رحمته، فالله في النصرانية "محبة " فقط وفي اليهودية " غضب" فقط، وفي الإسلام هو إله عادل ورحيم وله الأسماء الحسنى جميعًا، وهي صفات الجمال والجلال.

قلت له مستطردة: ثم إنه في الواقع العملي في الحياة، نستخدم النار لعزل الشوائب عن المادة النقية، كالذهب والفضة، ولذلك فإن الله تعالى – ولله المثل الأعلى – يستخدم النار لتنقية عباده في الحياة الآخرة من الذنوب والآثام، ويخرج من النار في النهاية من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان برحمته.

قال: أريد دليلا ملموسًا على وجود الله.

قلت له: أنت تطلب أضعف البراهين. فنحن نُبصر قوس قزح والسراب وليس لهما وجود ملموس! ونصدق وجود الجاذبية دون أن نراها لمجرد أن أثبتها العِلم المادي.

"لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"[١٩٢] .

---

[١٨٩] (الأنعام: ٢٠).

[١٩٠] (المجادلة :١٨).

[١٩١] (الأعراف: ٣٦).

[١٩٢] (الأنعام: ١٠٣).

إن الإدراك ينقسم إلى أربعة أنواع:

الإدراك الحسي: كأن ترى شيئًا بحاسة البصر مثلاً.

الإدراك الخيالي: كأن تقارن صورة حسية بذاكرتك وبخبراتك السابقة.

الإدراك الوهمي: وهو الشعور بمشاعر الآخرين، كأن تشعر أن ابنك حزين مثلاً.

وبهذه الطرق الثلاثة يشترك الإنسان والحيوان.

الإدراك العقلي: وهو الإدراك الذي يتميز به الإنسان فقط.

وأنتم كملحدون تريدون إلغاء هذا النوع من الإدراك لتساووا الإنسان بالحيوان، والإدراك العقلي هو أقوى نوع من أنواع الإدراك لأن العقل هو الذي يصحح الحس، عندما يرى الإنسان ببصره السراب مثلاً كما ذكرنا في المثال السابق، فيأتي دور العقل ليُخبر صاحبه أن هذا مجرد سراب وليس ماء، وظهوره كان بسبب انعكاس الضوء على الرمال فقط ولا أصل لوجوده، فيكون هنا قد خدعك الحس وأرشدك العقل، وأنتم دائمًا ما ترفضون الدليل العقلي وتطالبون بالدليل المادي وتجملون هذا المصطلح بمصطلح "دليل علمي"، أخبرني أرجوك: هل الدليل العقلي والمنطقي ليس علميًا أيضًا؟ هو في الواقع دليلاً علميًا ولكن ليس ماديًا، وتستطيع أن تتخيل مجرد طرح فكرة وجود ميكروبات صغيرة لا ترى في العين المجردة لشخص عاش على كوكب الأرض منذ خمسمئة عام، ما كانت سوف تكون ردة فعله[١٩٣].

ومع أن العقل يستطيع أن يدرك وجود الخالق ويدرك بعض صفاته، لكن له حدود، وممكن أن يدرك الحكمة من بعض الأمور ولا يدرك أخرى، فلا أحد مثلاً يستطيع أن يدرك الحكمة في عقل عالم فيزيائي قدير كآينشتاين مثلاً.

"ولله المثل الأعلى فإن مجرد الظن بالقدرة على الإحاطة بالإدراك الكامل لله هو عين الجهل به، فقد تقودك السيارة إلى شاطئ البحر، ولكن لا تُمكنك من الخوض فيه. فلو سألتك مثلا عن مياه البحر تساوي كم لتر، وأجبت بأي رقم فأنت جاهل، ولو أجبت بلا أعلم فأنت عالِم، إن الطريق الوحيد لمعرفة الله هي آياته في الكون وآياته القرآنية"[١٩٤].

وأجمل ما في العلم أنه ليس له حدود، وكلما تبحرنا في علوم سنجد علوم أخرى، ولن نستطيع أن نلم بكل العلم، إن أذكى إنسان هو من يحاول أن يفهم كل شيء، وأغبى إنسان هو من يظن نفسه سيفهم كل شيء.

"قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا"[١٩٥].

قال: ولماذا لا يكون هناك آلهة أخرى ترزق وتشفي؟

فلت له: وهل ادعى أحد غير الله أنه الرازق الشافي، لندرس صدق دعواه من عدمها؟

كذلك يُلاحظ أنَّ الإنسان في الشدة يتوجه إلى حقيقة واحدة ويرجو إلهًا واحدًا لا أكثر. وقد أثبت العلم وحدة المادة، ووحدانية النظام في الكون من خلال التعرف على مظاهر الكون وظواهره، ومن خلال التشابه والتماثل في الوجود.

ثم تخيل على مستوى الأسرة الواحدة عندما يختلف الأب والأم على اتخاذ قرار مصيري يخص الأسرة، ويكون ضحية اختلافهم ضياع الأطفال وتدمير مستقبلهم، فما بالك في إلهين أو أكثر يحكمان الكون.

---

[١٩٣] https://www.youtube.com/watch?v=P3InWgcv18A _ فاضل سليمان.

[١٩٤] من أقوال الشيخ محمد راتب النابلسي.

[١٩٥] (الكهف: ١٠٩).

"لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ"[١٩٦].

قال: هل يستطيع الخالق أن يُحيي ميتاً أمامي؟

قلت له: العجيب أنكم أنتم الملحدون تكررون نفس الأسـئلة وكأنكم متفقون عليها، مع أنني على قناعة أنكم على يقين من عدم واقعيتها ومنطقيتها.

قلت له مستطردة: وإن أحيى الله أمامك الموتى فلن يُقنعك ذلك، كما حدث في قصة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء الذين قدموا لأقوامهم المعجزات، لكن أقوامهم اتهموهم بالسحرة.

"كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ"[١٩٧].

"وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ"[١٩٨].

استطرد الأمريكي قائلاً: كيف يُعاقب الخالق عباده بعذاب لا ينتهي، على معاص قليلة، كان قد ارتكبها في حياته القصيرة.

قلت له: إنَّ كثيرًا من الجرائم تصل بأصحابها إلى حُكم المؤبد. فهل هناك من يقول أن حُكم المؤبد ظلم، لأن المجرم ارتكب جريمته بدقائق معدودة؟ هل حُكم العشر سنوات حُكم ظالم، لأن المجرم لم يختلس من الأموال إلا سنة واحدة فقط. إن العقوبات لا تتعلق بمدة ارتكاب الجرائم بل بحجم الجرائم وفظاعتها.

واستطرد الأمريكي حواره معي قائلاً: ولماذا كرر الإله التحذير من النار، ألا يدل ذلك على عدم رحمته وعدم محبته لنا؟

قلت له: أنا أُرهق أولادي بكثرة تنبيهي لهم كلما سافروا أو ذهبوا إلى العمل، أن يأخذوا حذرهم في ذهابهم وإيابهم، فهل تعتبرني أُمًا قاسية؟ هذا قلب للموازين، فإنكم تجعلون من الرحمة قسوة، فالله يُنبه عباده ويحذرهم لرحمته بهم، ويرشدهم إلى طريق الخلاص، ووعدهم بتبديل سيئاتهم حسنات عندما يتوبوا إليه.

"إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا" [١٩٩].

قلت له معقبة: ولماذا لم يلفت نظرك عِظَم الثواب والنعيم في جنات الخلود مقابل قليل من الطاعات؟

"وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [٢٠٠].

إنَّه كان بكم رحيما:

أكمل الأمريكي حواره قائلاً: ولماذا طلب الله من نبيه إبراهيم ذبح ابنه، أليست هذه قسوة؟

قلت له: وهل طلب الله منك ذلك؟ إذا ادعى شخص أنه أذكى رجل في العالم، فمن الطبيعي جدًا أن يخضع لأصعب الاختبارات، لإثبات ادعاءه. وإبراهيم عليه السلام نبي ورسول يوحى إليه، وقد صرَّح أن الله أحب إليه من كل شيء، فاختبره الله ليُثبت هذا الحب. علما أنه ورد على زمن نبي الله إبراهيم عادة تقديم الأبناء قربانًا للآلهة، وأراد الله ان يُبطل هذه العادة في تقديم الاضحية بدلاً عن الأبناء.

---

[١٩٦] (الأنبياء: ٢٢).

[١٩٧] (الذاريات: ٥٢-٥٣).

[١٩٨] (الأنعام: ١١١).

[١٩٩] (الفرقان:٧٠).

[٢٠٠] (التغابن:٩).

قال: ولماذا يكرر القرآن أن الله يحب المؤمنين الصالحين ولا يحب الكافرين، أليسوا جميعًا عباده؟

قلت له: الله تعالى أرشد جميع عباده لطريق الخلاص، ولا يرضى لهم الكفر، لكنه لا يحب السلوك الخاطئ نفسه الذي يسلكه الإنسان بالكفر والإفساد في الأرض.

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ[٢٠١].

قلت له أيضًا: ما قولك في أب يكرر أمام أبنائه أنني فخور بكم جميعًا، إن سرقتم وزنيتم وقتلتم، وأفسدتم في الأرض فأنتم بالنسبة لي كالعابد الصالح؟ ببساطة أقرب وصف لهذا الأب هو أنه كالشيطان، يحث أبناؤه على الفساد في الأرض.

قال: ولماذا يُذكرنا الله دائما في القرآن بنعمه علينا، فما أعطانا إياه بالنسبة لما يمتلكه لا شيء، فأين العظمة في ذلك؟

قلت له: الله يُذكرنا بنعمه علينا، ليحمينا من أنفسنا من التوجه لغيره بالشكر والعرفان، فإننا إن لم نعبده فسوف نتوجه بالعبادة لغيره. فكلما حصلت أنا على المال مثلاً، أو شعرت بنشوة النجاح، وافتخرت بإنجازاتي فكأنني أشكر نفسي دون أن أشعر، وأُرجع نجاحي إلى قدراتي التي هي أصلاً من الله، فأفتح حينها صفحة من القرآن لأقرأ الآية الكريمة وما توفيقي إلا بالله، فأعود وأقول الحمد لله.

قلت له أيضًا: إن أهداك أحد هدية، هل تفرح بالهدية لذاتها أم بدلالتها على محبة من أهداها إليك؟

قلت له مستطردة: فعظمة العطاء بقيمة مصدره، فلو أعطيتك ١٠٠ دينار، وأعطاك المِلك دينار، لكنت فرحت أكثر بدينار الملك، ولأشعلت وسائل التواصل الاجتماعي بهذا الخبر.

طبعًا الياباني كان يستمع ولم يتدخل أبدًا خلال الثلاث ساعات.

عاد الأمريكي وسأل: أليست قسوة، أن يحاسبنا الله على أعمال هو كتبها علينا أصلاً؟

قلت له: إنك عندما تريد مثلاً أن تشتري شيئًا من المتجر، وتُقرر أن ترسل الابن الأول لشراء هذا الشيء، لأنك على عِلم مسبق أن هذا الولد حكيم، وسوف يذهب مباشرة لشراء ما تريده تمامًا، وتعلم أن الولد الآخر سوف ينشغل باللعب مع أقرانه، ويُضيع المال، وهذا في الواقع افتراض قد بنيت حُكمك عليه.

قلت له: الاطلاع على الأقدار لا يتناقض مع إرادة اختيارنا، لأن الله يعلم أفعالنا بناءً على علمه التام بنوايانا واختياراتنا. وله المثل الأعلى- يعلم طبيعة البشر، فهو الذي خلقنا ويعلم ما في قلوبنا من الرغبة بالخير أو الشر ويعلم نوايانا ومطلع على أفعالنا، وتسجيل هذا العِلم عنده لا يناقض إرادة اختيارنا. علما بأن الله علمه مطلق، وتوقعات البشر تصيب وتخطأ.

قلت له أيضًا: من الممكن أن يتصرف الإنسان بطريقه لا ترضي الله، لكن تصرفه لن يأتِ ضد إرادته تعالى، فقد أعطي الله خلقه إرادة الاختيار، لكن تصرفاتهم تلك وإن كانت فيها معصية له، فهي لا تزال ضمن إرادة الله ولا يمكن أن تعاكسها لأنه تعالى لم يُعطِ أحدًا مجالاً لتجاوز مشيئته.

قال: فلماذا يسمح بالمعصية؟

قلت له: أحيانًا عندما يصر ابني مثلاً الصغير على مساس النار وأقول له لا تفعل هذا الشيء، لكن في لحظة ما، عندما أجده عنيدًا أسمح له أن يمسها لكي يتعلم من تجربته، لأنني علمت بعلمي بشخصية ابني أن هذا الولد لن يتعلم إلا اذا جرب، ولله المثل الأعلى،

---

[٢٠١] (الزمر:٧).

فالله يعلم طبيعة هذا الشخص ويعلم أنه لن يتعلم إلا اذا جرب، ولهذا نجد أن هناك كثيرًا من الناس يتعرضون لاختبارات بسيطة من الله، وهناك بشر يتعرضون لاختبارات صعبه، هذا كله بعلمه سبحانه فربما يكون ذلك لأنه يعلم أن هذا الشخص لن يتعلم ولن يرجع إلى الله إلا باختبار صعب.

قال: ولماذا يجبرنا على الإيمان؟

قلت له: وهل أجبرك الله على الإيمان به؟ أنت تقف أمامي وتدَّعي أنك غير مؤمن به.

إنك لا تستطيع أن تُجبر قلبك وتُكرهه على قبول شيء لا يريده، فإنه من الممكن أن تُجبر شخص على البقاء معك تحت التهديد والترهيب، لكن لا تستطيع إجبار هذا الشخص على أن يحبك، لقد حفظ الله قلوبنا من أي شكل من أشكال الاكراه، لهذا السبب هو يحاسبنا ويكافئنا بناء على نوايانا وما تحمله قلوبنا.

وفي نهاية الزيارة كانت المفاجأة، جاء الأمريكي وقال لي أنه يريد أن يلتقط صور داخل المسجد، وأثناء غياب الأمريكي جاءني الياباني، وقال لي: أنا أُعجبت جدًا بهذا الدين، ما هذا الدين العظيم؟ أنا أريد أن أعتنق هذا الدين، وقد كانت مفاجئة مذهلة لي، حيث أنني لم أجد منه أي ردة فعل خلال الزيارة وكان يستمع فقط. وشهد الياباني أمام الامريكي بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وما كان على الأمريكي إلا أن يبارك له، وطلب مني الياباني تفاصيل أكثر عن ممارسة هذا الدين وقد أعطيته رقم تليفون المركز الاسلامي في طوكيو، وقد وعدني بأن يستمر على هذا الطريق.

يأتي الله بقوم يُحبهم ويُحبونه:

"الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ "[٢٠٢].

وتتجلى محبة الله ورحمته لعباده في خلقهم وتكريمهم وإرشادهم وبيان الطريق الحق لهم.

" وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ "[٢٠٣].

ومن الإشارات اللطيفة في القرآن الكريم أن الله قدم ذكر حبه لعباده على ذكر حب العباد له، وذلك من لطفه العظيم، ورحمته الواسعة بهم.

" ...فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... "[٢٠٤].

ومن الإشارات اللطيفة في القرآن الكريم أيضًا، أن رحمة الله ولطفه تتجلى حتى فيما يصيب الإنسان من مصائب وضر.

"أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ"[٢٠٥].

فإذا شاء "الرحمن" أن يصيب الإنسان بالضر، فإن هذا موجب لرحمته ولطفه، ويصير الأمر الذي ظاهره الضر في حقيقته رحمة، وخيرًا للمؤمن؛ لأن الرحمن لا يصدر عنه إلا الرحمة واللطف والبر.

"وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"[٢٠٦].

---

[٢٠٢] (غافر: ٧).

[٢٠٣] (الأعراف: ١٠ -١١).

[٢٠٤] (المائدة: ٥).

[٢٠٥] (يس: ٢٣).

[٢٠٦] (البقرة: ٢١٦).

ومن رحمة الله بخلقه أن وزع الأرزاق بينهم، وجعل بينهم حاجات يقضيها أحدهم للآخر، ليتحقق التعاون فيما بينهم، بما يعود بالنفع على الجميع، ولو استغنى بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، وأبقى باب العطاء والفضل الرباني مفتوحًا للتنافس فيه ولدوام التعلق به.

"أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ "[٢٠٧].

وتتجلى رحمة الله في شريعته وأحكامه والتي هي خير ورحمة للخلق سواء ما يتعلق بهدايتهم وحفظ دينهم، أو ما يتعلق بحفظ أنفسهم وأبدانهم، عقولهم وأفكارهم، حفظ أعراضهم وأنسابهم وأولادهم، وحفظ أموالهم وممتلكاتهم.

فكل ما يتعلق بهذه الضروريات الخمس من أحكام إنما جاءت رحمة بالناس بالمحافظة عليها وحمايتها من الفساد والعدوان، ورفع الحرج والعنت عن الناس، وحفظ لكل ذي حق حقه، حتى يتسنى لهم العيش في بيئة صالحة وآمنة وسعيدة، حيث أن الحق في البيئة السليمة هو من ركائز حق الحياة.

"وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ" [٢٠٨].

يقول ابن القيم – ويُذكر من باب الاعتبار والموعظة –: "أوحى الله إلى داود عليه السلام فقال: يا داودْ لو يَعلمُ المدبِرون عَني انتظاري لهُم، ورِفقي بِهم، وشَوقي إلى تَركِ مَعاصيهم لماتوا شَوقًا إليَّ، وتقطَّعت أوصالهُم محبَّتي، يا داودْ هذه إرادَتي بالمدبِرين عَنيّ فكَيف بالمقبِلين عليَّ"[٢٠٩].

[٢٠٧] (الزخرف: ٣٢).
[٢٠٨] (البقرة: ٢٠٥).
[٢٠٩] روضة المحبين (ص ٤٣٨).

وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين

وإنّك لعلى خُلق عظيم:

كنت دائمًا ما أتأمل ثناء الله سبحانه وتعالى على أخلاق رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وكنت أتوق لأن أصل بإدراكي لروعة هذه الأخلاق، أريد أن أفهم نقطة التميز في شخصية هذا النبي العظيم. حتى لحظة وفاة أمي، وشعرت حينها بحزن شديد كاد أن يُدمر حياتي لولا رحمة الله بي، ومع أنني كنت متزوجة في ذلك الوقت ولا أحتاج لرعايتها، لكن شوقي لها أفقدني الرغبة في التحدث مع الناس، وشعرت أن العالم يضيق من حولي، وأحسست بصعوبة فقدان حنان الأم، وتذكرت الرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف عاش يتيمًا، وتنقل من بيت إلى بيت، وعاش يفتقد حنان الأم والأب. حينها قلت لنفسي: هذه الظروف التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم، تُخرج إنسانًا معقد الشخصية لا محالة، فأدركت حينها أنه مختلف، وأنه عندما يخرج إنسان من هذه الظروف بهذه الشخصية العظيمة، فهو فعلاً بأخلاق فريدة من نوعها. وتذكرت الآية الكريمة: **" وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"**[٢١٠]، وحينها سكنت نفسي.

لانُفرِّق بين أحدٍ من رُسله:

المستشرق البريطاني وعالم الآثار "ستانلي لي بول" قال: "كان محمد رؤوفًا شفيقًا، يعود المريض، ويزور الفقير، ويُجيب دعوات العبيد الأرقاء، وقد كان يصلح ثيابه بيده، فهو إذًا –لا شكَّ–نبي مقدس، نشأ يتيمًا مُعوزًا، حتى صار فاتحًا عظيمًا "[٢١١].

أذكر أثناء حواري مع مجموعة من جنسيات وثقافات وديانات مختلفة، وقد كنت أتكلم عن التوحيد، وصفات الجمال والجلال الإلهي، وأهمية عبادة الخالق بدون وسيط، كان قد قاطعني شخص من المجموعة بسؤال، حيث قال: من أعظم المسيح أم محمد؟

قلت له: أنت تسأل لتقارن بين إله وإله آخر؟ أم لتقارن بين رسول ورسول آخر؟ إن كنت تقارن بين إلهين، فلا إله إلا الله، فالمسيح رسول ومحمد رسول. وإن كنت تقارن بين رسول ورسول، فنحن لا نفرق بين أحد من رسل الله.

"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"[٢١٢].

قال: إن كنتم تحبون المسيح، فلماذا لا تحتفلون بميلاده؟

قلت له: أتقصد الاحتفال بميلاد المسيح ابن الله، أم ميلاد المسيح رسول الله؟ إن كان ميلاد ابن الله، فهذا مردود، لأن الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. أما إن كان رسول الله؛ فنحن لا نعارض تذكره والثناء عليه في يوم ميلاده بل وفي جميع الأوقات أيضًا، مع أنه ثبت أنه لم يولد في الشتاء أصلاً، ولكن الاختلاف على تحديد يوم ميلاده لا يؤثر على العقيدة في شيء.

قال: ولماذا لا تُزوجون بناتكم لليهود والنصارى؟

قلت له: الزوج المسلم يحترم أصل دين زوجته النصرانية أو اليهودية وكتابها ورسولها، بل لا يتحقق إيمانه إلا بذلك، ويعطيها الحرية لممارسة شعائرها، والعكس ليس صحيح، فمتى آمن النصراني أو اليهودي برسولنا زوجناه بناتنا.

---

[٢١٠] (القلم:٤).

[٢١١] كتاب - الأحاديث مع الجدول-كلام النبي محمد 1893. ستينلي لين بول.

[٢١٢] (البقرة: ٢٨٥).

الإسلام إضافة واكتمال للعقيدة، فأنا إن أردت اعتناق النصرانية مثلاً، فعليَّ أن أخسر إيماني بمحمد والقرآن، وأخسر علاقتي المباشرة مع رب العالمين، بالإيمان بالثالوث، وباللجوء إلى القساوسة والقسيسين وغيرهم، وإن أردت اعتناق اليهودية، فعليَّ أن أخسر إيماني بالمسيح والإنجيل الصحيح.

وأذكر في لقائي لمجموعة كبيرة من دولة مالطا، وبعد عرض قصير لي عن الإسلام، قالوا جميعهم وبصوت عالي وواحد: إذًا محمدًا ليس إلهكم؟

قلت لهم: لا، محمد رسول الله، ولكن للأسف يُروَّج لهذه الفكرة المغلوطة من غير المسلمين، لتبرير عبادة المسيح وبوذا وغيرهم.

"قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا "[٢١٣].

الذي يجدونه مكتوبًا عندهمْ في التَّوْراة والإنجيل:

قال المستشرق الأمريكي سنكس في كتابه "ديانة العرب" ": ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة".

من المواقف الرائعة التي تعرضت لها في حياتي، وكان يومًا صعبًا لكثرة الزوار، وأعدادهم الهائلة التي تصل إلى الآلاف، ظهر رجل لاتيني في ذلك اليوم من بين مجموعات كثيرة ومتراصة من الزوار، وقد سألني بالإسبانية: من هو البارقليط؟

قال معقبًا: أنا أسافر مع زوجتي وابنتي وأجول العالم باحثًا عن الحقيقة، وأريد أن أعرف من هي هذه الشخصية الذي تكلم عنها المسيح في الإنجيل[٢١٤].

"الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[٢١٥].

قلت له: البارقليط هو محمد عليه الصلاة والسلام.

قال: كيف هذا؟

قلت له: لا يؤمن المسلمون بأن العهد القديم والعهد الجديد الموجودان حاليا بين أيديكم، هما كلام الله، لكنهم يؤمنون بأن كلاهما له مصدر صحيح، والذي هو التوراة والإنجيل (وهو ما أوحاه الله إلى أنبيائه: موسى والمسيح عيسى). لذلك فإنه قد يوجد في العهد القديم والعهد الجديد ما هو من عند الله. ويعتقد المسلمون أن هذه النبوءة إن صحت، فهي تتكلم عن النبي محمد، لأنها تتكلم عن نبي يأتي بعد أن يذهب المسيح، ويبقى بتعاليمه إلى الأبد.

قال: لكن هذه الشخصية لا ينبغي أن تكون بشرًا بل روحًا، فهي تشير في النصرانية إلى الذات الثالثة في الثالوث، والتي تُعتبر إلهًا.

قلت له: ارجع إلى كتابك وانظر كيف أُشير إلى الأنبياء بكلمة روح مراتٍ كثيرة. فمن الممكن أن تُطلق كلمة "روح" على إنسان في العهد الجديد. ووفقًا لما ذُكر في التاريخ، فقد فهم كثير من النصارى القدامى أن "البارقليط" رجل وليس روح، وقد ادعى رجال كثيرون قبل النبي محمد أنهم " البارقليط " المنتظر. وكان النجاشي ملك الحبشة نصرانيًا ينتظر قدوم " البارقليط ".

قلت له مستطردة: وتقول النبوءة أنه يتكلم بما يسمع، والحقيقة هذا وصف لنبي وليس لرب. فالنبي يتكلم بما يسمعه من الله. وهذا دليل على أن هذه النبوءة لا تشير إلى الذات الثالثة في الثالوث (كما يعتقد النصارى) بل تشير إلى نبي يرسله الله.

---

[٢١٣] (الكهف: ١١٠).

[٢١٤] (العهد الجديد، إنجيل يوحنا ١٥-٢٦ – ١٦-١٤).

[٢١٥] (آل عمران: ١٥٧).

قال: لكن النبوءة تقول: البارقليط يُخبركم بأمور آتية.

قلت له: نعم وهذا ما فعل النبي محمد عليه الصلاة والسلام. ومثال ذلك انتصار الرومان بعد هزيمتهم على أيدي الفرس.

قلت له مستطردة: ثم أنه من المستحيل أن تشير هذه النبوءة إلى الروح القدس، لأنها تقول: إن البارقليط سوف يظهر بعد ذهاب المسيح، والروح القدس موجود أصلاً، وقد ظهر للسيدة مريم قبل حملها بالمسيح حسب اعتقادكم.

وقد أثارت كلمة "Paraclete" جدًالاً كبيرًا، يدور حول أن كلمة "Paraklytos" في الإنجيل اليوناني كانت أصلا "Periklytos"، وتغيرت خلال ترجمتها من السريانية إلى اليونانية. كما أن كلمة "Paraclete" تحمل معنيين في اليونانية:

– مُعزِّي ومُؤيِّد ومُساعِد: Paraklytos (**παρακλητος**) كما يعتقد النصارى. وهذا يعتمد على نطق الكلمة الذي يحتوي على صوت حرف العلة "a".

– محمد أو أحمد (الإنسان الممدوح): Periklytos (**Περικλητος**) كما يعتقد المسلمون. أما نطق الكلمة هنا يكون بدون صوت حرف العلة "a".

وبالإضافة إلى أن المعنى الثاني تؤيده الأدلة، فقد ثبت أن اللغة السريانية لم تحوِ حروف العلة حتى القرن الخامس، فقد احتوت على حروف الصحاح فقط، أما حروف العلة فقد أُدخلت بعد القرن الخامس، ومع ذلك فإنه في كل الأحوال فإن كلا المعنيين ينطبق على النبي محمد[٢١٦].

قال: النبوءة تقول: إنه سوف يُدين العالم، فكيف أدان محمد العالم؟

قلت له: قد أدان محمدًا اليهود على عدم إيمانهم بالمسيح عيسى كنبيٌّ مرسلٌ من الله، كما أدان النصارى على اعتقادهم بالثالوث وبادعائهم بألوهية المسيح: وهذا يُعد ذنبًا، حيث لم يدَّعِ المسيح أنه الله أو ابن الله قط. وعندما أشار عيسى إلى نفسه في الإنجيل بأنه ابن الله، أوضح أنه ليس الابن المولود، ولكن نحن كلنا أبناء الله مجازًا، بمعنى عباد الله.

قال: ويُرشد البارقليط الناس للحق، ويُمجِّد المسيح.

قلت له: قد ذكَّر النبي محمد العالم بالعقيدة الخالصة وهي (الإيمان بإله واحد وتوحيده في العبادة).

قلت له أيضًا: لم يُمجِّد المسيح أحدًا على الأرض، كما مجَّده محمد عليه الصلاة والسلام. حيث قال:

- "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ قالوا: كَيْفَ؟ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِن عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فليسَ بيْنَنَا نَبِيٌّ (بين المسيح عيسى وبيني)"[٢١٧].
- وذُكر اسم المسيح عيسى في القرآن أكثر من اسم النبي محمد (٢٥مرة مقابل٤مرات).
- فُضِّلت مريم أم عيسى على نساء العالم وفقا لما جاء في القرآن.
- كما أن السيدة مريم هي الوحيدة التي ذكرت باسمها في القرآن.
- وهناك سورة كاملة في القرآن باسم السيدة مريم[٢١٨].

---

[٢١٦] www.fatensabri.com كتاب عين على الحقيقة. فاتن صبري.

[٢١٧](صحيح مسلم).

[٢١٨] www.fatensabri.com كتاب عين على الحقيقة. فاتن صبري.

أبدى لي الزائر وزوجته وابنته سعادة لا تُوصف، وقالوا: لو لم نخرج برحلتنا الطويلة هذه إلا بهذه المعلومات لكفتنا. لقد وجدنا الحقيقة، ونشكر الله أن هدانا إليها بعد طول عناء، لقد كان لدينا إيمان عميق بأن لا إله إلا الله والمسيح رسول الله، والآن نخرج من هنا بشهادة أن محمدًا رسول الله.

" وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ "[٢١٩].

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم:

في حوار لي مع مجموعة من اليهود الكنديين، وبعد أن تكلمت عن التوحيد، قال لي أحدهم: ما مشكلتكم أنتم المسلمون معنا؟

قلت له: المسلم ليس لديه مشكلة مع أحد، لقد آمن بعيسى وموسى وغيرهم من الأنبياء، وعبد الله وحده.

قال: وأنا لا أرى مشكلة من أن يكون محمدًا رسولاً.

قلت له: أو تجعل الإيمان به، ركن من أركان إيمانك؟

قال: لا.

قلت له: الإيمان بموسى ركن من أركان إيمان المسلم.

قال: لم يُذكر محمدًا في كتبنا.

قلت له: ومن هو المقصود في هذه الفقرة في العهد القديم؟

" ويُدفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة، ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف القراءة"[٢٢٠].

هل تنطبق هذه النبوءة على أحد غير محمد النبي الأمي؟ فإنه حتى مولد المسيح عيسى عليه السلام كان بني إسرائيل (يعقوب) ينتظرون قدوم نبي والمسيح[٢٢١].

قال: لا أعرف، نحن لا زلنا ننتظر المسيح والنبي المنتظر. واستطرد قائلاً: لقد نسخ محمد من التوراة.

قلت له: وهل ادعى اليهود في زمن نزول الوحي ذلك؟

قال: لا.

قلت له: لو كان القرآن من عند اليهود، لكانوا أسرع الناس في نسبته لأنفسهم.

وقلت له أيضًا: ألم تختلف التشريعات والمعاملات، من صلاة وحج وزكاة؟ ثم انظر إلى شهادة غير المسلمين بتميز القرآن عن غيره من الكتب وعدم بشريته واحتوائه على الإعجاز العلمي. وإنه عندما يعترف صاحب عقيدة بصحة العقيدة التي تخالفه، فهو أكبر دليل على صحتها. هي رسالة واحدة وينبغي أن تكون واحدة، ما جاء به النبي محمد ليس دليلاً على تدليسه، بل على صدقه. ولقد تحدى الله العرب المتميزين بالبلاغة آنذاك، وغير العرب بأن يأتوا حتى ولو بآية واحدة بمثله وفشلوا، وما زال التحدي قائمًا.

قال: ليس هناك إعجاز علمي في القرآن، ولكن محمدًا قد نسخ هذه المعلومات من الحضارات السابقة.

قلت له: وهل كل ما وُجد عند الحضارات القديمة من علوم كان صحيحًا؟

قال: لا. كان منها الصحيح، ومنها الكثير من الأساطير والخرافات.

---

[٢١٩] (الصف: ٦).

[٢٢٠] (العهد القديم، سفر أشعياء ٢٩: ١٢).

[٢٢١](العهد الجديد، إنجيل يوحنا ١: ١٩-٢١).

قلت له: وكيف استطاع نبيٌّ أُميّ، نشأ في صحراء مقفرة، أن ينسخ من هذه الحضارات الصحيح فقط، ويترك الأساطير؟ قال: وما رأيكم بزوجة آدم الأولى التي تزوجها قبل حواء؟

بصراحة لم أتمالك نفسي من الضحك على هذه المعلومة الغريبة، والتي لم أسمعها قط في حياتي.

قلت له: هذه الشخصية لم يتكلم عنها الإسلام أبدًا، ولكن ماذا يُضيف الإيمان بوجود هذه الشخصية إلى عقيدتكم؟

قال: لا شيء.

قلت له إذًا فكر مليًا بما يضيف إلى عقيدتك، وهو الإيمان بالإله الحق الذي لا يتعب ولا ينسى، والإيمان بكل أنبيائه بما فيهم عيسى ومحمد.

قال: ولماذا أهمل محمد قِبلة الأنبياء؟

قلت له: ولماذا أهمل اليهود السامراء قِبلة بيت المقدس، ويُصلّون إلى طور لهم في فلسطين؟

قلت له أيضًا: إن استقبال اليهود لقبلتهم لم يكن من جهة الوحي والتوقيف من الله، فليس في التوراة أمر باستقبال الصخرة أبدًا، بل هو بناءً على اختيار منهم، أما النصارى فلم يأمرهم الله في الإنجيل ولا في غيره باستقبال المشرق أبدًا[٢٢٢].

قلت له أيضًا: قد أخبرنا القرآن أن البيت الحرام في مكة، كان في الواقع هو أول بيت للعبادة مخصصًا للبشرية، ورفع بنيانه النبي إبراهيم وابنه إسماعيل فيما بعد. ومن المعروف جيدًا أن المعبد في القدس بُني بعد النبي إبراهيم بزمن طويل، بينما كان البيت الحرام في مكة قبل إبراهيم.

" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ"[٢٢٣].

وقد كانت الكعبة دائمًا مذكورة على مر التاريخ، يزورها الناس سنويًا حتى من أبعد بقاع الجزيرة العربية، وتحترم قدسيتها كل الجزيرة العربية.

وقد ورد ذكرها في نبوءات العهد القديم، "عابرين في وادي بكة يصيرونه ينبوعا" [٢٢٤].

وقد كان العرب يُعظمون البيت الحرام في جاهليتهم، وعند بعثة النبي محمد جعل الله قبلته في بادئ الأمر بيت المقدس، ثم أمره الله بالتحول عنها إلى البيت الحرام حتى يستخلص من أتباع النبي محمد المخلصين لله من الذين ينقلبون عليه. فقد كان الهدف من تحول القبلة هو استخلاص القلوب لله، وتجريدها من التعلق بغيره، حتى استسلم المسلمون واتجهوا إلى القبلة التي وجههم لها الرسول، وقد كان اليهود يعتبرون توجه الرسول بالصلاة لبيت المقدس حُجةً لهم.

وقد كان تحويل القِبلة أيضًا بمثابة نقطة تحول وإشارة إلى انتقال القيادة الدينية الى العرب بعد أن نُزعت من بني إسرائيل، وذلك بسبب نقضهم للعهود مع رب العالمين.

قال: عليَّ أن أذهب الآن، ونحن بعقيدتنا لا نصافح النساء لأنهن بمستوى أدنى من مستوى الرجال، لكن سوف أصافحكِ أنتِ فقط، تقديرك لعِلمك.

قلت له: أما نحن فبعقيدتنا لا نصافح الرجال، لأننا مُكرمات كالملكات، وبالتالي فلن أصافحك.

---

[٢٢٢] http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=5664#_ftn6 دكتور عيسى القدومي.

[٢٢٣] (آل عمران: ٩٦).

[٢٢٤](العهد القديم، المزامير: ٨٤).

تقول الكاتبة الإيطالية الدكتورة "لورا فيتشا فاليري":

"في بلد قفر بوادٍ غير ذي زرع، منعزل عن الإنسانية المتمدنة، تفجَّر ينبوع ماء سلسل عذب منعش بين قوم من الهمج، جبابرة غلاظ القلوب، لا يخضعون لسلطان، ولا يتقيدون بقيد، ذلك الينبوع هو دين الإسلام الذي تدفَّق بغزارة واتَّخذ سبيله في الأرض سريًا، فكان نُهَيرًا، استحال بعده إلى نهر عظيم سرعان ما تفرعت منه آلاف الجداول والأنهار، التي تغلغلت في البلاد طولاً وعرضًا، ولم يلبث الناس أن تذوقوا هذا الشراب العجيب، وشُفوا من أمراضهم الاجتماعية. إن رجال الغرب قد بدأوا يقتنعون بأن إخلاص محمد في دعوته كان أمرًا لا ريب فيه، ولقد كان محمد كرسول يدعو إلى الله، رجلاً رحيمًا لَيِّن الجانب حتى لأعدائه الشخصيين، وبذلك اجتمعت فيه فضيلتان كلتاهما أكبر الفضائل التي يتصورها العقل البشري: الرحمة، والعدالة، ولا نرَ بنا من حاجة إلى إيراد الأمثلة على ذلك، فمن السهل الوقوف على كثير منها في الكتب الموضوعة عن تاريخ حياته"[٢٢٥].

قَال أوَلو جئتكَ بشيءٍ مُبين:

في حواري مع ملحد، كان قد استهزأ بمعجزة الإسراء والمعراج، وكيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم الوصول إلى بيت المقدس والعروج إلى السماء والعودة في نفس الليلة؟

قلت له: أنا اليوم حصل معي ما هو أعجب، أثناء إلقاء محاضرة لي، كنت متواجدة في أكثر من عشرين دولة في الوقت نفسه.

ضحك، وقال: تقصدين وسائل التواصل الاجتماعي طبعًا.

قلت له: لقد أوصلت التكنولوجيا البشرية صوتي وصورتي إلى كل أنحاء العالم في نفس اللحظة، أفلا يستطيع خالق البشرية قبل ١٤٠٠ عام أن يعرج بنبيه بالروح والجسد إلى السماوات.

إن رحلة الإسراء والمعراج، جرت وفق طلاقة القدرة والمشيئة الإلهية، والتي هي أعلى من مداركنا، وتختلف عن جميع القوانين التي نعرفها، وهي آيات وبراهين على قدرة رب العالمين، كون أنه من سنَّ ووضع هذه القوانين.

يقول ابن القيم:

"كانت رِحلةُ الإسراءِ اختبارًا جَديدًا للمُسلمين في إيمانِهِمْ ويَقينِهِمْ، وفُرصةً لمشاهَدة النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – عَجائبَ القُدرَة الإلهية، والوُقوفِ على حَقيقة المعاني الغيبيّة، والتَشريف بمناجاة الله في مَوطنٍ لم يَصل إليه بشرٌ قط، إضافةً إلى كونها سببًا في تخفيف أحزانِه وهُمومِه، وتجديد عَزمه عَلى مُواصلة دَعوتِه والتَصدِّي لأَذى قَومِهِ".

لقد كان لكم في رسول اللَّه أُسوةٌ حسنة:

قال غاندي الزعيم الهندي الشهير في حديث لجريدة "ينج انديا "وتكلم فيه عن صفات النبي محمد حيث قال عنه:

"أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر. لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".

في حوار لي مع نصراني من الكاميرون وصديقته البريطانية، وأثناء ما كنت أقول لا إله إلا الله، قاطعني بقوله:

ولماذا تحرش محمدٌ بطفلة صغيرة؟

---

[٢٢٥] كتاب محاسن الإسلام. أحمد يوسف السيد.

قلت له: أفهم من مقاطعتك لي أنك موافق على أنه لا إله إلا الله، ومشكلتك الآن مع تفاصيل حياة الرسول.

قال: لا، لا لا أوافق، المسيح أيضًا إله.

قلت له: ولماذا لا تناقشني بنفس النقطة التي أتكلم فيها إذًا؟

قال: لا تجيبي على سؤالي بسؤال، لماذا تحرش رسولكم بطفلة؟

قلت له: ومن أخبرك بهذا؟

قال: كتاب البخاري الذي تؤمنون به.

قلت له: وهل اشتكت السيدة عائشة في البخاري ذلك قط؟

ألم تقرأ في البخاري ما يتكلم عن حب السيدة عائشة الشديد للرسول عليه الصلاة والسلام؟ وهل تحب البنت المتحرش بها؟

ألم تقرأ في البخاري أيضًا أنه زواجًا وليس تحرشًا؟

وكم كان عمر السيدة مريم عندما أنجبت المسيح؟ وكم كان عمرها في عقيدتكم عندما كانت مخطوبة لرجل تسعيني قبل حملها بالمسيح؟

أليس عمر مقارب لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالرسول؟

قلت له مستطردة: العجيب أنه في ذلك الوقت، أعداء الرسول اتهموه بأبشع التهم، وقالوا عنه شاعر ومجنون، ولم يُعيره أحد بهذه القصة، ولم يذكرها أحد قط، إلا أنتم الآن. فهذه القصة إما أن تكون من الأمور الطبيعية التي درج عليها الناس في ذلك الوقت، حيث يروي لنا التاريخ قصص لزواج الملوك في سن صغيرة، كقصة ملكة إنجلترا إيزابيلا في القرن الحادي عشر التي تزوجت في الثامنة من عمرها وغيرها[٢٢٦]، أو أن قصة زواج الرسول لم تحدث بالطريقة التي تتصورونها أنتم.

قال: ولماذا تزوج محمد بتسع نساء، وحرَّم ذلك على أصحابه؛ بتحديده الزواج لهم من أربع نساء فقط؟

قلت له: ولماذا – حسب زعمكم – اتهمتم أنبياء الله بالزنى كما ذُكر في كتابكم؟ وحاشاهم فعل ذلك.

قال: ليعلمونا أن الزنا حرام.

قلت له: عجيب! تُؤمنون أن أنبياء الله اقترفوا الكبائر من زنا وقتل وشرب خمر بحجة تعليم أتباعهم الصحيح من الخطأ وتستنكرون زواج الرسول زواجًا شرعيًا بأمر من الله ليُعلِّم المسلمين دروسًا وعِبر.

الرسول في حياته كبشر وقبل نبوته بقي في زواجه ٢٥ عاماً دون أن يتزوج بامرأة أخرى، وكانت زوجته تكبره بـــ ١٥ عاماً. وتزوج الرسول بعد بعثته بأكثر من واحدة بأمر من الله، وعندما نزلت آية تحديد الزواج بأربعة فقط، كان الرسول لديه أكثر من أربع نساء، وباعتبارهن أمهات المؤمنين، فإنهن لا يستطعن الزواج بغيره إن طلقهن.

ولماذا قاتل محمدٌ أعداءه؟ فلم يكن المسيح مقاتلاً، بل كان محبًا لأعدائه.

قلت له: ولماذا آمنت بموسى إذًا وقد كان مقاتلاً، وآمنت بداوود وقد كان مقاتلاً؟

تولى موسى ومحمد مقاليد الأمور السياسية والدنيوية، وهاجر كل منهما من المجتمع الوثني، فخرج موسى بقومه من مصر، وكانت هجرة محمد إلى يثرب وقبلها هاجر أتباعه إلى الحبشة، وذلك هروبًا من النفوذ السياسي والعسكري في البلاد التي فروا منها بدينهم. ووجْه

---

[٢٢٦] http://muslimvilla.smfforfree.com/index.php...

https://liguopedia.wordpress.com/.../19/agnes-de-france/...

الاختلاف لدعوة عيسى عليه السلام هو أنها كانت لغير وثنيين وهم اليهود (خلافًا لموسى ومحمد لأن بيئتيهما وثنيتان: مصر وبلاد العرب)، الأمر الذي كانت معه الظروف أشد وأصعب، فالتغيير المنوط بدعوتي موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، تغيير جذري وشامل ونقلة نوعية هائلة من الوثنية إلى التوحيد.

قلت له مستطردة: إن عدد ضحايا الحروب التي دارت في زمن الرسول لا تتجاوز الألف شخص فقط، والتي كانت دفاعًا عن النفس وردًا لعدوان، أو تأمينًا للدين، انظر لعدد الضحايا التي وقعت بسبب حروب شُنت باسم الدين، في الديانات الأخرى، وقد كان بالملايين.

قال: إنَّ غزوات رسولكم كانت سلبًا ونهبًا.

قلت له: ظل النبي يدعو بدعوته في مكة ١٣ عاماً واحتمل اضطهاد قريش، ولم يكن له غنائم أو أسلاب، وما كان يُؤخذ من غنائم لاحقًا، هو إما مال من أهل الحرب يأخذه المسلمون حتى لا يتقوى العدو بها على محاربتهم، وإما استردادًا لأموال المهاجرين التي أُخذت منهم عنوة، وهذا يختلف عن النهب الذي يترتب عليه إزهاق لأنفس بريئة كالنساء والأطفال. وقد وزع الرسول الكريم الغنائم على من أسلم لتأليف القلوب، وعلى غير المسلم لتحبيبه في الإسلام، ودعا إلى الصفح ورد الحقوق إلى أصحابها، وقد تفوق الإسلام على اتفاقية جنيف بشأن حقوق الأسرى في الحروب، فكان النبي محمد عليه الصلاة والسلام يأمر أتباعه بمعاملة الأسرى معاملة حسنة وأن يقدموهم على أنفسهم في المأكل والملبس.

قال: كان الملائكة الذين نزلوا لمساعدة المسلمين في معركة بدر ضعاف البأس، ولم يقتلوا كل المشركين آنذاك.

قلت له: إذن فأنت تصدق بنزول الملائكة.

قال: لا، ولكن أجاريكم في الرأي.

قلت له مبتسمة: المقصود من نزول الملائكة في معركة بدر هو تثبيت قلوب المؤمنين في المعركة وتعليمهم أن الله يُعين من يلجأ إليه ويتوكل عليه. كما أن الله لم يشأ أن يُقتل جميع المشركين، لعلمه أن منهم من سيعتنق الإسلام لاحقًا.

قال: ولماذا لم تنزل الملائكة في معركة أُحد؟

قلت له: الدرس هنا مختلف، وهو عن أهمية الأخذ بأسباب النصر المادية وأهمية طاعة القائد.

قال: ومذبحة يهود بنو قريظة، وحد الحرابة، أليست هذه وحشية؟

قلت له: وما عقاب الخائنين وناقضي العهود في قوانين الأمم المتحدة اليوم؟ تخيل فقط مجموعة عقدت العزم على قتلك وقتل أهلك جميعًا وسلب أموالك؟ ما كنت أنت فاعل بهم؟

يهود بني قريظة نقضوا العهد، وتحالفوا مع المشركين للقضاء على المسلمين، فعاد كيدهم في نحرهم.

قال: انتشر الإسلام بالسيف ولم ينتشر بالسِّلم.

قلت له: بدايةً، كلمة سيف لم تُذكر في القرآن الكريم ولا مرة واحدة، وقد حكم المسلمون الهند فترة طويلة من الزمن، ولم يقتلوا الهندوس والنصارى ولم يجبروا الجميع على الإسلام بالقوة. أما عاش اليهود والنصارى في بلاد الأندلس تحت حكم الإسلام يمارسون عقائدهم وينعمون بحقوقهم؟ إن البلاد التي لم يشهد فيها تاريخ الإسلام حروباً، هي التي يقيم فيها أكثر مسلمي العالم، مثل أندونيسيا والهند والصين وغيرها.

فاجأني بقوله: أنا فقط للعِلم نبيٌّ مُرسل، وقد كنت أختبرك.

ابتسمت وقلت له: تشرفنا بحضوركم، أنا للأسف لم أكن أعرف ذلك، سوف أقوم باستدعاء زميل لي هنا في المركز، وسوف يُكمل الحوار معك.

فاستدعيت زميل لي، حيث أنني لم أستطع إكمال حواري معه لإرهاقي الشديد، وقد تبين لي أنه متلاعب.

جاء زميلي وقال: أهلاً بك يا سيدي، كيف يمكنني مساعدتك؟

قال: أنا نبيٌّ مُرسَل، وأستطيع ان أتنبأ بمستقبلك الآن.

قال له زميلي: ولماذا المستقبل، نحن في الحاضر، أنا اليوم أعاني من وجع ما، فأخبرني بما أعاني منه منذ الصباح؟

قال: لا، لا. الأمور لا تسير هكذا.

قال له: وكيف تسير إذًا.

قال: عليَّ أن أغادر المكان حالاً، شكرًا لكم على الاستضافة.

تقول الكاتبة الإيطالية الدكتورة "لورا فيتشا فاليري" أيضًا:

"وحسبك أنَّ الحروب التي هي أقصى ضرورات الحياة الإنسانية قد صارت بفضل محمد أقل وحشية وقسوة؛ إذ إنه كان يطلب من جنوده ألا يقتلوا شيخًا ولا امرأة ولا طفلاً، ولا يهدموا بيوتًا لم تتخذ كمعاقل حربية، ولا يدمروا ما بها من أسباب الحياة، ولا يمسوا الأشجار المثمرة والنخيل"[٢٢٧].

إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا:

قال إدوار مونتيه مدير جامعة جنيف في محاضرة له: "إنَّ الإسلام دين سريع الانتشار، ينتشر من تلقاء نفسه دون أيِّ تشجيع تقدمه له مراكز منظمة، وذلك لأن كل مسلم مبشر بطبيعته، المسلم شديد الإيمان، وشدة إيمانه تستولي على قلبه وعقله، وهذه ميزة في الإسلام ليست لدين سواه، ولهذا السبب ترى المسلم الملتهب إيمانًا يبشر بدينه أينما ذهب وأنَّى حَلَّ، وينقل عدوى الإيمان الشديد لكل من يتصل به من الوثنيين، ولعمري، إنَّ للإيمان الإسلامي الشديد أكبر فضل في نشره هذا الانتشار السريع، وفضلاً عن الإيمان، فالإسلام تمشى مع الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وله قدرة عجيبة على التكيف بحسب المحيط وعلى تكييف المحيط حسب ما يقتضيه هذا الدين القوي"[٢٢٨].

في حوار لي مع قساوسة من الكنيسة الأرثوذكسية في أثيوبيا، دار بيننا هذا الحوار:

قال أحدهم: لماذا يُقتل المرتد في الإسلام، وقد ضمن الإسلام حرية العقيدة كما تدَّعون؟

قلت له: الإيمان علاقة بين العبد وربه، متى أراد قطعها، فأمُره إلى الله، لكن متى أراد أن يجاهر بها ويأخذها كذريعة لمحاربة الإسلام وتشويه صورته وخيانته، فمن بديهيات قوانين الحرب الوضعية حتمية قتله، وهذا ما لا يختلف عليه أحد.

قال: قال المسيح: أحبوا أعداءكم، وقال المسيح أيضًا: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر. أما محمد فقد حارب أعداءه.

قلت له: أما ما يُنسب إلى عيسى عليه السلام من قوله: من ضربك في خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، فليس لدينا ما يدل على ثبوته حتى نبني عليه أحكامًا، ولو صح هذا القول، فقد يكون المقصود هنا العفو عن المسيء، ولكن ليس الذل والخنوع. ألم يقل المسيح: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفا ونارا وانقسامًا"[٢٢٩].

---

[٢٢٧] كتاب محاسن الإسلام. أحمد يوسف السيد.

[٢٢٨] الحديقة مجموعة أدب بارع وحكمة بليغة. سليمان بن صالح الخراشي.

[٢٢٩] (العهد الجديد، إنجيل متى ١٠: ٣٤).

هناك أوامر صدرت من المسيح لأتباعه بأن لا يُقاوموا الأعداء، فلو أمرهم بمقاومة مضطهديهم لكان ذلك فيه القضاء على دعوته منذ بدايتها. ولذلك فإن مقولة من لطمك على خدك الايمن فأدر له الايسر، إن صحت، فهي ليست قاعدة عامة ومطلقة، وإنما تعبير عن منهج عمل في ظروف خاصة، ولا أعتقد أن المسيح يُضيِّع حقوق الناس، لأن الضرب حالة اعتداء على الآخرين تترتب عليها حالة قصاص.

كما تجلَّت رحمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وتمكين الله تعالى له، حينما قال: اليوم يوم المرحمة. وأصدر عفوه العام عن قريش التي لم تدَّخر وسعًا في إلحاق الأذى بالمسلمين، فقابل الإساءة بالإحسان، والأذيَّة بحسن المعاملة.

"وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" [٢٣٠].

ومن صفات المتقين:

"...والْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[٢٣١].

قال: لماذا عفا المسيح عن الزانية بينما أقام محمد حد الزنا؟

قلت له أولا: هناك اتفاق تام بين اليهودية والنصرانية والإسلام على تشديد العقوبة على جريمة الزنا [٢٣٢] .

وفي النصرانية: شدد المسيح في معنى الزنا، فلم يجعله قاصرًا على الفعل المادي المحسوس، بل نقله إلى التصور المعنوي[٢٣٣]. وقد حرمت النصرانية على الزناة أن يرثوا ملكوت الله، وليس لهم بعد ذلك من قرار سوى العذاب الأبدي في جهنم[٢٣٤].وعقاب الزناة في هذه الحياة هو ما قررته شريعة موسى، أي القتل رجمًا[٢٣٥].

وكما ويعترف علماء الكتاب المقدس اليوم أن قصة عفو المسيح عن الزانية في الواقع لا وجود لها في أقدم نسخ إنجيل يوحنا، ولكنها أضيفت إليه فيما بعد، وهذا ما تقرره التراجم الحديثة. وأهم من هذا كله أن المسيح كان قد أعلن في بدء دعوته أنه ما جاء لينقض ناموس موسى والنبيين من بعده أو من قبله، وأن زوال السماء والأرض أيسر عليه من أن تسقط نقطة واحدة من شريعة موسى[٢٣٦].

ومن ثم لا يمكن أن يعطل المسيح شريعة موسى بترك المرأة الزانية بلا عقاب[٢٣٧].

ويُقام الحد بشهادة أربعة شهود، مع وصف حادثة الزنا بما يؤكد وقوعه، وليس مجرد تواجد رجل مع امرأة في مكان واحد، وإذا تراجع أحد الشهود عن شهادته يُوقف الحد. وهذا يفسر قلة وندرة إقامة حدود الزنا في الشريعة الإسلامية على مدى التاريخ، لأنه لا يثبت إلا بهذه الطريقة، وهذا أمر عسير، بل يكاد يكون مستحيلاً إلا باعتراف المرتكب.

ومن المبادئ العامة في الإسلام، فيما يتعلق بإقامة الحدود المقررة على الخطأ، أنه:

- يجب التحرز تمامًا، والتأني، وتلمس المعاذير ودرء الشبهات التي تجعل ضمير القاضي غير مستريح للحكم بإقامة الحد؛ وذلك لحديث رسول الله: "ادرؤوا الحدود بالشبهات".
- من أخطأ وستره الله، ولم يظهر خطيئته للناس، فلا حد عليه؛ فليس من الإسلام تتبع عورات الناس، والتجسس عليهم.

---

[٢٣٠] (فصلت:٣٤).

[٢٣١] (آل عمران: ١٣٤).

[٢٣٢](العهد القديم، سفر اللاويين ٢٠: ١٠ —١٨).

[٢٣٣] (العهد الجديد، إنجيل متى ٥: ٢٧— ٣٠).

[٢٣٤] (العهد الجديد،١ كورنثوس ٦: ٩ — ١٠).

[٢٣٥] (العهد الجديد، إنجيل يوحنا ٨: ٣ — ١١).

[٢٣٦] (العهد الجديد، إنجيل لوقا ١٦: ١٧).

[٢٣٧] https://www.alukah.net/sharia/0/82804/ من مقال تشديد العقوبة على جريمة الزنا في اليهودية والمسيحية والإسلام. اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب علي.

- في حالة إقامة حد الزنا بناءً على اعتراف أحد الخاطئين – وليس بناءً على شهادة الشهود الأربعة – فلا حد على الطرف الثاني الذي لم يعترف بجرمه.

" إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا "[٢٣٨].

" وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا "[٢٣٩].

" يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا "[٢٤٠].

وقد جاءت امرأة معترفة بطواعيتها –من غير إكراه– إلى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب منه أن يُقيم عليها الحد، وكانت حبلى من الزنا. فدعا نبي الله وليَّها، فقال :أحسن إليها، وهذا يدل على كمال الشريعة، وكمال رحمة الخالق بالمخلوقين.

وقال لها الرسول: ارجعي حتى تلدي.

وعندما عادت قال لها: ارجعي حتى تفطمي ابنك، وبناءً على إصرارها على العودة بعد فطام الصغير إلى الرسول، أقام عليها الحد، وقال: لقد تابت توبة لو وزعت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم.

فرحمة الرسول عليه الصلاة والسلام تجلت في هذا الموقف النبيل.

إني رسول اللَّه إليكم جميعًا:

في زيارة نادرة لرهبان معبد بوذي من دولة تايلاند، وكانوا ثلاثة رهبان قد جاءوا برفقة وفد دبلوماسي من السفارة التايلندية، وكان الرهبان يرتدون ما أشبه بملابس إحرام المسلمين، ولكن برتقالية اللون. وقد أُعطينا تعليمات في بداية الزيارة أن الرهبان لا يصافحون النساء، وأنهم عند أخذ الصورة التذكارية معي داخل المسجد كمُشرفة للجولة، يجب أن أركع مع طاقم عمل السفارة على رُكبي، بينما يبقى الرهبان واقفين على أرجلهم، باعتبارهم أعلى مقامًا من الجميع.

فقلت لهم: أما بالنسبة للمصافحة فأنا لا أصافح الرجال، لكن بالنسبة للصورة، فلن أتصور إلا واقفة، ولا أركع إلا لله، فإذا لم يَرُق لكم هذا، فسوف أخرج من الصورة، فوافقوا والتُقطت الصورة لنا، وأنا واقفة إلى جانب الرهبان على مسافة بعيدة، وطاقم السفارة جالسون على الأرض.

قال لي أحد الرهبان وكان أكثرهم إجادةً للغة الإنجليزية: ما هي تعاليم دينكم؟

قلت له: تعاليم ديننا شبيهة بتعاليم دينكم، ولكن نحن نتبعها كاملة، وأنتم اختصرتموها.

قال: وكيف ذلك؟

قلت له: الوصايا التي لديكم بخصوص احترام حقوق الإنسان، بما فيها عدم القتل واحترام حق الجار والعطف على المسكين، موجودة في تعاليم كل ديانة على وجه الأرض، بما فيها الهندوسية واليهودية والنصرانية، وهي في الإسلام أيضًا. لكن الفرق بين الإسلام وباقي الديانات، أن باقي الديانات همشت الوصية الأولى وتغاضت عنها، وأبقت على الباقي.

قال: وما هي الأولى؟

قلت له: الإيمان بإله واحد أحد، والذي يُلجأ إليه عند الشدائد.

---

[٢٣٨] (النساء: ١٧).

[٢٣٩] (النساء: ١١٠).

[٢٤٠] (النساء: ٢٨).

قال: أتقصدين غواتاما بوذا؟

قلت له: لا. أنا أقصد الحقيقة الوحيدة والقوة التي في السماء، خالق بوذا وكل البشر، والذي يلجأ إليه الجميع حين تنقطع بهم السبل، ويستنفدون كل الوسائل لنجاتهم من الأزمات.

قلت له مستطردة: ألا يلجأ البوذي عند خوفه الشديد من صوت الرعد، إلى القوة التي في السماء لطلب الحماية؟

قال: نعم. ولكن ما الدليل أن هذه كانت من ضمن الوصايا التي نتبعها؟

قلت له: الدليل أنكم تمارسونها دون أن تشعروا، ودون أن تكتبوها في كتبكم. وقد علمكم بوذا الإسلام بإقراره أن الموت حق، وإعطائه وصف للحياة الأبدية التي لا موت فيها ولا ألم، وهي ما تُطلقون عليها اسم " نيرفانا".

يقول أحد العلماء المشهورين "آرثر ليلي": إن الكلام التالي كان منحوت على حجر: (ما كان يعتقد به تلاميذ بوذا عن الإله، الروح ومستقبل الإنسان).

"نعترف ونؤمن بالله، الذي هو كائن يستحق من أجل هذا (إيمان) "[٢٤١].

قال: لكن بوذا إله.

قلت له: وهل يقول إله عن نفسه، أنا لست أول بوذا ولن أكون آخر بوذا [٢٤٢]؟

لم يطالب "غواتاما بوذا" أيًا من أتباعه لأن يعبدوه هو كإله أو عبادة أي شيء أو أي شخص آخر، فالطريق الديني الذي انتهجه وسار عليه كان نفس الطريق الذي سار عليه بوذا آخر وتنبأ به من قبل. كما أن "غواتاما" استخدم كلمة "بوذا" بسياق كلمة "نبي" وعنى بذلك الشخص الذي يتم تنويره بالوحي الإلهي.

بوذا قال: "يجب على الجميع أن يُؤمنوا بـ (مايتريا) النبي القادم"[٢٤٣].

تحمل كلمة "مايتريا" أو "ميتا" في اللغة البالية وجميع الكلمات المقابلة المستخدمة في البورمية والصينية والتبتية واليابانية نفس المعنى؛ وهي نفس كلمة "رحمت" باللغة العربية، والتي تعني "الرحمة"[٢٤٤]. (حيث أشار الله سبحانه في القرآنَ الكريم إلى النبي محمد بأنه رحمة للعالمين). **"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[٢٤٥].**

قال: عجيب! أوَ تجزمون أن بوذا كان نبيًّا مُرسل، وتنبأ بقدوم نبيكم؟

قلت له: نحن لا نجزم أبدًا، ولم يُذكر اسم بوذا أبدًا في القرآن الكريم، لكن نرى أن هناك تشابهات بين الديانات بصورة ملفتة للنظر، مما لا يُستبعد ان يكون مصدرها واحد وهو من الخالق، وقد اختلفت بسبب تحريفات البشر. وقد أكد القرآن في أكثر من مناسبة أن الله أرسل إلى جميع الأمم رسلاً وأنبياء للتذكير بعبادة خالق واحد أحد، وذكر أسماء البعض، ولم يذكر آخرون.

قال: وهل من دليل على نبوة محمد في كتب الهندوسية أيضًا.

قلت له: نعم.

---

[٢٤١] اقتباس من كتاب "الهند في المسيحية البدائية"، صفحة ٨٥.

[٢٤٢] (Gospel of Buddha by Carus pg.217 and 218 from Ceylon sources).

[٢٤٣] Arshagyanam page 282

[٢٤٤] Prophecy on The Coming of Prophet Muhammad (SAW) in Other Scriptures – Zakir Naik
http://www.irfi.org/articles3/articles_4601_4700/prophecy%20on%20the%20coming%20of%20prophet%20muhammadhtml.htm

[٢٤٥] (الأنبياء: ١٠٧).

"إنه نيراشانزا أو الشخص الممدوح (محمد) إنه كاراما: أمير السلام أو المغترب، وهو آمن، حتى بين مجموعة من ستون ألف وتسعون من الأعداء. إنه يركب الجمال، وتمس مركبته السماء"[٢٤٦].

" نيراشانزا" رجل الحمد" يشير إلى النبي محمد. المعنى الفعلي للكلمة العربية "محمد" هو: "الرجل المحمود"، وليس من المعروف بالضبط عدد أعداء النبي محمد في ذلك الوقت، ولكن ثبت أن هناك الآلاف.

عندما هاجر النبي محمد من مكة (المدينة التي وُلد فيها، لكنه اضطر إلى المغادرة بسبب مؤامرة اغتياله) إلى المدينة المنورة، ذهب على الجمل.

قلت له مستطردة: ويوجد غيرها الكثير[٢٤٧].

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"[٢٤٨] .

وقد انتهت الزيارة، وطلبوا تزويدهم بنسخ ترجمات معاني القرآن باللغة التايلاندية، وشكرونا كثيرًا.

قال الفيلسوف الإنكليزي توماس كارليل (١٧٩٥-١٨٨١): "لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يُصغي إلى ما يظن، من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خداع، وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإنَّ الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير، مدة اثني عشر قرنًا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا. وهل رأيتم قطُّ معشر الإخوان أنَّ رجلاً كاذبًا يستطيع أن يُوجِد دينًا وينشره؟ عجبًا والله، إنَّ الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب، فهو إذًا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه بيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، نعم وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه، فينهدم فكأنه لم يكن"[٢٤٩].

---

[٢٤٦] Book (Kuntap Sukta) book 20 Hymn 127 verses 1-2 ،Atharva Veda.

[٢٤٧] www.fatensabri.com كتاب عين على الحقيقة. فاتن صبري.

[٢٤٨] (الأعراف: ١٥٨).

[٢٤٩] كتاب "الأبطال".

يجادلونك في الحق بعد ما تبين

الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق:

لطالما كنت في صغري على اهتمام بمعرفة الدين الصحيح، حيث كانت أمي في ذلك الوقت حريصة على متابعة البرامج الدينية وكنت أسالها دومًا عن هذا الموضوع، وقد ولدت في دولة الكويت، وكمجتمع يستقبل الوافدين من دول مختلفة، كان يحتوي على ديانات وثقافات مختلفة، ودائما ما كنت أتعجب من إصرار أتباع كل ديانة على التصريح أنهم على الدين الحق، وكنت أقول لنفسي: دين الحق يجب أن يكون دينًا واحدًا، فما هو هذا الدين؟ لماذا الإسلام هو دين الحق؟ ومع كثرة طرح هذا السؤال على أمي وأنا في المرحلة الابتدائية في الدراسة، قالت لي: اقرأي وابحثي وسترين بنفسك أن دين الحق هو الذي يوفر لك العلاقة المباشرة مع خالقك. وعكفت على القراءة مع صغر عمري، وقبل أن أصل لمرحلة الثانوية كانت الصورة لدي واضحة جلية عن التوحيد، وشعرت بطاقة عظيمة لأُحدِّث العالم عن هذا الكنز العظيم، وأخذت أردد الآية الكريمة: **" الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ "**[٢٥٠]، وسُررت كثيرًا.

وجادلهم بالتي هي أحسن:

في حوار لي مع ثلاثة صحفيين من الجنسية الهندية، والذين جاءوا حسب مع فهمت بحملة تبشيرية للنصرانية، قال: أحدهم: المسيح هو الله.

قلت له: ما دليلك؟

قال: لقد قال المسيح في كتبنا: إنه كائن قبل إبراهيم.

قلت له: وهل هكذا يُعرِّف الإله عن نفسه، بأن يقول أنا كنت قبل فلان؟

"إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ"[٢٥١].

قلت له مستطردة: كيف عَرَّف الله عن نفسه لموسى في كتابكم؟ ألم يقل يا موسى إنني أنا الله فاعبدني.

شعرت حينها بارتباك شديد على وجهه، فتدخل زميله وقال: قال المسيح: أنا والإله واحد؟

قلت له: وقال أيضًا أنا والحواريين واحد، والله والمسيح والحواريين واحد، وأعيد وأكرر هل هذه طريقة تعريف الإله عن نفسه؟ أنت عندما تأتي لزيارتي للمنزل مثلاً لطلب المعونة في أمرٍ ما، وأكون أنا غير موجودة، فيقول لك ابني: أنا وأمي واحد، كيف أستطيع مساعدتك؟

قال: برهان الثالوث أن الله في الأزل وقبل خلقه للكون، لو كان واحدًا فقط، لتعطلت صفاته، فكان يجب أن يكون ثلاثة، ليرحم ويرزق ويتفاعل من خلال الثلاثة الذين في داخله.

قلت له وقد أثار تعليقه غضبًا شديدًا في نفسي: أنا مثلاً أحمل صفة "متحدثة جيدة"، وعندما أقرر أن أصمت ولا أتحدث الآن، هل تتعطل هذه الصفة عندي؟

قال أحدهم: أنت لست متحدثة جيدة فقط، بل وطاقة في بديهية الإجابة.

---

[٢٥٠] (سبأ:٦).

[٢٥١] (طه:١٤).

قال مستطردًا: من هو محمد؟

قلت له: هو من نسل إسماعيل.

قال: لكن إسماعيل ابنًا ليس شرعيًا لإبراهيم.

قلت له: ومن قال هذا؟

"فأخذت سارة امرأة إبراهيم هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة إبراهيم في أرض كنعان وأعطتها لإبراهيم زوجة له"[٢٥٢].

وتشير هذه الفقرة في العهد القديم أن هاجر كانت زوجة شرعية لإبراهيم.

وكلمة إسماعيل تعني " الله يسمع"، حيث استجاب الله لدعاء إبراهيم بأن يرزقه الولد، وقد اختار الله هذا الاسم لإسماعيل، كما لم يرد مطلقا في العهد القديم أن إسماعيل كان ابنًا غير شرعيًا.

"وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا، وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلّتك" [٢٥٣].

وتعهد الله بأن يبارك إسماعيل ويُخرج من نسله أمة كبيرة.

"وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا، اثني عشر رئيسًا، يلد وأجعله أمة كبيرة "[٢٥٤].

قال: أرجوك أعطيني المراجع لأتأكد بنفسي.

قال بعدها: الله في كتابكم يغير رأيه، فتارة يقول: لا إكراه في الدين، وتارة يقول: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، أتنكرون وجود الناسخ والمنسوخ لديكم؟

وقد تعجبت كثيرًا من فصاحة نطقه لهذين المصطلحين باللغة العربية مع أن الحوار كان باللغة الإنجليزية.

قلت له: لا يوجد نسخ بين هاتين الآيتين، فالآية الأولى موضوعها مختلف تمامًا، إذ إنها تقرر مبدأً إسلاميًا عظيمًا، وهو منع الإكراه على الدين؛ في حين أن الآية الثانية موضوعها خاص، يتعلق باللذين يصدون عن سبيل الله، والمانعين لغيرهم من قبول دعوة الإسلام، فلا تعارض حقيقي بين الآيتين.

لكن في كل الأحوال فإن تطور أحكام التشريع، ووقف العمل بحكم سابق، وإحلال حكم آخر لاحق، وتقييد المطلق، وإطلاق المقيد، أمر معهود ومألوف في الشرائع السابقة ومنذ عهد آدم. كما كان تزويج الأخ بالأخت مصلحة في شريعة آدم عليه السلام، ثم صار مفسدة في سائر الشرائع؛ وكذلك إباحة العمل يوم السبت، كان مصلحة في شريعة إبراهيم عليه السلام، ومن قبله وفي سائر الشرائع، ثم صار مفسدة في شريعة موسى عليه السلام، وقد أمر الله سبحانه بني إسرائيل قتل أنفسهم بعد عبادتهم العجل، ثم رفع هذا الحكم عنهم بعد ذلك، وغيرها الكثير من الأمثلة، فاستبدال حكم بحكم آخر وارد في نفس الشريعة أو بين شريعة وشريعة أخرى.

قلت له أيضًا: الطبيب الذي يبدأ بعلاج مريضه بدواء معين ومع الوقت يزيد في جرعة الدواء أو يقللها كتدرج في علاج مريضه، يُعتبر بالنسبة لك حكيم.

---

[٢٥٢] (العهد القديم، سفر التكوين١٦: ٣).

[٢٥٣] (العهد القديم، سفر التكوين ١٦: ١١).

[٢٥٤] (العهد القديم، سفر التكوين ١٧: ٢٠).

قلت له مستطردة: وإني لأعجب من سؤالك جدًا، وقد رحَّبتم بالنسخ الذي قام به القديس بولس والذي لم يكن في حكمٍ واحدٍ من الأحكام فقط، بل بَدَّل دينًا بأسره، من التوحيد إلى التثليث، وجعلكم تنقضون عهد الله الأبدي معكم بالالتزام بالختان كما هو مذكورًا في كتبكم.

قال: أنتم تزعمون أن الله حمى المسيح من الصلب والقتل، فلماذا لم يحمِ محمدًا من القتل عندما مات مسمومًا بسُم اليهودية.

قلت له: لقد حمى الله الرسول الكريم من سم اليهودية عندما أُخبِر أن الشاة مسمومة، ولم يمت بهذا السم، وعاش بعدها قرابة الأربع سنوات مكملاً رسالته وفتوحاته العظيمة، وقد حماه الله حتى لحظة وفاته، وكون هذه الوفاة كانت بتأثير السم لاحقًا أو بغيره، هذا لا يجعل اليهود قد انتصروا عليه بقتله لمنعه من إتمام المهمة التي بُعث من أجلها، بل كان موت النبي صلى الله عليه وسلم بقَدرٍ من الله بعدما بلغ الرسالة، وعليه فالقصة لا تقدح في عصمته.

قال أحدهم: إنني أرى وإن كان القرآن على درجة عالية من النظام والدقة، لكن الحروف المقطعة والغير مفهومة فيه، دليل على نقص وعيب؟

قلت له: إنك كمن يرى مبني شاهق على درجة عالية من النظام والدقِّة، ثم يرى في إحدى زواياه تصاميم يُتصوَّر أنها زائدة ولا فائدة منها، فيقول: كوني لم أفهمها إذًا فهي عيب في المبنى، وهل مقدار فهمك واستيعابك للأمور مقياس على جودتها من عدمها؟ والأحرى أن تقول: إن من أنشأ هذا المبنى بكل هذه العظمة والدقة والنظم المتقن لا يمكن أن يغفل عن هذه الأشياء، لا بد أنه قد وضعها هنا لحكمة معينة لا ينفي وجودها جهلي أنا بها، والغريب أنه لم يعترض أحد في زمن نزول القرآن على هذه الأحرف، بل ودائمًا ما كانوا يثنون على إعجازه وتفرده حتى من أعدائه.

قال: ولماذا نزل القرآن باللغة العربية؟

قلت له: وبأي لغة كنت ترغب بأن ينزل، لديكم في الهند آلاف اللغات واللهجات، فإي لغة كنت تفضل؟ ولو كان نزل بواحدة من هذه اللغات لقلت لماذا ليس بالأخرى.

قلت له مستطردة: ان الله يرسل الرسول بلسان قومه، والله تعالى اختار رسوله محمد ليكون خاتم الرسل، وكانت لغة القرآن بلسان قومه، وحفظه من التحريف إلى يوم الدين، وكذلك اختار مثلاً الآرامية لكتاب المسيح.

قال: ما قصة جمع القرآن أيام أبي بكر للقرآن وحرقه في عهد عثمان؟

قلت له: ترك الرسول القرآن موثق ومدون بأيدي الصحابة لتلاوته وتعليمه للآخرين، وحينما تولى أبي بكر –رضى الله عنه – الخلافة أمر بجمع هذه الصحف لتكون في مكان واحد ويمكن الرجوع إليها. وأما في عهد عثمان فقد أمر بحرق النسخ والصحف التي كانت بأيدي الصحابة في الأمصار وأرسل إليهم نسخ جديدة مطابقة للنسخة الأصلية والتي تركها الرسول الكريم والتي جمعها أبو بكر. وذلك ليضمن أن جميع الأمصار ترجع إلى نفس النسخة الأصلية والوحيدة التي تركها الرسول.

وبقي القرآن على ما هو عليه دون أي تغير أو تبديل، وكان دوما ملازمًا للمسلمين على مر العصور ويتداولونه بينهم ويتلونه في الصلوات.

قال: يقول القرآن:

"إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"[٢٥٥].

[٢٥٥] (الأعراف:٥٤).

الله خلق السماوات والأرض هنا في ستة أيام، وخلقها في ستة أيام ليُعلم عباده عدم العجلة وأن يتدبروا الأمور، وهذا مفهوم.

ويقول هنا:

" قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ(١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ "[٢٥٦].

أما هنا فقد خلق الله الأرض في يومين، ثم جعل فيها الرواسي، وتقدير الأقوات في أربعة أيام، فيصير المجموع ستة، ثم خلق السماوات في يومين، وبهذا يكون المجموع ثمانية أيام، أليس هذا تناقض في القرآن؟ قلت له: إن قلت لك أنني سافرت من باريس إلى لندن في عشرة أيام، وإلى شيكاغو في خمسة عشر يومًا، فهذا يعني أنني أتممت رحلتي في خمسة عشر يومًا، وهذا هو المقصود في الآية الكريمة. قال بعدها: أنتم المسلمون تعيشون فُرقة كبيرة، لأنه ليس لكم قيادة دينية كالفاتيكان تحكمكم؟ قلت له: وكيف نفعت الفاتيكان النصرانية، هل استطاعت الفاتيكان توحيد طوائف النصرانية، إن الفُرقة بازدياد.

قال زميله: سوف نغادر الآن ولكن لنا لقاءات قادمة.

من يُجادل في الله بغَير علمٍ:

فاجأني يوما أحد مدرس اللغات في أفريقيا، حين سألني في الفصل وأنا المسلمة الوحيدة بينهم حيث قال:

تصلون خمس مرات باليوم؟ وتصلون في الخامسة صباحًا؟ أليس هذا غريبٌ عجيب؟

وقد كان عندي علمٌ مسبق أن هذا الأستاذ يعمل بنظام العمل الجزئي، أي أنه إن أعطى الدرس يأخذ أجرًا، وأن لم يعط الدرس لا يأخذ أجرًا.

فقلت له – بناءً على علمي المسبق بهذه المعلومة–: إن كان هذا الدرس في الخامسة صباحًا، كنت ستعطيه أم تبقي نائمًا؟

قال: طبعًا سأعطيه، فهذا رزقي ورزق أولادي.

قلت له: والصلاة رزقنا وهي بالنسبة لنا أعظم من ملايين الدولارات.

قلت له: كم مرة تخاطبك زوجتك عبر الهاتف في اليوم؟

قال ضاحكًا: تكاد لا تتوقف عن المكالمات.

قلت له: وهل تستنكر علينا أن نخاطب ربنا خمس مرات باليوم؟

قال: ولماذا الصلاة؟

قلت له: أنا أقوم للصلاة في الخامسة صباحًا يوميًا، وتقوم صديقاتي الغير مسلمات لممارسة رياضة الصباح في نفس الوقت تمامًا، فصلاتي بالنسبة لي غذاء جسدي وروحي، والرياضة بالنسبة لهم غذاء جسدي فقط.

انظر كم نعتني بأجسادنا والروح تتضور من الجوع، والنتيجة حالات انتحار لا تعد ولا تحصى لأكثر الناس رفاهية في العالم.

تؤدي العبادات إلى إلغاء الإحساس الموجود في مركز الشعور في الدماغ، والخاص بالشعور بالذات وبالشعور بمن حولنا، فيستشعر الإنسان قدرًا كبيرًا من التسامي، وهذا إحساس لن تفهمه إلا إذا جربته.

---

[٢٥٦] (فصلت: ١٢).

قلت له أيضًا: تُحرك العبادات مراكز الشعور في المخ، فتتحول العقيدة من معلومات نظرية وطقوس إلى تجارب شعورية ذاتية. هل يكتفي الأب عند عودة ابنه من السفر بالترحيب اللفظي؟ إنه لا يهدأ له بال حتى يحتضنه ويقبله. إن للعقل رغبة فطرية في تجسيد معتقداتنا وأفكارنا في صورة حسية، فجاءت العبادات إشباعًا لهذه الرغبة، فالعبودية والطاعة تتجسد في الصلاة والصوم، وهكذا.

د. أندرو نيوبرج[٢٥٧] يقول: " إن للعبادات دور كبير في تحسين الصحة الجسدية والعقلية والنفسية، ولتحقيق السكينة والسمو الروحي، كذلك فإن التوجه إلى الخالق يؤدى إلى المزيد من السكينة والسمو".

قال: معك حق، ونحن للأسف دائمًا في الأسفل نلهث وراء ملذاتنا الدنيوية.

وفي حواري مع أحد المسلمين الذي قلل من أهمية الصلاة والدعاء، حيث قال: إن مفهوم الدعاء يناقض السنن الإلهية والقوانين الطبيعية، ويجب تنزيه الإله عن تبديل كلماته وتعديل قضائه.

قلت له: إن حقيقة القوانين الطبيعية يقرها الدين والعلم، وحقيقة وجود الإله لا تكفي وحدها أو تغني عن الرغبة في الاتصال به، ووجود هذه القوانين لا يعني عدم تواصل الإله مع خلقه، ولا تقول إن التواصل معه والانقطاع عنه سواء.

"اوليفر لودج" وهو من أشهر علماء الطبيعة يرد على القائلين بمخالفة الدعاء للسنن الكونية فيقول: " إنهم يحكمون على الصلاة حكمهم على ظاهرة طبيعية خارجة عن حدود الكون، ولكنها في الواقع ظاهرة كونية يحسب حسابها في أعمال الكون كما يحسب حسابها في سائر الحوادث التي تقع في حياتنا بغير صلاة. وإذا كانت الصلاة تربية نفسية فلماذا يحسب المعترضون أن هذه التربية ليست سببًا لتحقيق بعض الحوادث كما تسببها كل تربية يتم بها استعداد الإنسان لغاية من الغايات؟".

قال: إنه لا فرق بين صلاة الإنسان لنفسه أو صلاته لغيره أو لربه.

قلت له: فاقد الشيء لا يعطيه، كيف أطلب من غيري العون وهو لا يستطيع إعانة نفسه، والطلب من الله عز ومن غيره مذلة. هل يُعقل أن تساوي بين الملك وعامة شعبه بالطلب، فالعقل والمنطق يدحض هذه الفكرة تمامًا.

قال: الطلب إما أن يكون موافقًا للإرادة الإلهية فهو محقق بغير طلب، وإما أن يكون مخالفًا للإرادة الإلهية فلا معنى لطلبه.

قلت له: إن إرادة الله متمثلة في خلقه لطبيعة الإنسان، وإن من طبيعة الإنسان طلب الغوث عند الحاجة إليه، وإن طلبه من غير الله عبث مع الإيمان بوجود الإله القادر على كل شيء.

قال: إن النواميس الكونية مسألة قديمة حصلت وفرغ الأمر منها.

قلت له مستطردة: إن جرس القطار يدق قبل وصوله وليس هو سبب الوصول، وأن ضوء القذيفة يرى عند انفجارها قبل سماع صوتها ولا علاقة بين سبب الرؤية أو السماع. إن قوانين الكون لم تُحصَر جميع عواملها، وأن الحصر الذي وصلنا إليه قد يُعين على تقدير الحوادث المترتبة عليها بالإجمال، ولا يصلح التقدير إلا بالتقريب. ومع فتح المجال للعلماء لدراسة الكون الذي لا تحصره ضوابط القوانين، يبقى الله تعالى فعّال لما يريد، والخلق عملية مستمرة وليس بالعملية الآلية التي فرغت منها العناية الإلهية، وتركتها هملاً بغير تبديل. وسنة الله لا تبديل لها حقًا ولكننا لا نعلم من سنة الله إلا ما نهتدي إليه بعقولنا وهداية الله، وقد تكون سنة الله في نصيب الإنسان موقوفة على تربية نفسية عن طريق الصلاة، وقد تكون هذه التربية النفسية سببًا مشروطًا للسنة الإلهية لا يجوز للمؤمن تعطيله.

إن الصلاة عند الموحدين من علامات التقدم الإنساني في فهم حقائق الكون، وفهم الصفات الإلهية، والتواصل مع مصدر كل خير، ولم تُعرف عند المشركين بهذا الشكل، فقد جعلوا صلاتهم من قبيل المساومة، حينما اعتقدوا أن آلهتهم بحاجة إلى قرابينهم. ولا قوام لدين

---

[٢٥٧] مدير مركز الدراسات الروحية بجامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة.

بغير الإيمان بالصلاة على معنى الطلب والدعاء، مع الإيمان برياضتها الروحية وصلتها الوثيقة التي تربط عالم الشهادة بعالم الغيب، وتجعل وجود الإله حقيقة أعلى من حقيقة النواميس أو حقيقة الحوادث الكونية التي تهم الإنسان في مطالب معيشته، كما تهمه في مطالب ضميره[٢٥٨].

ويُحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث:

أذكر أنني قد دُهشت جدًا، من قصة إسلام زميلة فلبينية لي في العمل، عندما قالت لي: إن حيوان الخنزير كان سببًا في إسلامها.

قلت لها: وكيف ذلك؟

قالت: أنا كنت أعرف جيدًا أن هذا الحيوان قذر جدًا، ويسبب أمراضًا كثيرة للجسم، ولم أطق هذا الحيوان في حياتي أبدًا، وكنت أكره المسلمين بشدة فقط لاعتقادي أن تناول لحم الخنزير مُحَرَّم في كتابهم لتقديسهم له، وأنهم يعبدونه، إلى أن أدركت لاحقًا عندما تركتُ الفلبين وعشت في بلد عربي، أن تناول لحم الخنزير مُحرَّم عند المسلمين لأنه حيوان قذر ولحمه ضار بالصحة، أدركت حينها عظمة هذا الدين، ودأبت من ذلك الوقت على القراءة والبحث عن هذه الجوهرة المكنونة.

وأذكر في حوار لي مع برازيلي مهتم جدًا بعقيدة التوحيد، لكن كان موضوع تناول لحوم الحيوان قد منعه من اعتناق الإسلام، حيث أنه نباتي، وظن أن باعتناقه الإسلام سوف يُجبر على تناول اللحوم.

قلت له: فكرة أن تناول اللحوم الحمراء أو البيضاء مسموحة في الإسلام، لا تعني أنك مُجبر على تناولها.

قال: ولماذا سُمِح بها أصلاً؟

قلت له: اللحوم هي مصدر أساسي للبروتين، والإنسان يملك أسنان مسطحة وأسنان مدببة وهذه الاسنان مناسبة ومهيأة لمضغ وطحن اللحوم. والله خلق للإنسان الأسنان صالحة لأكل النباتات والحيوانات وخلق الجهاز الهضمي صالح لهضم المأكولات النباتية والحيوانية، وهذا دليل على تحليل أكلها.

قال: أليست طريقة الذبح وحشية؟

قلت له: طريقة الذبح الإسلامي والتي هي قطع عنق الحيوان بسكين حاد، أرحم من الصعق والخنق، التي يتعذب بسببها الحيوان، فبمجرد انقطاع تدفق الدم إلى المخ فإن الحيوان لا يشعر بالألم، وانتفاضة الحيوان ليست بسبب الألم، بل بسبب تدفق الدم السريع. وهي تسهل خروج الدم كله إلى الخارج، عكس الطرق الأخرى التي تحبس الدم داخل جسد الحيوان مما يضر بصحة متناولي هذا اللحم.

قال: أليست هذه الحيوانات روح مثلنا؟

قلت له: هناك فرق، فروح الحيوان هي القوة المحركة للجسم، إذا فارقتها بالموت أصبحت جثة هامدة وهي عبارة عن نوع من الحياة، والنبات والأشجار لها نوع من الحياة أيضًا ولا يسمى روحًا، وإنما يسمى حياة تسري في أجزائه بالماء إذا فارقه ذبل وسقط.

"... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" [٢٥٩].

ولكنها ليست كروح الإنسان التي نُسبت إلى الله، لغرض التَّكريم والتَّشريف، ولا يعرف كنهها إلا الله ولا تخص إلا الإنسان، فروح الإنسان عبارة عن أمر إلهي ليس مطلوبًا من الإنسان فهم جوهره، وهي عبارة عن اندماج القوة المحركة للجسم ومضاف إليها القوى المفكرة (العقل)، والإدراك والعلم والإيمان وهذا الذي ميزها عن روح الحيوانات.

---

[٢٥٨] كتاب ما يقال عن الإسلام. عباس محمود العقاد.

[٢٥٩] (الأنبياء:٣٠).

فللإنسان طبيعة خارجية ظاهرة وهي الجسد، تتصف بكل صفات المادة، وهي قابلة للوزن والقياس، وطبيعة اخرى مخالفة تمامًا للأولى تتصف بالسكون واللازمان ولا مكان.

قال: إن هذه الطبيعة المفروض أن تكون حسب فهمي تابعة للجسد؟

قلت له: الجسد هو التابع لها، لأننا عندما نصوم في رمضان مثلاً، ما الذي يحثنا على الصبر والامتناع عن الأكل، فهذا بسبب دافع قوي داخل أنفسنا يدفعنا لاتخاذ هذا القرار.

قال: لماذا لا نشعر بها؟

قلت له: عندما نستعمل المصعد مثلاً، لا نشعر به أثناء حركته لأننا أصبحنا جزء منه، ولا يمكننا الشعور به إلا عندما يبدأ بالحركة أو عندما يتوقف.

قال: وما هي النفس؟

قلت له: النفس هي نتاج التقاء الروح بالجسد، يُعرَّف الإنسان فيها بروحه ووجدانه، وأحاسيسه ومدركاته، فهي ذاته، والتي تحمل قوى الخير والشر، والتي يرتكب بسببها الإنسان الذنوب أو يحرص على الطاعة.

قال: ما هو الإنسان؟

قلت له: الإنسان هو الشخصية البشرية بكليتها، لحمًا ودمًا وشخصية.

قال: وما الفرق بين الملَك والجن والشيطان؟

قلت له: أما الملائكة: فهم خلق من خلق الله أيضًا ولكن خلق عظيم، خُلقوا من نور، مجبولون على الخير، مطيعون لأوامر الله سبحانه مسبحون عابدون لا يسأمون ولا يفترون.

"يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ"[٢٦٠] .

"...لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ "[٢٦١].

والإيمان بهم مشترك بين المسلمين واليهود والنصارى، ومنهم جبريل الذي خصه الله بالوساطة بينه وبين رسله، فكان ينزل بالوحي إليهم، وميكائيل، ومهمته هي المطر والنبات، واسرافيل، ومهمته هي النفخ في الصور يوم القيامة، وغيرهم.

قلت له أيضًا: أما الجن فهو عالم من عالم الغيب، يعيشون معنا في هذه الأرض، وهم مكلفون بطاعة الله، ونُهوا عن معصيته، مثل الإنس، لكننا لا نراهم، وقد خُلقوا من نار، وخُلق الإنسان من طين. وذكر الله قصصًا تُبين مدى قوة الجن وقدرتهم، من ذلك قدرتهم على التأثير بالوسوسة أو الإيحاء دون تدخل مادي، لكنهم لا يعلمون الغيب ولا يقدرون على إيذاء المؤمن القوي الإيمان.

"... وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ..."[٢٦٢] .

والشيطان: هو كل عاتٍ متمرد سواء من الإنس أو الجن.

قال: أليست ذنوب الإنسان من الشيطان؟

قلت له: هناك نوعان من الذنوب، ذنوب النفس وذنوب تُرتكب بسبب وسوسة الشيطان.

---

[٢٦٠] (الأنبياء: ٢٠).

[٢٦١] (التحريم :٦).

[٢٦٢] (الأنعام :١٢١).

قال: وأيهما أخطر على الإنسان؟ وكيف نستطيع التفريق بينهما؟

قلت له: النفس أخطر بكثير إن لم تُجاهَد كما يُفطم الطفل الصغير عن الرضاعة بالتدريج وبالترويض.

إن النفس الأمارة بالسوء هي النفس التي توسوس للإنسان وتدفعه لارتكاب المعاصي، وتُلح على معصية بعينها، كأن تخطط وتدبر لقتل إنسان، ولا يهدأ لها بال ولا تتراجع حتى تحقق هدفها المنشود.

وكذلك تزين النفس الفعل القبيح وتظهره حسنًا، وتتمادى في طريق الإثم والعصيان، حتى تُطمر فطرتها السليمة وتفقد حينها القدرة على تمييز الصالح من الطالح، فتبدو لها السيئات كالحسنات، كما حدث مع أخوة نبي الله يوسف عليه السلام، حيث ألقوه في قاع الجب، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

"قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ" [٢٦٣].

" الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" [٢٦٤].

" أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ " [٢٦٥].

أما الشيطان، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه ضعيف فقال: **"إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا"** [٢٦٦]، فكيد الشيطان ينحصر في حدود الأفعال التشريعية والتكليفية للإنسان بالوسوسة وإظهار الباطل في مظهر الحق، ولكنه ليس له سلطان على الإنسان.

"فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ"[٢٦٧].

وجُل هم الشيطان أن يجعل الإنسان عاصيًا لله وحسب، أيًّا ما كانت تلك المعصية؛ ولذا فإن الشيطان يوسوس للإنسان في معاصي شتى، كأن يسرق، او أن يزني، أو يكذب أو يشرك أو يكفر وغيرها من الذنوب، وعندما يغلِق الإنسان باب معصية، يأتيه الشيطان من باب آخر، وقد تكون وسوسة الشيطان للإنسان بتقمصه صفة الناصح والمحب.

"وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ"[٢٦٨].

وينتصر الإنسان على الشيطان بالاستعاذة بالله وكثرة الذكر بالقلب واللسان.

"إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ"[٢٦٩].

والشيطان يعلم ذلك ويعترف به، فيوم القيامة سيقول للمذنبين:

"وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم"[٢٧٠].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

"النَّفسُ قاطِعة بين القُلوبْ، وبينَ الوُصول إلى الربِّ طريقًا، ولا يُوصَل إليهِ إلا بَعدَ إماتتِها، فالنَّاسُ على قِسمين، قِسمٌ ظَفَرتْ بِه نَفسُه فأهلَكته، وقِسمٌ ظَفروا بِنفوسِهم، فَصارت مُنقادة لأَوامِرِهم".

---

[٢٦٣] (يوسف:١٨).

[٢٦٤] (الكهف: ١٠٤).

[٢٦٥] (فاطر: ٨).

[٢٦٦](النساء:٧٦).

[٢٦٧] (النحل: ٩٨-٩٩).

[٢٦٨] (الأعراف: ٢١).

[٢٦٩] (الأعراف: ٢٠١).

[٢٧٠] (إبراهيم :٢٢).

وقد وصف سبحانه النفس في القرآن بثلاث صفات: المطمئنة، والأمارة بالسوء، واللوامة.

النفس المطمئنة: هي التي اطمأنت بذكر الله، واشتاقت إلى لقائه، وهي التي يقال لها عند الوفاة: " ارجِعِي إِلَى ربكِ راضِيةً مرضِيةً"[٢٧١] .

وتخرج حينها من الشك إلى اليقين، ومن الجهل إلى العلم، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرياء إلى الإخلاص.

النفس الأمارة بالسوء: هي التي تأمر صاحبها بما تهواه، وهذا من طبيعتها إلا إن وفقها الله وثبتها وأعانها، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله.

وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يستعيذ من شر النفس قائلاً: نعوذ بالله من شرور أنفسنا.

النفس اللوامة: وهي كثيرة اللوم لنفسها، وهي كثيرة التقلب، فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتسخط، وتغبط وتحسد.

قال الحسن البصري: "إنَّ المؤمن لا تَراه إلا يَلومُ نَفسهُ دائمًا، اللَّوم يومَ القيامة، فإن كُل أحد يَلومُ نفسه، فإن كان مسيئًا على إساءته، وإن كان محسنًا على تَقصيرِه".

قال: وما الفرق بين الغبطة والحسد؟

قلت له: الغبطة: أن تتمنى أن يكون لك مثل ما للغير من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره، ويجوز أن يسمى منافسة.

"...وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ" [٢٧٢].

قلت له مستطردة: أما الحسد فهو تمنى زوال النعمة من الغير، والحسد مرض نفسي يؤذى الحاسد وضرره على الحاسد أكبر من ضرره على المحسود، وقد أمرنا الله تعالى أن نتحصن ونستعيذ به من شر الحاسد.

"...وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ..."[٢٧٣].

قال: وما الفرق بين الشر الذي يأتي من الإنسان والشر الذي يأتي من الله.

قلت له: إن الشر لا يأتي من الله، إنَّ الشرور ليست أمورًا وجودية، فالوجود هو خير محض.

قال: وكيف ذلك؟

قلت له: إذا قام شخص مثلاً وضرب شخص آخر حتى أفقده القدرة على الحركة، فقد اكتسب صفة الظلم، والظلم شر.

لكن وجود القوة لدى من يأخذ عصا ويضرب بها شخص آخر ليس شرًا.

ووجود الإرادة التي أعطاها الله له ليس شرًا.

ووجود قدرته على تحريك يده ليس شرًا؟

ووجود صفة الضرب في العصا ليس شرًا؟

إنَّ كل هذه الأمور الوجودية هي خير، ولا تكتسب صفة الشر إلا إذا أدت إلى الضرر بإساءة استخدامها، وهو الشلل كما في المثال السابق، وبناءً على هذا المثال فوجود العقرب والأفعى ليس شرًا بعينه إلا إذا تعرض له الإنسان فلدغه، فالله تعالى لا يُنسب إليه الشر في أفعاله التي هي خير محض، بل في مفعولاته والتي نتجت عن الاستخدام الخاطئ لهذا الخير من قبل البشر.

---

[٢٧١] (الفجر:٢٨).

[٢٧٢] (المطففون:٢٦).

[٢٧٣] (فاطر:٤٣).

قال: ومن خُلق عاجزًا؟

قلت له: قال لي شخصٌ مقعد يومًا وقد كان في الخمسين من عمره: أنا أدرك الآن حكمة إصابتي الجسيمة والتي أقعدتني عن الحركة، فقد كنت أنوي قبل إصابتي أن أتجه إلى الإلحاد، وكنت بعيدًا جدًا عن الله، وأنوي بإصرار الهجرة لكي أتمكن من هذا، وقد منعتني إصابتي من تنفيذ رغبتي، وأنا وبعد ثلاثون عامًا من الإصابة لأحمد الله عليها، وأراها من أكبر النعم التي أنعم الله بها عليّ، والتي جعلتني أقرب إليه، وإني لعلى يقين أن نفسي من السوء ما تجعلني لا أعود إلى الله إلا بمثل هذا الابتلاء، فالله يعلم نفوس عباده حتى من قبل أن تُولد.

قلت للسائل مستطردة: بما أن الشر نسبي وليس مطلق، والحياة دار اختبار وليس جزاء، والجزاء على قدر العمل، فتكون الابتلاءات كمن يقطع المسافة الشاقة على أمل الوصول للمراد وللمحبوب.

قال: وما الدليل على البعث؟

قلت له: إن شواهد الوجود والظواهر تشير جميعها إلى أن هناك دومًا لإعادة البناء والخلق في الحياة من حولنا. والأمثلة كثيرة، كإحياء الأرض بعد موتها بالمطر وغيرها.

" يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ"[٢٧٤].

وأيضًا الدليل الآخر على البعث هو النظام المحكم للكون الذي ليس فيه خلل، حتى الالكترون متناهي الصغر لا يستطيع أن يتنقل من فلك الى فلك آخر في الذرة إلا إذا أعطى أو أخذ مقدارًا من الطاقة يساوي حركته، فكيف تتصور في هذا النظام أن يهرب القاتل أو يفر الظالم بدون حساب أو عقاب من رب العالمين.

"أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ " [٢٧٥].

" أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ "[٢٧٦].

قلت له أيضًا: ألا تلاحظ أننا في هذه الحياة نفقد كثيرًا من أقاربنا ومن أصدقائنا ونعلم أننا سوف نموت مثلهم يومًا ما، لكننا نشعر في قرارة أنفسنا أننا سوف نعيش الى الأبد. لو كان جسم الإنسان مادي ضمن إطار حياة مادية ضمن القوانين المادية، لما كان هناك معنى لهذا الشعور الفطري بالحرية، الروح تعلو على الزمن وتتخطى الموت.

قال: وكيف يحييهم؟

قلت له: كما خلقهم أول مرة.

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"[٢٧٧].

" أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ "[٢٧٨].

---

[٢٧٤] (الروم: ١٩).

[٢٧٥] (المؤمنون: ١١٥-١١٦).

[٢٧٦] (الجاثية: ٢١-٢٢).

[٢٧٧] (الحج: ٥).

[٢٧٨] (يس: ٧٧-٧٩).

"فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[٢٧٩].

قال: وكيف يحاسبهم في نفس الوقت؟

قلت له: كما يرزقهم في نفس الوقت.

ويُجادل الذين كفروا بالباطل:

في حوار لي مع مجموعة كبيرة من فرنسيات يعملن في منظمة دولية، كنت قد واجهت صعوبة في التعامل مع ذوات الأصول العربية المسلمة منهن، ومع التجاوب الكبير من الفرنسيات غير المسلمات، وجدت العجب من المسلمات.

فكانت قد قاطعتني إحداهن وأنا أجيب على سؤال فرضية الحجاب في القرآن من سيدة غير مسلمة في المجموعة، وقالت بعصبية: الحجاب ليس فرض في الإسلام.

قلت لها: وهل تصلي الصلوات في أوقاتها.

قالت: لا، أنا لا أصلي.

قلت لها: إذًا معك حق، فالصلاة بالنسبة لك وفي حالتك أولى، ومتى بدأت الصلاة فتعالي وناقشيني في موضوع فرضية الحجاب، فشَعَرت بإحراج شديد.

قالت أخرى: ولكن المرأة تولد مكشوفة الرأس، فالأصل أن تكشف عن رأسها.

قلت لها: إذًا فهي يجب أن تخرج عارية الجسد تمامًا بناءً على ذلك، فهي تولد بلا ملابس.

قالت: غطاء الرأس تخلف ورجوع إلى الوراء.

قلت لها: وهل يوجد وراء أبعد من زمن آدم؟ كشف الرأس هو الرجوع إلى الوراء بعينه، عودي إلى صور جدتك وهي في طريقها إلى المدرسة، وانظري ماذا كانت ترتدي؟ عندما ظهر مايوه السباحة لأول مرة، خرجت مظاهرات في أوروبا وأستراليا ضده لأنه مخالف للفطرة والعرف وليس لأسباب دينية، وعكفت شركات التصنيع على عمل إعلانات مكثفة باستخدام بنات في عمر الخمس سنوات لأن تظهر فيه في البداية لتشجع النساء على ارتدائه، وقد ظهرت أول طفلة تمشي به بخجل شديد، ولم تستطع الاستمرار في العرض. وقد كان النساء والرجال آنذاك يعومون بملابس سباحة تغطي كامل الجسد باللونين الأبيض والأسود.

قالت: وكيف عرفتِ ذلك؟

قلت له: قد درستها في دراستي الجامعية، حيث أنني عندما قررت ارتداء الحجاب في السنة النهائية للثانوية العامة على رغبة شديدة مني لأن اقتدي بالنساء المؤمنات على مر التاريخ واللاتي أخذن من الحجاب رمزًا لصلاحهن، مثل السيدة مريم أم المسيح وزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، في ذلك الوقت أدركت أنه لا مجال لأن أجد في الأسواق ما هو جميل وأنيق للمحجبات، فقررت دراسة تصميم الأزياء من أجل هذا الغرض.

قلت لهن معقبة: ما الفرق بين حجاب الراهبة الكاثوليكية وحجاب المسلمة؟ إن نظرتن إليها من الخلف فلن تستطعن التفريق بينهما، حتى ترينهن من الأمام فتفرقون عن طريق ملاحظة وجود الصليب على صدر إحداهما من عدمه، وهذا هو الفرق الأساسي بين عقيدة المسلم والنصراني.

قالت إحداهن: لكن الراهبة متدينة، وهبت نفسها لله ولا تتزوج.

---

[٢٧٩] (الروم:٥٠).

قلت لها: إذًا برأيك علينا أن نختار بين الزواج والتدين؟ أليس هذا ظلم في حق النفس وإجحاف عظيم لها، بأن نجعل النفس في صراع بين التوفيق بين الاحتياجات المادية والروحية، هذا قتل بطيء للنفس وعذاب أبدي في الدنيا والآخرة.

قالت: ولكن الحجاب ليس من الأمور الطبيعية لدينا.

قلت لها: سوف أروي لك قصة رمزية لحاكم قرية من القرى، عندما أصيب بمرض خطير، وقد قُطِع على أثره أنفه بناءً على طلب من طبيبه الخاص، وفي اليوم التالي لقطع أنفه، دخل الوزير على الملك فضحك اندهاشًا من منظر الملك، فغضب الملك، وأمر الطبيب أن يقطع أنف الوزير، وفي اليوم الثالث، ضحك الوزراء المساعدين مندهشين من منظر الوزير، فغضب الوزير، وأخبر الملك بالذي حدث فأمر الملك أن يقوم الطبيب بقطع أنوف الوزراء. وفي اليوم الرابع خرج الحاكم مع الوزير والوزراء المساعدين لحل بعض مشاكل الشعب، فضحك الشعب عليهم، وأمر الملك حينها أن يقوم الطبيب أيضًا بقطع أنوف جميع الشعب وأنوف من يولد من الأطفال، وأصبح سكان القرية كاملة بلا أنوف، وعندما جاء لاحقًا شخص طبيعي بأنف سليم من قرية أخرى لزيارة قريتهم، أشار الجميع إليه بالبنان وقالوا: هذا له أنف إنه ليس إنسانًا طبيعيًا.

وقد ضحكت المجموعة من القصة، وقالوا: نعم القصة فيها الكثير من الحقيقة.

سألت أخرى: لماذا لا يغطي الرجل لحيته كما تغطي المرأة شعرها؟ ولماذا اللباس الواجب ارتداؤه في الإسلام للرجل يختلف عنه عند المرأة، لماذا لا يغطون أجسادهم بنفس الطريقة؟

كان قد أضحكني سؤالها وقلت لها: عجيب! فلماذا ملابسك السباحة قطعتين إذًا، وملابس زوجك السباحة قطعة واحدة؟ وحينها ضحكت المجموعة.

قلت لها أيضًا: المرأة تغطي شعرها لدرء الفتنة، هل سمعت عن قصة اغتصاب امرأة لرجل في حياتك قط؟ تخرج النساء في بلدانكم في مظاهرات مطالبة بحقوقها في الحياة الآمنة بدون تحرش ولا اغتصاب، ولم نسمع عن مظاهرات مشابهة قام بها الرجال.

فقالت إحداهن مستهزئة: ولماذا لا يمكن أن تكون امرأة نبيًا مُرسلا؟

قلت لها: أو ترغبين أن تكوني نبيًا مرسلا؟

قالت: ولم لا؟

قلت لها: ما دام إيمانك بهذه القوة، وعندك من قوة التحمل والجلد والعزيمة، إذًا ادعي الله أن يجعلك نبيًا مرسلاً، فضحكت المجموعة.

قالت إحداهن: وما الفرق بين المنقبة والمحجبة؟

قلت لها بناءً على علمي المسبق بتعلقهم الشديد بالسيدة مريم: المحجبة اقتديت بالنساء المؤمنات على مر التاريخ واللاتي أخذن من الحجاب رمزًا لصلاحهن كالسيدة مريم أم المسيح وغيرها، والمنقبة اقتدت بنساء الرسول عليه الصلاة والسلام.

فقالت: ولماذا يتزوج الرجل من أربعة نساء؟

قلت لها: وفي فرنسا، كم امرأة يتزوج الرجل؟

قالت: واحدة فقط.

قلت لها: ويتخذ كم من العشيقات.

قالت المجموعة بصوت واحد: كثيرًا جدًا، وضحكن.

قلت لهن: هذا الوضع الذي تضحكون منه هو الوضع الذي كان سائدًا قبل الإسلام، وجاء الإسلام ليصححه، ويحفظ للمرأة حقوقها وكرامتها ويحولها من عشيقة إلى زوجة لها كرامة وحقوق.

قالت: ومن تقبل أن تكون زوجة ثانية؟ كيف تقبل المرأة الفرنسية أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة؟

قلت لها: من تقبل أن تكون عشيقة بلا حقوق، الأولى أن تقبل أن تكون زوجة بحقوق لها ولأولادها.

فالعشيقة تعيش حياة مذلة بلا حقوق لها ولأطفالها، ومن العجيب أن تتقبلون فكرة العلاقات بدون زواج ومسؤولية، وأطفال بلا آباء أو المثلية، إلخ، في حين أنكم ترفضون زواج قانوني بين رجل وأكثر من امرأة.

قالت: ولماذا لا يحق للمرأة الزواج من أربعة رجال في وقت واحد كما يحق للرجل الزواج من أربع نساء؟

قلت لها: المرأة بإمكانها الزواج من رجل أعزب أو غير أعزب طالما أن لديه أقل من أربع زوجات، وهذا حق لها، في حين أن هذا الحق لا يتوفر للرجل، حيث أنه لا يحق له الزواج إلا من غير متزوجة فقط، وذلك لحفظ حقوق الأولاد من نسب وميراث.

قالت: ممكن أن يُحفظ حق الأولاد عن طريق فحص الحمض النووي.

قلت لها: وهل إذا خرجتِ إلى الدنيا، ووجدت أمك تُعرفك على أبيك عن طريق هذا الفحص، ما كانت سوف تكون حالتك النفسية؟ ثم كيف تستطيع أن تقوم المرأة بدور زوجة لأربعة رجال بهذا المزاج المتقلب الذي لديها؟ إضافة للأمراض التي تسببها علاقتها مع أكثر من رجل في الوقت نفسه.

قالت أخرى: ولماذا الرجال قوامون على النساء في الإسلام؟

قلت لها: هذا تشريف للمرأة وتكليف للرجل، أن يقوم على رعاية شؤونها وقضاء حوائجها، المرأة المسلمة تلعب دور الملكة التي تتمناه كل امرأة على وجه الأرض.

قالت: لكنها في الواقع ليست ملكة.

قلت لها: الذكية هي التي تختار ما يجب أن تكون، إما ملكة مكرمة، أو كادحة على قارعة الطريق.

قالت: انظري كيف استغل الرجال هذه القوامة.

قلت لها: هذا لا يعيب بنظام القوامة بل يعيب بمن أساء استخدامها.

قالت: انظري إلى الرجال في بعض الدول العربية، كيف يقمع زوجته في البيت، ويذهب إلى النوادي الليلية ليشرب الخمر ويلهو مع النساء.

قلت لها: كم عددهم؟ ألف، ألفين، ثلاثة؟ أتدرين ما تعداد المسلمين في أي دولة من هذه الدول؟

قالت: ولماذا أباح لهم القرآن ضرب المرأة؟

قلت لها: ومن قال هذا؟ محمد عليه الصلاة والسلام لم يضرب امرأة قط في حياته، أما الآية القرآنية التي تكلمت عن الضرب، فيقصد بها الضرب غير المبرح في حالة النشوز، كأن تهزي كتف ابنك عندما توقظيه من النوم العميق كي لا يفوته وقت الاختبار.

قلت لها مستطردة: تخيلي أنك وجدت ابنتك تقف على طرف النافذة لترمي بنفسها، سوف تتحرك يديك إليها لا إراديًا وتمسكي بها وتدفعيها للخلف لكيلا تؤذي نفسها، هذا المقصود هنا من ضرب المرأة، أن يحاول منعها من تدمير بيتها وتدمير مستقبل أولادها، وطبعًا هذا بعد عدة مراحل كما ذكرت الآية.

" وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا " [٢٨٠].

" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "[٢٨١].

قالت: ولماذا لا تضرب المرأة زوجها إن أساء التصرف؟

قلت لها: إن استطاعت أن تأخذ حقها بيدها فلتفعل ولكن ذلك قد يتسبب في مضرة أخرى، لكن نظرًا لضعف المرأة على العموم أعطاها الإسلام الحق في اللجوء إلى القضاء.

والأصل في العلاقة الزوجية في الإسلام أن تُبنى على المودة والسكينة والرحمة.

قالت: أنا بنتي من ممارسي المثلية الجنسية ولا أستطيع أن أتدخل في قرارها.

قلت لها: ولو ألقت بنفسها في النار، هل كنت ستتدخلين أم لا؟

قالت: هذا الفرق بيني وبينك، فأنت تجدين هذا التصرف خطير وأنا أجده طبيعي، ألم تسمعي بالنسبية؟ فكما يوجد نظريات متنوعة لأصل الإنسان، ونظريات لمفهوم الإله، كذلك فإن الأخلاق نسبية ولا يوجد قيم أخلاقية موضوعية، فنحن في فرنسا لا نجد إشكال في إقامة بناتنا علاقات مع زملائهن في المدرسة خارج نطاق الزواج مثلاً، وأنا عن نفسي أُعطي ابنتي تكاليف إقامتها مع صديقها في فندق مجاور لتفادي لقائهم في غابة مجاورة مثلاً وتعرضهم لقطاع الطرق.

قلت لها: وجود نظريات وقناعات متنوعة عند البشر، لا يعني بعدم وجود حقيقة واحدة صحيحة، فمهما تعددت مفاهيمكن ونظرياتكن أنتن كمجموعة عن وسيلة المواصلات التي أستخدمها أنا للوصول إلى هنا يوميًا، لا ينفي حقيقة أنني أملك سيارة سوداء اللون، ولو اعتقد العالم بأسره أن سيارتي حمراء، فهذا الاعتقاد لا يجعلها حمراء، فهناك حقيقة واحدة وهي أنها سيارة سوداء.

فمن غير المنطقي أن تُقرِّر قناعة بشر محكوم بهواه إن كانت عملية الاغتصاب شرًّا على سبيل المثال، بل من الواضح أنَّ في الاغتصاب ذاته هنالك تعدِّي على حقوق الإنسان، انتهاك لقيمته وحريته، وهذا ما يدل على أنَّ الاغتصاب شر، وكذلك المثلية الجنسية والتي هي خرق للسنن الكونية، وعلاقات خارج نطاق الزواج. فلا يصح إلا الصحيح ولو اجتمع العالم بأسره على بطلانه، والخطأ واضح كوضوح الشمس ولو أقر بصحته جميع البشر.

وتعدد نظريات أصل الوجود، لا ينفي وجود حقيقة واحدة وهي الإله الخالق الواحد الأحد الذي ليس له صورة ولا ولد، فلو أراد العالم بأسره تبني أن الخالق يتجسد في صورة حيوان مثلاً أو إنسان، فهذا لا يجعله كذلك، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا.

وبالتالي فإن ممارسة ابنتك للمثلية الجنسية هو تصرف خاطئ ومشين، حتى لو اجتمع العالم على صحته، وأن الحقيقة الوحيدة والصحيحة أن الأخلاق غير نسبية ولا تتغير مع الزمان أو المكان.

قالت إحداهن: لكن يجب أن نحترم آراء الآخرين ونظرياتهم.

قلت لها: نحترم إرادة الاختيار التي وهبها الله للجميع، ولكن لا نحترم التصرف المشين نفسه.

قالت أخرى: ولماذا حرم الإسلام التبني؟

قلت لها: وهل سمعت عن قصة الفتاة الأسترالية التي عرفت بالصدفة بعد ثلاثين عامًا أنها ابنة بالتبني، وانتحرت. لو كانوا أخبروها منذ الصغر لرحموها، وأعطوها الفرصة لأن تبحث عن أهلها.

---

[٢٨٠] (النساء:٣٤).

[٢٨١] (الروم :٢١).

الإسلام يحث على كفالة اليتيم، ويحث كافل اليتيم على أن يعامل اليتيم كمعاملته لأبنائه، لكن يُبقي الحق لليتيم لكي يتعرف على أسرته الحقيقية، لحفظ حقه في ميراث أبيه، ولتجنب اختلاط الأنساب.

قالت مسلمة أخرى: ولماذا الوحشية في عقوبة الزنا، انظري إلى الرقي الفرنسي.

قلت لها: وبسبب الرقي الفرنسي، كم من الملايين لا يعرفون من أين جاءوا؟ هل هذا رقي أم تخلف؟

قالت: ولماذا ترث المرأة نصف ما يرث الرجل؟

قلت لها: قالت لي صديقة مسلمة يومًا، إنها كانت تعاني من عدم فهم هذه النقطة حتى وفاة والد زوجها، وورث زوجها ضعف المبلغ الذي ورثته أخته، وقام هو بشراء الأساسيات التي كان يفتقدها من منزل خاص لأسرته، وسيارة، وقامت أخته بشراء مجوهرات بالمبلغ الذي حصلت عليه وادخرت باقي المبلغ في البنك، حيث أن زوجها هو من عليه توفير المسكن وغيرها من الأساسيات، ففهمت صديقتي في هذه اللحظة الحكمة من وراء هذا الحكم، وحمدت الله.

قلت للسائلة مستطردة: وقبل الإسلام كانت المرأة محرومة من الميراث، وحين جاء الإسلام شملها في الميراث بل وإنها تحصل على حصص أكثر من الذكور في بعض الحالات، في حين أن الذكور يحصلون على نسب أعلى حسب درجة القرابة والنسب.

قالت: لكن في كثير من المجتمعات تعمل المرأة وتكد لرعاية أسرتها، فحكم الميراث هنا فاسد.

قلت لها: هل الخلل في هاتفك والذي تسببتِ أنت به بعدم اتباعكِ لتعليمات التشغيل، دليل على فساد تعليمات التشغيل؟

وجادلوا بالباطل ليُدحضوا به الحق:

وكانت قد استطردت الفرنسية بأسئلتها قائلة: إن الإسلام قد انتقص من أهلية المرأة، بجعل شهادتها النصف من شهادة الرجل.

قلت لها: إن شهادة الرجل لم تقبل قط وحده حتى في أتفه القضايا المالية، ولم يعترض الرجل المسلم ويعتبر ذلك مساسًا لكرامته، غير أن المرأة قد امتازت على الرجل في سماع شهادتها وحدها دون الرجل، فيما هو أخطر من الشهادة على الأمور الصغيرة، وذلك في الشهادة على الولادة وما يلحقها من نسب وإرث.

"وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى" [٢٨٢].

أما "الإشهاد" في دَين خاص، التي تتكلم عنه الآية هنا، فهو نصيحة وإرشاد لصاحب الدَّين ذي المواصفات والملابسات الخاصة وليست تشريعًا موجهًا إلى القاضي الحاكم في المنازعات، بناءً على عدم اشتغال النساء بأسواق المبايعات في ذلك الوقت، وهذا يختلف عن "الشهادة".

فالشهادة التي يعتمد عليها القضاء في اكتشاف العدل المؤسس على البينة، لا تتخذ من الذكورة أو الأنوثة معيارًا لصدقها أو كذبها، ومن ثم قبولها أو رفضها؛ وإنما معيارها تحقق اطمئنان القاضي لصدق الشهادة بصرف النظر عن جنس الشاهد، ذكرًا كان أو أنثى، وبصرف النظر عن عدد الشهود. وعلى أية حال يجب أن نعلم أن الشهادة تكليف ومسؤولية، وعندما يخفف الله عن المرأة في الشهادة فهذا إكرام لها، وليس العكس.

قالت: ولماذا يحث الإسلام على الرِّق؟

قلت لها: لا توجد في القرآن الكريم ولا آية واحدة تحث على الرِّق، وقد كانت العبودية قبل الإسلام نظامًا قائمًا معمولاً به بين الشعوب، وكانت بلا قيود، وكانت مكافحة الإسلام للعبودية تهدف إلى تغيير نظرة وعقلية المجتمع بأسره، بحيث يصبح العبيد بعد تحريرهم كأعضاء

---

[٢٨٢] (البقرة: ٢٨٢).

كاملين فاعلين في المجتمع، دون الحاجة إلى اللجوء للمظاهرات أو الإضرابات أو العصيان المدني أو حتى الثورات العرقية. لقد كان هدف الإسلام التخلص من هذا النظام الممقوت بأسرع ما يمكن وبوسائل سلمية.

قالت: وكيف ذلك؟

قلت لها: الإسلام لم يسمح للحاكم بمعاملة رعيته معاملة استرقاق، كما منح الإسلام كل من الحاكم والمحكوم حقوق وواجبات ضمن حدود الحرية والعدالة المكفولة للجميع، فيتم تحرير العبيد تدريجيًا من خلال الكفارات وفتح باب الصدقات والمسارعة في الخير من خلال عتق الرقاب للتقرب لرب العالمين.

والمرأة التي تلد لسيدها لم تكن تُباع وكانت تحصل على حريتها تلقائيا عند موت سيدها، وبخلاف جميع التقاليد السابقة فإن الإسلام شرَّع أن يلحق ابن المرأة العبدة بأبيه فيكون حرًا. كما شرَّع أن يشتري العبد نفسه من سيده من خلال دفع مبلغ من المال أو العمل لفترة محددة.

"..... وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا.. "[٢٨٣].

وفي المعارك التي أُجبر المسلمون على خوضها، دفاعًا عن الدين، النفس والمال، كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بمعاملة الأسرى بالحسنى. وكان بإمكان الأسرى الحصول على حريتهم من خلال دفع مبلغ من المال أو تعليم الأطفال على القراءة والكتابة. كما أن نظام الأسر في الإسلام لم يحرم طفل من أمه أو أخ من أخيه.

وأمر الإسلام المسلمين بإظهار الرحمة لهؤلاء المقاتلين الذين يستسلمون.

"وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ"[٢٨٤].

كما نص الإسلام على إمكانية مساعدة العبيد على تحرير أنفسهم من خلال الدفع من أموال المسلمين أو خزينة الدولة، حيث قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فدية لتحرير العبيد من أموال الخزينة العامة.

قالت: أليست شعائر الحج وثنية من تعظيم للكعبة وغيرها من الشعائر؟

قلت لها: هل يُفهم من احترام المواطنين في أي بلد من البلدان لأي نُصب تذكاري بنشر صوره ووضع علامته في الأوراق الرسمية ونحو ذلك بأن هذا عبادة للنُّصب التذكاري؟ فرق كبير بين الديانات الوثنية، وبين تعظيم أماكن ومشاعر معينة، سواء دينية أم وطنية وقومية.

قالت: ولماذا يُقبِّل المسلمون الحجر الأسود؟

قلت لها: وهل تعيبي على شخص تقبيل مظروف فيه رسالة من والده مثلاً.

قالت: ورمي الجمرات؟

أما رمي الجمرات فهو لإظهار مخالفتنا للشيطان وعدم اتباعه، وهو اقتداء بفعل سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما ظهر له الشيطان ليمنعه من تنفيذ أمر ربه وذبح ابنه فقام برميه بالحجارة[٢٨٥]. وكذلك السعي بين الصفا والمروة فهو اقتداء بعمل السيدة هاجر عندما سعت للبحث عن ماء لابنها إسماعيل. فكل مناسك الحج هي لإقامة ذكر الله وللدلالة على الطاعة والانقياد لرب العالمين ولا يُقصد منها عبادة حجارة أو مكان أو أشخاص. في حين أن الإسلام يدعو إلى إله واحد هو رب السماوات والأرض وما بينهما، وخالق كل شيء ومليكه.

---

[٢٨٣] (النور: ٣٣).

[٢٨٤] (التوبة: ٦).

[٢٨٥] الإمام الحاكم في المستدرك والإمام ابن خزيمة في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه.

"إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" [٢٨٦].

قالت: أنا بالنسبة لي هذه الشعائر مخيفة، فكم من مسلم مات بسبب التزاحم الشديد.

قلت لها: قد يموت في هذا الحدث السنوي العشرات بسبب التزاحم، لكن من يموت بسبب شرب الكحول بالملايين سنويًا، وضحايا تجمعات ملاعب كرة القدم والكرنفالات في أمريكا الجنوبية وأكثر من ذلك، وعلى أية حال فالموت حق، ولقاء الله حق، والموت على طاعة خير من الموت على معصية.

مالكوم إكس يقول:

" ولأول مرة بعد تسعة وعشرين عامًا قضيتها على هذه الأرض وقفت أمام خالق كل شيء وشعرت أني إنسان كامل، ولم أشهد في حياتي أصدق مِن هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس، أمريكا في حاجة إلى فهم الإسلام لأنه الدين الوحيد الذي يملك حل مشكلة العنصرية" [٢٨٧].

أيفلين كوبولد تقول:

"والإسلام كلمة تعني التسليم لله، وهي تعني السلامَ أيضًا، ويُعرف المسلم بأنه الرجل الذي يسير في حياته وفقًا لإرادة خالقِه، وأوامر ربه، والذي يعيش بسلام مع الله وعباده، ولعل أجمل ما في الإسلام هو الوحدانية الإلهية، وخلوه من التقاليد والبِدع، والتصاقه الكامل بما في الحياة من أمور عملية. والإيمان في القرآن إنما يقوم على العمل الصالِح، وليس هناك في الإسلام إيمان دون ما عمل صالح أبدًا، وهذا ما يجده المرء مردَدًا في القرآن أكثر من مرة في مختلف سوره، وشتَّى آياته. ولقد فرض الإسلام الحج على المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فالمريض معذور، والفقير كذلك، والمستعبد أيضًا، ويُشترط في الحج أن تكون الطريق إليه خالية من المخاطر، لا ينتظم فيها مرض ولا ظُلامة، أما الحج نفسه فلا يوجد من يُنكر كبير شأنه، وما يغمر النفس فيه من انطلاق إلى المثل الروحية العليا، وانفلات من أعراض الدنيا، والتوجه إلى الله بقلب سليم مع هذه الألوف المؤلَّفة من البشر على اختلاف أمصارهم، وتباعد لغاتهم، وتعدد مشاربهم وأذواقهم، يأتون من أقصى الأرض، ويتحملون في طريقهم من المشقات، واضطراب السُّبل، وبعد المسافات ما ليس بالإمكان تقديره ولا تصوُّره، وكل ذلك ليقفوا في صعيد واحد أمام الله – جلَّ شأنه – يتقدمون إليه بقلوب صافية، وأفئدة متشوقة، ودموع جارية" [٢٨٨].

---

[٢٨٦] (الأنعام:٨٠).

[٢٨٧] داعية إسلامي ومدافع عن حقوق الإنسان أمريكي من أصل إفريقي (إفريقي أمريكي)، صحَّح مسيرة الحركة الإسلامية في أمريكا بعد أن انحرفت بقوّة عن العقيدة الإسلامية، ودعا للعقيدة الصحيحة.

٢٨٨ الليدي افلين زينب كوبولد، كتبت كتاب" الحج إلى مكة" (لندن، ١٩٣٤)، مستشرقة أسكتلندية ولدت في ادنبره في أسرة ارستقراطية، اعتنقت الإسلام وأدت فريضة الحج سنة ١٩٣٣.

إنَّ الدين عند الله الإسلام

كُنتم خير أُمة أُخرِجت للناس:

أذكر أن أثنت عليَّ مُدرسة اللغة الألمانية مرةً قائلة: من زرع فيك كل هذه الطاقة في حب العلم وبذل المجهود والمال والصحة في الدراسة والعمل ورعاية أولادك؟ قلت لها: من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك. قالت: عجيب! قمة في الحكمة، أنتم نوع فريد من البشر، فتذكرت حينها الآية الكريمة: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"[٢٨٩]، وحمدت الله كثيرًا.

قد جاءكم من اللَّه نور وكتاب مبين:

وفي حوار لي مع مجموعة من حملة شهادة الدكتوراه، كانوا قد جاءوا في زيارة لحضور مؤتمر دولي، وأثناء زيارتهم للمسجد، سألني أحدهم عن خطيئة آدم، واستهزأ قائلاً: فعلها آدم بسبب حواء وتحملناها نحن مدى الحياة.

قلت له: هذا في عقيدتكم، أما في الإسلام فقد غفر الله لآدم، وعلَّمنا كيف نعود إليه متى أخطأنا على مر الحياة، إنها ليست الخطيئة الأصلية، إنها العفو الأصلي.

" فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[٢٩٠] .

وبذلك فإن النساء لا تتحمل وزر خطيئة آدم، بل حرص الإسلام على رفع شأن المرآة. وقد لعبت المرأة دورًا كبيرًا في كثير من القصص التي ذُكرت في القرآن، مثل بلقيس ملكة سبأ وقصتها مع النبي سليمان والتي انتهت بإيمانها واسلامها لرب العالمين.

"إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ "[٢٩١].

قال: وهل يستطيع أي إنسان أن يصبح مسلمًا؟

قلت له: بالتأكيد.

قال: وكيف ذلك؟

قلت له: كل طفل يولد على فطرته الصحيحة عابدًا لله بفطرته، فهو دون تدخل الأهل أو المدرسة أو أي جهة دينية يعبد الله مباشرة، حتى سن البلوغ، فيصبح مكلفًا ومحاسبًا على أعماله، فحينها إما أن يأخذ المسيح وسيطًا بينه وبين الله ويصبح نصرانيًا، أو يتخذ بوذا وسيطًا ويصبح بوذيًا، أو كريشنا ويصبح هندوسيًا، أو يتخذ محمدًا وسيطًا ليحيد عن الإسلام تمامًا، أو أن يبقى على دين الفطرة عابدًا لله وحده، وحينها صفقت المجموعة.

---

[٢٨٩] (آل عمران: ١١٠).

[٢٩٠] (البقرة: ٣٧).

[٢٩١] (النمل: ٢٣).

قال: لماذا لا يُسمح لغير المسلم دخول مكة؟

قلت له: حتى المسلم الذي يتخذ من محمد عليه الصلاة والسلام وسيطًا بينه وبين الله غير مُرحب به في مكة، ويُطلب منه التوقف عن التوسل بالرسول الكريم أو مغادرة المكان.

قال: ألا تجدون ذلك ضد التسامح؟

قلت له: وهل تستطيع شراء الخضار من البنك في بلدك؟

قال: لا.

قلت له: لماذا؟

قال: لأن البنك فقط للمعاملات المالية في حين أن شراء الخضار يكون من المتجر.

قلت له: إذًا حارس البنك لا يكون غير متسامح عندما يقول لك: هذا المكان للمعاملات المالية، اذهب إلى المتجر لشراء الخضار.

قلت له مستطردة: مكة المكرمة عبارة عن مكان خُصص لعبادة الله وحده بدون وسيط، وهو للعبادة فقط وليس للسياحة، وليس من المنطقي أن يأتي البوذي إلى هذا المكان ويلجأ إلى بوذا بالطلب، ويأتي النصراني ليلجأ إلى المسيح بالطلب، أو حتى المسلم يأتي ليلجأ إلى النبي محمد بالطلب، من أراد أن يعبد غير الله، فلا يأتِ إلى بيت الله.

قال أحدهم: لماذا يُرسل الله إلى الناس رسلاً بشرًا مثلهم؟ لماذا لا يُرسل إليهم ملائكة؟

قلت له: إن الذي يناسب البشر هو بشر مثلهم يكلمهم بلغتهم ويكون قدوة لهم، ولو أرسل إليهم ملَكًا رسولاً وفعل ما استصعب عليهم، لاحتجوا بأنه مَلَك يستطيع ما لا يستطيعون.

"قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا "[٢٩٢] .

"وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ"[٢٩٣].

قال: أنا أؤمن بالله ولا أؤمن برسالة محمد ولا بعيسى، ولا أؤمن أن الله يرسل رسلاً.

أدركت من تعليقه أنه من الديانة اليهودية، وقلت له: إنك لو عرفت الله تعالى حق المعرفة، لعلمت أنه لا يمكن أن يخلق الناس ثم لا يمدهم بما تحتاج إليه أرواحهم من هداية، كما تفضل عليهم بكل ما تحتاجه أجسامهم من طعام وشراب وأرض وهواء وشمس وقمر، بل يتركهم يقعون في التباس وحيرة وقلق، ثم إذا كنت لا تؤمن بأن الله يرسل رسلاً، فكيف تؤمن بموسى؟ من الذي أرسل إليه الكتاب الذي جاء به؟

"وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ "[٢٩٤].

قال: وما الدليل على نبوة محمد؟

قلت له: الدليل على صدق نبوته تجدها في سيرته، فقد عُرف رجلاً صادقًا أمينًا، وقد كان أُميًا لا يقرأ ولا يكتب.

"وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ"[٢٩٥].

---

[٢٩٢] (الإسراء:٩٣).

[٢٩٣] (الأنعام: ٩).

[٢٩٤] (الأنعام: ٩١).

[٢٩٥] (العنكبوت: ٤٨).

وكان الرسول أول من يطبق ما يدعو إليه، ويصدق أقواله بالأفعال، وأنه لم يكن يطلب أجرًا دنيويًا على ما يدعو إليه، فعاش فقيرًا كريمًا رحيمًا متواضعًا، وكان أكثرهم تضحية وأزهدهم فيما عند الناس.

"أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ "[٢٩٦].

وقدَّم أدلة على صدق نبوته بما أتاه الله من آيات القرآن الكريم الذي جاء بلغتهم وكان من البلاغة والفصاحة ما يجعله يعلو على كلام البشر.

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا "[٢٩٧].

" أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ "[٢٩٨].

"فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"[٢٩٩].

قال: ما الفرق بين النبي والرسول؟

قلت له: النبي من أُوحي إليه ولم يأتِ برسالة أو منهج جديد، وأما الرسول فيبعثه الله بمنهج وشريعة تناسب قومه، (التوراة، الإنجيل، القرآن، صحف إبراهيم، الزبور).

قال: هل الإمام في الإسلام مثل القسيس في النصرانية؟

قلت له: كلمة إمام تعني من تقدم قومه بالصلاة أو برعاية شؤونهم وقيادتهم، وهي ليست رتبة دينية محصورة في أشخاص معينين، ولا يوجد طبقية في الإسلام، والناس كلهم سواسية كأسنان المشط، والأولى بإمامة الصلاة هو الأكثر حفظًا والعارف بما يلزم معرفته من الأحكام المتعلقة بالصلاة، ومهما حصل الإمام على احترام من المسلمين فإنه في كل الحالات لا يسمع لاعتراف ولا يغفر الذنوب كما هو الحال عند القسيس.

قال: ما الفرق بين الفكر الإسلامي والفلسفة؟

قلت له: الفكر الإسلامي هو مجموعة العلوم والمعارف القائمة على أسس وضوابط إسلامية، وإذا كان مخالفًا لهذه الضوابط فهو فكر غير إسلامي.

والفلسفة في الأصل هي البحث عن الحكمة، وعرفها سقراط بأنها البحث العقلي عن حقائق الأشياء المؤدية إلى الخير، وهي بهذا المعنى أمر حسن، ولكن واقع الفلسفة هو الخوض في علم الكلام، وتحكيم العقل في العقائد ومنها الإلهيات والنبوات والغيبيات وغيرها دون التصديق بالوحي، وهذا يناقض بديهيات العقيدة.

قال: ما الفرق بين النبي والفيلسوف؟

قلت له: إن معرفة الحقائق القصوى مصدرها الله، والفيلسوف يعتمد على عقله ومنطقه في استنباط الحقائق، وإدخال مفاهيم فلسفية فيها، ويتجاهل محدودية تفكيره كبشر. أما الرسول فتأتيه الحقائق من عند الله عن طريق الوحي. ولا مقارنة بين الرسول والفيلسوف، فعلى الفيلسوف أن يتبع الرسل وليس على الرسل أن تتبع الفيلسوف، فالرسول مبعوث والفيلسوف مبعوث إليه، والوحي حاكم والعقل محكوم عليه.

---

[٢٩٦] (الأنعام: ٩٠).

[٢٩٧] (النساء: ٨٢).

[٢٩٨] (هود: ١٣).

[٢٩٩] (القصص: ٥٠).

قال: وما هو الشرع الجديد؟

قلت له: هو: التشريع الذي يحوي شيئًا جديدًا، لم يكن في التشريع السابق.

"وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ "[٣٠٠].

قال: الكون هو المصدر الوحيد للمعرفة ولا مكان للوحي.

قلت له: بل كلاهما معًا، الكون والوحي، أي خَلْق الله ووحي الله.

فمصادر العلم عند المسلم هي الكون والوحي، ووسائله هي الحس والعقل، وأما المنهج فيختلف باختلاف نوع العلم ونوع المصدر.

"قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا "[٣٠١].

الآية تشير هنا إلى أن عبادة غير الله تتضمن الادعاء بأنهم آلهة، والإله لا بد أن يكون خالقًا.

قال: وما رأي الإسلام في نظرية المعرفة وعقلانية الاعتقاد؟

قلت له: إذا كنت تقصد بنظرية المعرفة بأنه القول المطابق للواقع، فهذا ما جاء به الإسلام.

كان بعض العرب يعتقدون أن الرجل الذكي له قلبان، وكان الواحد منهم إذا غضب من زوجته قال لها أنت كأمي، وكان الواحد منهم يتبنى ابن غيره وينسبه إلى نفسه كأنه ولده، كما يفعل الناس الآن في الغرب، فحَكم الله تعالى على كل هذه الدعاوى بأنها مجرد كلام لساني، وأنها مخالفة للحق.

"مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ "[٣٠٢].

" ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ"[٣٠٣].

وهذا هو الفرق بين الحق والباطل، فالحق يعكس العِلم الحقيقي المطابق للواقع، وأما الباطل فهو وهم.

القرآن الكريم يؤكد على إمكانية اكتساب العِلم بعد ولادة الإنسان.

"وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "[٣٠٤].

والحواس كالسمع والبصر مرتبطة كلها بالدماغ، هي مصدر المدخلات، ويقوم العقل بعملية تفكيك هذه المدخلات (عملية التعقل)، فتنتج الفكرة التي ترتبط بالشعور الذي يدفع الإنسان إلى سلوك مُعيَّن، والعقل هو الذي يحول المادة الآتية عن طريق الحواس إلى أشياء لها معنى بالنسبة للإنسان، ويعرض العقل على القلب الأفكار والخواطر والتي بضوئها تنفعل له عضلة القلب، ويقوم بدوره بالتصديق عليها. ويمكن تشبيه ذلك ببطارية موجودة في جوف الدماغ ومربوطة بسلك عصبي بمصباح موجود في عضلة القلب، فالمصباح يضيء من هذه البطارية التي في الدماغ، ولذلك نرى في القرآن الكريم قول الله تعالى:

"وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "[٣٠٥].

أي أن الضلال في عقل الإنسان يُطفأ نور القلب الذي في الصدر، وهو انعكاس ما في باطن الإنسان من أفكار ضالة.

وأكثر الحواس ارتباطًا بالعقل هو السمع.

---

[٣٠٠] (آل عمران:٥٠).
[٣٠١] (فاطر: ٤٠).
[٣٠٢] (الأحزاب: ٤).
[٣٠٣] (الحج:٦٢).
[٣٠٤] (النحل:٧٨).
[٣٠٥] (الحج:٤٦).

الإنسان يسمع:

- أصواتًا للأشياء الطبيعية كالرعد والريح والطيور.
- الكلام، وهو أصوات تدل على معاني، ويستعمل القرآن الكريم السمع غالبًا بهذا المعنى.

أما الذي لا يعقل الكلام ولا يستفيد منه، فإن القرآن يشبهه بالدابة التي لا تسمع من الكلام إلا الأصوات.

"أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا"[٣٠٦].

"وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ"[٣٠٧].

وأما الكلام فمنه ما هو حق ومنه ما هو باطل، ولا سبيل إلى معرفة ذلك بالحس وحده، فلابد أن ينضم إليه العقل فيقرر أولاً ما إذا كان الكلام متناقضًا أم متسقًا، فإذا وجده متناقضًا حكم ببطلانه.

ومع أن الإنسان يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا، لكن عقله يأتي مفطورًا على التوحيد.

فنقرأ في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

"كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[٣٠٨].

نفهم هنا أن:

- الإنسان يولد وفي عقله بذرة التوحيد، أي الإقرار بأنه لا إله يستحق أن يُعبد إلا الإله الخالق الواحد.
- الإنسان يولد بفطرة لا يناسبها إلا الحقائق والأحكام التي جاء بها الإسلام كمعتقد وسلوك.

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ .."[٣٠٩].

ولذلك فإنه لا يشعر بالطمأنينة والراحة النفسية إلا إذا كان مسلمًا عابدًا لله.

"الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ "[٣١٠] .

قال: هل الحقيقة نقيضًا للجمال والفن والثقافة في الإسلام؟

"الحقيقة" في الإسلام صيغت لتتوافق والذوق الجمالي المرهف، وتخاطب فطرة الإنسان، وتشير إلى ما تتحقق به سعادته في الدنيا والآخرة:

"قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ "[٣١١].

إن النص القرآني الكريم يقرن الظواهر الجمالية كلها بضرورة شكر خالقها، كما أن نصوص الحديث الشريف بينت أن المسلم مطالب بإظهار نعم الله عليه بالزينة الظاهرة والباطنة، واعتبرت ذلك من شكر الله ومحبته.

رسول صلى الله عليه وسلم قال:

"إن الله جميلٌ يُحبُّ الجَمال"[٣١٢].

والجمال هنا يأخذ مشروعيته من تعاليم الإسلام التي تحض المسلم على أخذ الزينة في كل تفاصيل حياته اليومية، بدايةً من التطهر للصلاة والاهتمام بجمال المظهر والملبس والمسكن والمركب، مرورًا بجماليات التواصل والتخاطب، والتوجيهات المرتبطة بالمبالغة في التزين في العلاقات الزوجية، وهي علاقة يحيطها الإسلام بهالة من التوصيات الجمالية التي لا تغفل تفاصيل الكلمة الجميلة، والنظرة الحانية، وانتهاء

---

[٣٠٦] (الفرقان :٤٤).

[٣٠٧] (البقرة: ١٧١).

[٣٠٨] (صحيح مسلم).

[٣٠٩] (الروم: ٣٠).

[٣١٠] (الرعد:٢٨).

[٣١١] (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

[٣١٢] (صحيح مسلم).

بالآداب المختلفة لقضاء الحاجة والسواك والتطيب وانتقاء الجميل من الثياب، وهي تربية جمالية موجهة وقاصدة، تهدف إلى تشكيل السلوك الجمالي للمسلم، ويتجلى في إبداعه اليومي، ركوعًا وسجودًا، دعاءً وابتهالاً، صيامًا وتهجدًا، كتابةً وتأليفًا، رسماً ونقشًا، بناءً ومعمارًا.

في الواقع مشكلة تناقض الدين مع الجمال هذه مشكلة غربية وليست إسلامية، فإنَّ تزعزع القيم الدينية في الغرب، والموقف السيء الذي وقفه المفكرون والأدباء والفنانون عامة من التصورات الكنسية وتاريخها، قد ساعد على محاولة إقصائها عن الحياة والفكر والفن بصفة عامة، كما حدث بينها وبين السياسة والعلم.

إن العالم اليوم في أمسّ الحاجة إلى إنتاجات جمالية تُرجع الإنسان إلى إنسانيته، وتحقق له السعادة التي افتقدها في غمرة انشغالاته المادية، وعدم قدرته على المواءمة بين متطلبات الروح وحاجات الجسد، بعد أن تبلدت أحاسيسه وصار يستهلك كل ما تلفظه وسائل الإعلام من مواد، والتي تصل بيوتنا اليوم، والتي ضيقت وعي الإنسان وجعلته أسيرًا للشاشة الصغيرة في البيت.

يقول "بريجنسكي" مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق في كتابه "الانهيار": "نحن أصبحنا مجتمع إباحة الاستباحة؛ الفرد لدينا استباح كل شيء، ولم يعد في قاموسه كلمة حرام أو محرم؛ وبهذا لا تستقيم حضارة ولا تستمر، السفينة كلها تغرق ولا يملك أحد إنقاذها، وإنقاذها مرهون بالعودة إلى الدين والأخلاق".

قال: الفن والجمال هما مصدر الثقافة.

قلت له: الثقافة هي التي تنتج الفن والجمال لا العكس.

"ويلس" عالم الأثنوجرافيا الثقافية يقول:

" إن الحدود بين الفنون وغير الفنون، يجب أن يعاد رسمها أو إلغاؤها كلية، فمن الضروري ألا يُكتفى بنقد وجهة النظر القائلة بأن المساهمة في الفن تنتج الثقافة، بل يجب علينا الإعلان عن أن الثقافة هي التي تقوم فعليًّا بإنتاج الفن، وليس العكس ".

لقد قدَّمت الفلسفات المختلفة منذ القديم تصوراتها في الفن والجمال، فجاءت هذه التصورات مضطربة متناقضة:

- "أفلاطون" يُرجع الجمال إلى المثل الخالد وهو من بقايا ذكريات الروح، ويفسّر ذلك بنظرية المحاكاة.
- "أرسطو" نقض نظرية المحاكاة وعالم المثل واهتم بالواقع، وكان الجمال عنده تناسق التكوين.
- "بومجارتن" ربط الجمال بالحس والشعور.
- "كانط" اعتبر الفن غاية في ذاته.
- "جوتييه" قال: لا وجود لشيء جميل حقًّا إلا إذا كان لا فائدة له وكلُّ ما هو نافع فهو قبيح.
- "فيخته" يرى أن الفن هو تحرير الذات.
- الفيلسوف الألماني "شوبنهاور" قال: إن الجمال هو في التأمل الخالص روحيًا دون أن نمزج به إرادتنا، فألغى إرادة الإنسان [٣١٣].

أما الأدب والفن في الإسلام هو الأدب الملتزم التزام صدق ويقين، والتزام لغة ودين، وهو تعبير عن قضية أو موضوع بوسيلة طاهرة مباحة، وتوفر المتعة الحلال التي أحلها الله لعباده والأمن والأمان، وليعين الإنسان على الوفاء بعهده مع الله سبحانه وتعالى: عبادةً وأمانةً وخلافةً وعمارةً للأرض بالإيمان والتوحيد. وقد نقل الإسلام الأدب نقلة واسعة جدًا لم يحدث مثلها في التاريخ البشري، فقد نقل اللغة

[٣١٣] الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته. عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي.

العربية من كونها لغة شعب واحد إلى كونها لغة النبوة الخاتمة، ولغة العبادة لكل مسلم أبد الدهر، عبادة وطاعة لله على امتداد الأرض والزمان.

وتحقق الجمالية الإسلامية في تبليغ رسالة التوحيد إلى العالم، إفرادا لله بالعبودية، وتنزيها له عن الشركاء والأنداد.

" وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[٣١٤].

ويتجلى الجمال في فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، ثم في نفس الإنسان المؤمن وخُلُقه، ثم في عمله، ثم في كلمته وبيانه: صبرٌ جميل، صفحٌ جميل، سراحٌ جميل، هجرٌ جميل، وغير ذلك، هكذا يمتد الجمال في تصور المؤمن حتى إنه يعيش الجمال الحق في أمره كله، على قدر إيمانه واتصاله بالكون وإدراك جماله، واتصاله بخالق الكون[٣١٥].

"لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ "[٣١٦].

"وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ "[٣١٧].

"وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ " [٣١٨].

قال: وكيف نشأت اللغة؟ أليست كما يقول العلماء ناشئة تطورًا عن أصوات القردة؟

أضحكني سؤاله وقلت له: لقد ثبت أن مَلكَة اللغة مبرمجة فطريًا (جينيًا) في بنية أدمغتنا، وأن لغات العالم جميعها تشترك في نفس القواعد التي تحكمها[٣١٩].

"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ"[٣٢٠].

لقد ذكر القرآن الكريم أن الله سبحانه تعالى علم آدم الأسماء كلها.

"وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ "[٣٢١].

وتعليم آدم الأسماء يعني أنه تعلم أنَّ لكل شيء اسمًا، سواء كان شيئًا ماديا كالماء والسماء، أو شيئًا غير مادي كالألم والضوء، أو معنى مجرداً كالحرية والسعادة، وهذا ما يُسمى بالترميز، والقدرة على الترميز من أرقى الملَكات العقلية الإنسانية التي لا يمارسها سواه، وتُعتبر أحد الفروق الجوهرية بين الإنسان وغيره من الكائنات.

" خَلَقَ الإنسان (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ "[٣٢٢].

والبيان هو صياغة الأفكار بتعقل وتبعًا لقواعد، ويستعمل الإنسان في ذلك الرموز التي أطلقها على الأشياء، كما يستعمل قواعد اللغة المبرمجة في عقله.

"فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ"[٣٢٣] .

والنطق هو المرحلة التالية في اللغة المنطوقة، ويقوم بها جهاز النطق (الحنجرة والبلعوم والفم) والمراكز المخية المسؤولة عن عمل هذا الجهاز. ولا يكون لهذه المنظومة فائدة وقيمة بدون مُستقبِل لهذه المعلومات المنطوقة، لذلك خلق الله تعالى لنا السمع.

---

[٣١٤] (فصلت:٣٣).

[٣١٥] الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته. عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي.

[٣١٦] (التين: ٤ـ ٦).

[٣١٧] (النحل: ٥-٦).

[٣١٨] (النمل:٨٨).

[٣١٩] ناعوم تشومسكى أكبر عالم لغويات في القرن العشرين.

[٣٢٠] (الروم: ٢٢).

[٣٢١] (البقرة :٣١).

[٣٢٢] (الرحمن ٣:٤).

[٣٢٣] (الذاريات:٢٣).

"قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ "[٣٢٤].

وتكتمل منظومة اللغة الإنسانية بأن يعقِل الإنسان ما يسمعه ويفهمه.

"كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[٣٢٥].

وقد توصل الطب الحديث إلى أنواع من الخلل الذي يمكن أن يصيب هذه المنظومة، فمن إنسان لا يَعقل ما يسمعه، إلى آخر غير قادر على السمع، إلى ثالث غير قادر على النطق، وآخر لا يستطيع صياغة أفكاره، إلى أخير ينظر إلى الشيء ولا يجد له في عقله اسمًا[٣٢٦].

قال: وما رأيكم بمفهوم نسبية الزمن الذي توصل إليه آينشتاين عندما قال: "ليس لنا أن نتحدث عن الزمان دون المكان، ولا عن المكان دون الزمان، وما دام كل شيء يتحرك فلا بد أن يحمل زمنه، وكلما تحرك الشيء أسرع فإن زمنه سينكمش بالنسبة لما حوله من أزمنة مرتبطة بحركات أخرى أبطأ منه"؟

قلت له: قد أشار القرآن الكريم إلى نسبية الزمن، وذكر أن هناك يومًا طوله ألف سنة، ويومًا يبلغ طوله خمسين ألف سنة.

"يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " [٣٢٧].

" تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"[٣٢٨].

والزمن كما يقول آينشتاين ليست له حقيقة منفردة وقائمة بذاتها، وإنما هو من خواص المادة، ولذلك فالكون أشبه ما يكون بكتاب سُجلت فيه الحوادث بدقة، بحيث إن كل حركة أو فعل أو قول مسجلة في هذا الكون، وكل ما يتلفظ به الإنسان من يوم ولادته وحتى وفاته يبقى محفوظًا، وهذا ما ذُكر بدقة عجيبة في القرآن الكريم.

" مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ "[٣٢٩].

ولدينا أيضًا دلالة أخرى على تطرق القرآن الكريم لمفهوم نسبية الزمن.

" وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا "[٣٣٠] .

وقد ذكر الله تعالى هنا أنهم لبثوا ٣٠٠ سنة وازدادوا تسعًا.

وقد سبق القرآن كل علوم الفلك حينما قدر الفترة التي لبثها أهل الكهف بثلاثمئة سنة، والتي تعدل في الوقت نفسه ٣٠٩ أعوام، بمعنى أن كل ٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٠ × ٣٦٥ ,٢٥ = ١٠٩٥٧٥ يومًا.

٣٠٠سنة قمرية = ٣٠٠ × ٣٥٤ ,٣٧ = ١٠٦٣١١ يومًا.

الفرق بين التقويمين = ١٠٩٥٧٥ ١٠٦٣١١ = ٣٢٦٤ يومًا= ٩ سنوات.

أي أن ٣٠٩ عام قمري يقابلها ٣٠٠ سنة ميلادية بفرق ٩ سنوات.

وأيضًا هنا:

إن ٣٠٠ عامًا (١٠٩٥٧٥) تعادل على عطارد = ١٠٩٥٧٥ ٨٨ (سنة عطارد ٨٨ يومًا أرضيًا) ١٢٤٥ سنة.

على الزهرة = ١٠٩٥٧٥ ٢٤٣ = ٤٥١ سنة.

---

[٣٢٤] (الملك:٢٢).

[٣٢٥] (الروم: ٢٨).

[٣٢٦] مقتبس بتصرف من كتاب وهم الإلحاد. دكتور عمرو شريف. طبعة الأزهر نوفمبر/ ديسمبر ٢٠١٣.

[٣٢٧] (السجدة:٥).

[٣٢٨] (المعارج:٤).

[٣٢٩] (ق:١٨).

[٣٣٠] (الكهف: ٢٥- ٢٦).

على المريخ = ١٠٩٥٧٥ ٦٨٧ = ٥٩.٥ سنة.

وهكذا يظل الزمن نسبيًا، أما القيمة الحقيقية فلا توجد إلا عند من أحاط بالزمان والمكان وهو الله تعالى.

" قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " [٣٣١].

ويتطرق القرآن الكريم إلى نسبية الحياة الدنيا أيضًا.

"قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"[٣٣٢].

"وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ " [٣٣٣].

"كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا " [٣٣٤].

قال بعدها: يقول كثير من العلماء إن كل عصر ينبغي أن يكتب التاريخ من وجهة نظره؛ لأن تقدير كل عصر لما هو مهم وذو معنى بالنسبة له يختلف عن تقدير العصر الآخر، فكل عصر يحاول أن يرى الماضي من خلال اهتماماته والأفكار السائدة فيه، فالتاريخ نسبي أيضًا.

قلت له: هذا صحيح ولكن هذا لا ينفي أن للأحداث حقيقة واحدة، شئنا أم أبينا، وتأريخ البشر المعرَّض للتشويه وعدم الدقة للأحداث والقائم على الأهواء ليس كتأريخ رب العالمين لها، والذي هو غاية الدقة ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً.

" غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ"[٣٣٥].

تتحدث هذه الآيات عن هزيمة البيزنطيين على أيدي الفرس في معركة أنطاكيا، وقد كان وعدًا للمسلمين أن تنقلب الهزيمة في بضع سنين إلى انتصار للبيزنطيين، وقد كان انتصارهم أمرًا مهمًا للمسلمين، لأنهم كانوا نصارى ويعدون من أتباع دين سماوي، بينما يُعد الفرس من أتباع الديانة الزرادشتية وهي ديانة وثنية، وقد دارت المعركة في المنطقة المحيطة بالبحر الميت، (يقع في أخدود وادي الأردن)، والحقيقة المثيرة للاهتمام لغير المسلمين والتي اكتشفت مؤخرًا من خلال الأقمار الصناعية والتكنولوجيا الحديثة، أن المنطقة المحيطة بالبحر الميت هي الأقل ارتفاعًا على الأرض، وهذه معجزة قرآنية، فلم تكن هذه الحقيقة معروفة أو متوقعة لهم في القرن السابع، حيث لم تكن الأقمار الصناعية والتكنولوجيا الحديثة متاحة في هذا الوقت، التفسير الممكن الوحيد هو أن النبي محمد قد تلقى وحيًا إلهيًا من الله خالق الكون ومبدعه، وبعد حوالي ٧ سنوات من نزول الوحي بهذه الآيات، تحقق وعد الله بانتصار الرومان في القرآن بإعجاز.

وقد سبق القرآن الكريم نظرية نسبية التاريخ أيضًا في تدوين الأحداث في لوح محفوظ.

" وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا "[٣٣٦].

قال: كيف تنظرون لمفهوم التنوير؟

قلت له: يقوم المفهوم الإسلامي للتنوير على قاعدة راسخة من الإيمان والعلم، والتي تجمع بين تنوير العقل وبين تنوير القلب، بالإيمان بالله أولا، وبالعلم الذي لا ينفصل عن الإيمان.

---

[٣٣١] (الكهف: ٢٦).
[٣٣٢] (المؤمنون: ١١٢ -١١٤).
[٣٣٣] (الروم: ٥٥).
[٣٣٤] (النازعات: ٤٦).
[٣٣٥] (الروم: ٢-٥).
[٣٣٦] (الإسراء: ١٣-١٤).

وقد تم نقل مفهوم التنوير الأوروبي للمجتمعات الإسلامية كغيرها من المفاهيم الغربية الأخرى، والتنوير بالمفهوم الإسلامي لا يعتمد على العقل المجرد غير المهتدي بنور الإيمان، وبالقدر نفسه لا ينفع المرء إيمانه إن لم يستخدم ما وهبه الله من نعمة العقل، في التفكير والتدبر والتأمل وتصريف الأمور على الوجه الذي يحقق المصلحة العامة التي تنفع الناس وتمكث في الأرض.

لقد قام المسلمون في القرون الوسطى المظلمة بإعادة نور الحضارة والمدنية الذي كان قد انطفأ في جميع بلاد الغرب والشرق حتى القسطنطينية.

إن حركة التنوير في أوروبا كانت رد فعل طبيعي على الجبروت التي مارسته السلطات الكنسية ضد العقل والإرادة الإنسانية، وهو وضع لم تعرفه الحضارة الإسلامية.

"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "[٣٣٧].

وبالتأمل في هذه الآيات القرآنية نجد أن الإرادة الإلهية هي التي تتولى إخراج الإنسان من الظلمات، وتلك هي الهداية الربانية للإنسان التي لا تتم إلا بإذن الله، لأن الإنسان الذي يخرجه الله سبحانه من ظلمات الجهل والشرك والخرافة إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة الحق، هو إنسان منور العقل والبصيرة والوجدًان.

وكما أن الله تعالى قد أشار إلى القرآن الكريم بالنور.

".....قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ"[٣٣٨].

والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل الغير محرفة أنزلها الله تعالى على رسله ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور، وبذلك جعل الله الهداية مرتبطة بالنور.

"إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...." [٣٣٩].

".....وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ " [٣٤٠].

ولا هداية بلا نور من الله، ولا نور يضئ قلب الإنسان وينير حياته إلا بإذن من الله.

"اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ ...." [٣٤١].

وهنا نلاحظ أن النور يأتي في القرآن مفردًا في كل الحالات، بينما تأتى الظلمات جمعًا، وفي هذا منتهي الدقة في وصف هذه الأحوال [٣٤٢].

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا:

أذكر أن جاءتني مكالمة من زملاء لي في يوم إجازتي، لإخباري أن ملاكمًا من أمريكا الجنوبية – خلال مشاركته في مسابقة دولية في الملاكمة– أراد أن يتعرف على الإسلام، وهو غير متفرغ إلا في يوم الجمعة ولا يتكلم الإنجليزية أبدًا، ويريدون من يتحدث الإسبانية للحوار معه.

---

[٣٣٧] (البقرة:٢٥٧).
[٣٣٨] (المائدة: ١٥).
[٣٣٩] (المائدة: ٤٤).
[٣٤٠] (المائدة: ٤٦).
[٣٤١] (النور: ٣٥).
[٣٤٢] https://www.albayan.ae/five-senses/٢٠٠١-١١-١٦-١,١١٢٩٤١٣ من مقال التنوير في الإسلام. د. التويجري.

استشرت زوجي، وقال: أننا نستطيع مقابلته سويًا في مكانٍ عام، وفعلاً خرجنا يوم الجمعة وقابلناه في مقهى قريب، برفقة وفد من النادي المستضيف له، وكان قد أعلن إسلامه في نهاية اللقاء.

سألني الشاب من ضمن ما سأل:

هل يوجد في الإسلام قديسين؟

قلت له: لا.

قال: إذًا ليس لديكم أناس صالحين؟ ألا تقدسون صحابة الرسول محمد؟

قلت له: نحن نحذو بحذو الصالحين وصحابة الرسول ونحبهم ونحاول أن نكون صالحين مثلهم، ونعبد الله وحده كما فعلوا هم، ولكن لا نقدسهم ولا نجعل منهم وسيطًا بيننا وبين الله.

قال: أنا مثلاً أحمل قلادة عليها نجمة داوود لأنني أُدعي ديفيد، فهل إذا أسلمت عليَّ أن أخلعها؟

قلت له: بدايةً، النبي داوود عليه السلام من أنبياء الله المكرمين في القرآن كغيره من الأنبياء، وقد برأهم الله في القرآن الكريم من كل التهم التي نسبت إليهم من تحريفات في كتب العهد القديم والجديد. وقد ذكر القرآن الكريم لنا كيف كانت مخلوقات الله تُسبِّح الله مع داوود لجمال صوته.

"وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ"[٣٤٣].

فالمسلم ليس لديه مشكلة مع أنبياء الله، ولكن المشكلة مع الذين حرفوا دين الله، وجعلوا من هذه النجمة رمزًا سياسيًا.

قال: ما الفرق بين الشيعة والسنة.

قلت له: محمدًا لم يكن سنيًا ولا شيعيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا، والمسيح لم يكن كاثوليكيًا ولا غيرها، كلاهما عبد الله وحده بلا وسيط، فلم يعبد المسيح نفسه ولم يعبد أمه، ولم يتوسل محمد بنفسه ولا بابنته ولا بزوجها.

وعندما أشاع قوم في المدينة المنورة أن الشمس انكسفت لموت إبراهيم ابن النبي، خطب بهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبارة تُكتب بماء الذهب، وهي رسالة لكل من يتبنى خرافات لا تُحصى عن كسوف الشمس حتى يومنا هذا. فقال بكل وضوح وبيان في صحراء شبه الجزيرة قبل أربعة عشر قرنًا:

"إنَّ الشَّمسَ والقَمَر آيتانِ مِن آياتِ الله، لا يُخسَفانِ لِموتِ أحدٍ ولا لِحياته، فإذا رأيتُم ذلكَ، فافزَعوا إلى ذِكرِ الله والصَّلاة"[٣٤٤].

وظهور فِرق كثيرة بسبب مشاكل سياسية أو غيرها وارد، ولا علاقة له بالدين، وفي كل الأحوال فإن كلمة "سُنَّة" تعني اتباع منهج الرسول بحذافيره، وتعني كلمة "شيعة" فِرقة من الناس، انشقوا عن النهج الذي ينتهجه عامة المسلمين.

"إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ "[٣٤٥].

ومن أحسن من اللَّه حُكما لقوم يُوقنون:

سأل الشاب مستطرداً: وما معنى الجهاد؟

قلت له: الجهاد يعني مجاهدة النفس في الكف عن المعاصـــي، جهاد الأم في حملها بتحمل آلام الحمل، اجتهاد الطالب في دراســته، جهاد المدافع عن ماله وعرضه ودينه، حتى المثابرة على العبادات مثل الصوم والصلاة على وقتها تعتبر نوعًا من أنواع الجهاد.

---

[٣٤٣] (سبأ: ١٠).

[٣٤٤](صحيح البخاري).

[٣٤٥] (الأنعام:١٥٩).

والإسلام يقدر الحياة، فلا يجوز مقاتلة المسالمين والمدنيين كما يجب حماية الممتلكات والأطفال والنساء حتى في أثناء الحروب، كما لا يجوز التشويه أو التمثيل في القتلى فهي ليست من أخلاق الإسلام.

"لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "[٣٤٦] .

"مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ" [٣٤٧].

فغير المسلم هو واحد من أربعة:

مستأمن: وهو الذي أُعطِي الأمان.

"وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ"[٣٤٨].

معاهَد: وهو الذي عاهده المسلمون على ترك القتال.

ذِميّ: والذمة هي العهد، عقد الذمة بين المسلمين وأهل الذمة بشرط أن يبذلوا الجزية مقابل حمايتهم ورعايتهم، ومثلها كمثل الضريبة التي يدفعها الملايين في يومنا هذا مقابل رعاية الدولة لشؤونهم.

" قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" [٣٤٩].

محارِب: وهو من أعلن القتال ضد المسلمين، فهذا لا عهد له ولا ذمة ولا أمان. وهم الذين قال الله تعالى فيهم :

"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[٣٥٠].

وفئة المحاربون هي من علينا مقاتلتها فقط، ولم يأمر الله بالقتل ولكن بالقتال وهناك فرق كبير بينهما، فالقتال هنا بمعنى المواجهة بالحرب للدفاع عن النفس، وهذا ما تنص عليه كل القوانين الوضعية.

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[٣٥١].

قال: أليست كلمة كافر تحقيرًا للطرف الآخر؟

قلت له: ألا أُعتبر كافرة بالنسبة للنصراني لأنني لا أؤمن بعقيدة التثليث؟ كلمة كفر تعني إنكار الحق، والحق بالنسبة لي كمسلمة هو التوحيد، وبالنسبة للنصراني هو التثليث.

قال: ولماذا يُكافأ من يقوم بالعمليات الانتحارية بالحور العين في الإسلام؟

قلت له: إنه من غير المنطقي أن يأمر واهب الحياة من الموهوب إليه أن يزهقها، ويزهق حياة آخرين دون ذنب وهو القائل "ولا تقتلوا أنفسكم"، وغيرها من الآيات التي تنهى عن قتل النفس إلا بوجود مبرر كالقصاص أو دفع العدوان، دون انتهاك للحرمات أو الإقدام على الموت وتعريض النفس للتهلكة، لخدمة مصالح جماعات لا علاقة لها بالدين أو بمقاصده، وتبتعد عن سماحة وأخلاق هذا الدين

---

[٣٤٦] (الممتحنة: ٨-٩).
[٣٤٧] (المائدة: ٣٢).
[٣٤٨] (التوبة:٦).
[٣٤٩] (التوبة: ٢٩).
[٣٥٠] (الأنفال :٣٩).
[٣٥١] (البقرة: ١٩٠).

العظيم. ولا يجب أن يُبنى نعيم الجنة على تلك النظرة الضـــيقة بالحصـــول على الحور العين فقط، فالجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إن معاناة الشـباب اليوم من الظروف الاقتصـادية وعدم المقدرة على تحصـيل الأمور المادية التى تعينه على الزواج، تجعلهم فريسـة سـهلة للمروجين لهذه الأعمال المشينة، وخصوصًا المدمنين منهم والذين يعانون من اضطرابات نفسية. ولو صدق المروجون لتلك الفكرة لكان الأولى أن يبدؤوا بأنفسهم، قبل أن يرسلوا الشباب لهذه المهمة.

نخلُص أنه لا نهضـة ولا تقدم علم حقيقي إلا بالإسـلام، في إطار الفهم الرشـيد لوظيفة الدين في الحياة، والموازنة الواعية بين مقتضـيات الشـرع وبين متطلبات الحياة دون إخلال بقاعدة من قواعد الدين الحنيف، أو تنازل عن ثابت واحد من ثوابت الدين الراسـخة. والعقل وحده لم يستطع أن يصل بالذين اعتمدوا عليه الى معرفة كل الحقيقة، بل أدى الى انحرافهم وفساد رأيهم لأنه جزء من حقيقة كاملة لا تكتمل إلا بأمور أخرى، وكذلك أخطأ الذين تجاهلوا العقل والتمسوا المعرفة الباطنية عن طريق الحدس أو الوجدان وحده، ومن هنا جاء اكتمال النظرية الإسلامية للمعرفة، جامعة بين العقل والقلب، وجامعة بين عالم الشهادة وعالم الغيب.

ولقد عرَّف القرآن الناس بخالقهم بكلام لا يجدونه في كتب الفلسفة ولا كتب الديانات الأخرى، وفي إرشادهم إلى الطريق التي يجب أن يعبدوا بها هذا الخالق، وإلى الخُلق الذي ينبغي أن يسلكوه في معاملة بعضهم لبعض، وفي إرشادهم الى ما يسمو بروحهم، ونهيهم عما يحط من قدرهم، وزودهم بمنهج حياة متكامل من الاعتقادات والعبادات والأخلاق، إلى النظام الاجتماعي فردًا وأســـرة ومجتمعًا، وإلى العلاقات مع غير المسلمين، وذلك بطريقة متوازنة تلبي المتطلبات العقلية، والحاجات الجسدية، والروحية.

" ...كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ "[٣٥٢].

[٣٥٢] (النحل: ٨١).

ومن يبتغ غير الإسلام دينًا

فطرت الله التي فطر الله عليها:

في حوار لي مع أسرة بريطانية تتكون من أب وأم وطفل عمره عشرة أعوام، وأثناء إجابتي عن سؤال الأم عن عقيدة المسلمين، قال الطفل الصغير وقد كان غاية في الجمال والذكاء: إذًا أفهم من كلامك أنه إذا كنت في قاعة الاختبار في مدرستي وصعب عليَّ سؤال، وتوجهت لله مباشرة بالدعاء ولم أتوجه إلى المسيح، فأنا في هذه اللحظة مسلم؟ قلت له: نعم. وتذكرت حينها الآية الكريمة" **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**"[٣٥٣]، وقد ابتهجت فرحًا بتعليق الطفل، والذي شعرت من إجابته أن الرسالة التي أريد أن أوصلها لهم قد وصلت وبسهولة.

ورحمة ربك خير مما يجمعون:

أذكر قصة لحواري مع لاعب كرة قدم لاتيني شهير مع والدته والطبيب المعالج الذي صاحبه أثناء الزيارة، بعد اقتناعهم التام بالتوحيد، كان من ضمن ما سألوا، هو عن تقصير المسلمين في التعبير عن أنفسهم وعن إبلاغ الدين الصحيح، حيث قال اللاعب: الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول محمد، هي عبارة عن سلسة لرسوم مسيئة للمسيح أيضًا ومسيئة للخالق نفسه، فمن يرسم هذه الرسوم هم مجموعة من الملحدين الذين يكرسون وقتهم وجهدهم للاستهزاء بجميع الرموز الدينية لجميع الديانات، فلماذا لا يتظاهر المسلمون غضبًا عندما يُساء إلى الإله الخالق مثلاً أو حتى المسيح، ويتظاهرون فقط من أجل الرسول محمد؟ لقد نجم عن هذه التصرفات سوء فهم كبير، حيث أننا بتنا متيقنون أن محمدًا إله المسلمين.

قلت له: هذا صحيح، لكن المسلمين غير مثاليين، هم بشر يخطئون ويصيبون.

قلت لهم معقبة: وأنا نفسي أتعجب جدًا، كيف يتواجد أعداد هائلة من المسلمين في أوروبا مثلاً، ولا زال الأوروبي لا يعرف عن دين المسلمين سوى أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم فقط، ولا يعرف أركان الإيمان والتي من ضمنها الإيمان بنبوة عيسى المسيح والإيمان بالإنجيل الصحيح.

وفي نهاية الحوار أعلن اللاعب ووالدته وطبيبه إسلامهم وسط أجواء من الفرح والسرور.

وأذكر قصة لمجموعة كبيرة من دولة بنما اللاتينية، وقد كان باص كبير قد أقلهم إلينا، وجاءوا في وقت متأخر جدًا، حيث كان موعد مغادرتي بعد يوم حافل بالعمل، وتبين لي أن المرشدة السياحية التي رافقتهم قد جاءت بهم في وقت متأخر حتى لا تعطيهم فرصة للاستماع للعرض المختصر عن الإسلام لضيق الوقت لديها في جدول برنامجها لذلك اليوم، حيث أخبرتني أن الوقت محدود، وقالت لي مازحة: وأنت تبدين متعبة، ولم يتبق على أذان المغرب كثير من الوقت، حيث يتوجب عليهم مغادرة قاعة المسجد فورًا.

قلت لها: لا عليك، أنا لست متعبة، وأستطيع أن أُنهي الزيارة قبل أذان المغرب.

وقبلت على مضض، وبدأت أنا بالتحدث إليهم وفوجئت بالجميع يجلس على الأرض، وقد انهالوا عليّ بالأسئلة، ومن ضمنها، الفرق بين دين الإسلام واليهودية والنصرانية، ونبوءة سيدنا محمد، وغيرها من الأسئلة.

---

[٣٥٣] (الروم:٣٠).

قلت لهم: دين الإسلام هو دين التوحيد الذي يمارسه الكثير في بلدكم بالفطرة، وهو عبادة الله وحده بدون وسيط، والإيمان بأن المسيح هو أحد رسل الله.

قالوا: ومن هو الله؟

قلت لهم: يستخدم النصارى واليهود والمسلمون في الشرق الأوسط كلمة (الله) إشارة إلى الإله، وهي تعني الإله الواحد الحق، إله موسى وعيسى، وقد ذُكرت كلمة الله في النسخة القديمة للعهد القديم ٨٩ مرة [٣٥٤].

قال أحدهم: أنا قرأت القرآن، لماذا يشير الخالق إلى نفسه بصيغة الجمع مادام هو واحد أحد وليس ثالوثاً؟

قلت له: استخدام رب العالمين لكلمة "نحن" في التعبير عن ذاته في كثير من آيات القرآن الكريم تُعبِّر عن أنه وحده جامع لصفات الجمال والجلال وتُعبِّر كذلك عن القوة والعظمة في اللغة العربية، وكذلك في اللغة الإنجليزية تُسمَّى "نحن الملكية"، حيث يستخدم ضمير الجمع للإشارة لشخص في منصب كبير (كالملك، العاهل أو السلطان)، غير أن القرآن كان دومًا يُشدِّد على وحدانيَّة الله فيما يتعلق بالعبودية.

واشتد غضب المرشدة وهي تواجه بالرفض منهم كلما طلبت منهم المغادرة لضيق الوقت، ودخل موعد الصلاة ولم يقبلوا الخروج لكثرة الأسئلة، وقد كان التعليق المتداول بينهم: وجدنا الحقيقة، وقد ضاعت سنين عمرنا دون أن نعرفها.

وأذكر أيضًا قصة لفريق كرة سلة مكسيكي، كان لمجموعة من الشباب الذين لا تتجاوز أعمارهم العشرون عامًا، لكن مختارون بعناية من طوال القامة، وحضر معهم الطاقم المرافق لهم، وعندما قلت لهم: المسلم هو من يؤمن بإله واحد أحد، ويعبده وحده بدون وسيط، ومحمد رسول، وعيسى رسول، صرخوا بصوت واحد وقالوا: هذا ما نؤمن به، وشهد أكثر من نصف الفريق بلا إله إلا الله محمد رسول الله، وتهافت الباقي على طلب ترجمة معاني القرآن بالإسبانية وكتيبات للقراءة ومنهم من بكى، وقلت في نفسي: ما الذي قلته لهم حتى يجعلهم متألقين فرحًا؟ أنا لم أتكلم سوى بضع دقائق، فسبحان من جبل القلوب السليمة على الدين السليم.

أذكر أيضًا في لقائي مع سيدة بريطانية في التسعين من عمرها، وهي أرملة لشخصية مرموقة، كانت قد جاءت مع صديقتها البريطانية أيضًا، وسائقها الهندي، وبكت السيدة بمجرد أن بدأت أنا بالكلام، وقالت: أنا أعتقد أن لا إله إلا الله وأن عيسى رسول الله.

وقالت بعدها: أنا أحب زوجي جدًا، وقد مات منذ عشرة أعوام، فإذا أسلمت الآن، ما سيكون مصير زوجي؟ هل سألقاه في الجنة؟

قلت لها: ما كانت عقيدة زوجك في المسيح؟ هل كان يؤمن مثلك أنه نبي؟ أم إله؟

قالت: هل تصدقيني إن قلت لك أنني لا أعرف؟ لقد استمر زواجنا ستون عامًا، ولا أذكر أن تناقشنا بهذا الموضوع، وزاد بكاء السيدة، حتى شعرت أنني أتألم من الحزن عليها.

قلت لها: إن الله رحيم بخلقه أكثر من الأم بولدها، وهو يرحم من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، لعل زوجك كان منهم، وأمره إلى الله.

وغادرت السيدة المسجد تحت إلحاح من صديقتها، والتي لم يَرُق لها الحوار، ولم تطلب مني السيدة حينها اعتناق الإسلام.

وعادت السيدة بعد حوالي ثلاثة شهور برفقة حفيدها وصديقته وسائقها الشخصي الذي جاء في المرة السابقة، وسألت موظفات الاستقبال عني، وكنت قد فرحت جدًا لرؤيتها.

---

[٣٥٤] (سفر التكوين ٢:٤، سفر دنيال ٦:٢٠، الترجمة العبرية والعربية للإنجيل).

قال لي سائقها: هي لم تتوقف عن الحديث عن اللقاء السابق منذ خرجت المرة الماضية، وهي تريد أن تعلن إسلامها، لأنها مقتنعة أنه الدين الحق، وبصراحة أنا أيضًا مقتنع بذلك جدًا.

قلت له بعد أن نطقت السيدة بالشهادة: وهل تريد أن تشهد مثلها؟

قال: للأسف مع اقتناعي العميق بهذا الدين، ولكن لا أستطيع أن أغير دين آبائي وأجدادي.

أفنجعل المسلمين كالمجرمين:

سألني ملحد يومًا: لماذا يعذب الله عباده إذا لم يؤمنوا به؟

قلت له: يجب أن نفرق بين الإيمان والتسليم لرب العالمين.

فالحق المطلوب لرب العالمين الذي لا يسع أحد تركه هو التسليم له بالوحدانية وعبادته وحده لا شريك له، وأنه الخالق وحده له الملك والأمر، سواء رضينا أم أبينا وهذا أصل الإيمان، ولا نملك خيارًا آخر، والتي على ضوئها يحاسب الإنسان ويعاقب.

وما يقابل التسليم هو الإجرام بحق رب العالمين.

" أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ"[٣٥٥].

وأما الظلم فهو جعل شريك أو ند لرب العالمين

"...فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"[٣٥٦].

" الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ"[٣٥٧].

قال: ماذا أخسر لو كفرت بالخالق؟ قلت له:

من كفر بالخالق حاله في الحياة الدنيا:

أكثر الناس حزنًا ولو تظاهر بالفرح[٣٥٨].

"وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ"[٣٥٩] .

عند المصيبة فإنه غير مأجور.

"وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا"[٣٦٠].

إذا أراد شيئًا فلا يجد من يطلب منه.

"... وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"[٣٦١].

أقصى أعوانه المخلوقات الضعفاء.

"...وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ."[٣٦٢].

إذا أفرحه شيء علم أنه بالموت لن يدوم.

"...وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ"[٣٦٣].

---

[٣٥٥] (القلم: ٣٥).
[٣٥٦] (البقرة: ٢٢).
[٣٥٧] (الأنعام: ٨٢).
[٣٥٨] من أقوال الشيخ مشاري الخراز.
[٣٥٩] (طه: ١٢٤).
[٣٦٠] (الفرقان: ٢٣).
[٣٦١] (الرعد: ١٤).
[٣٦٢] (البقرة: ٢٥٧).
[٣٦٣] (الرعد: ٢٦).

ولو تعرض لظلم فلا يعتقد أنه سينصره حي قيوم.

"مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ"[٣٦٤].

فكيف لا ينتحر؟

ومن كفر بالخالق حاله في الحياة الآخرة:

يطلب الأمان فلا يجد.

"وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ"[٣٦٥].

يطلب النجدة من الذين عبدهم من دون الله فيتخلوا عنه.

" وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ"[٣٦٦].

يطلب النعيم فلا يجد.

"...أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ"[٣٦٧].

يطلب الفوز فلا يجد.

" يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ "[٣٦٨].

حتى أنه يطلب الهلاك ليتخلص من العذاب ولا يستطيع.

"وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ"[٣٦٩].

حتى الشيطان يتخلى عنه.

"وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[٣٧٠].

يخلد في النار.

"فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ"[٣٧١].

فلو تكلمت الأحجار، ونطقت الأشجار والأطيار، لقالت لا إله إلا الله الملك القهار.

"لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[٣٧٢].

لا إله إلا الله حصن الله ومفتاح الجنة وأمان من العذاب، وهي أفضل الذكر، وليس بينها وبين الله حجاب، وموجبة لشفاعة الرسول.

قال رسول الله: "... أسعَد النَّاس بِشفاعَتي يَوم القِيامة مَن قال: لا إله إلا الله خالصا مِن قَلبِهِ أو نَفسِهِ"[٣٧٣].

قال رسول الله: " وأَفضلُ الذِّكرِ لا إله إلا الله وأَفضلُ الدُّعاء الحَمد لله" [٣٧٤].

---

[٣٦٤] (الحج: ١٥).
[٣٦٥] (النور: ٣٩).
[٣٦٦] (القصص: ٦٤).
[٣٦٧] (الأعراف: ٥٠).
[٣٦٨] (الحديد: ١٣).
[٣٦٩] (الزخرف: ٧٧).
[٣٧٠] (إبراهيم: ٢٢).
[٣٧١] (هود: ١٠٦ -١٠٧).
[٣٧٢] (الحشر: ٢١).
[٣٧٣] (صحيح البخاري).
[٣٧٤] (صحيح الترمذي).

قال: ماذا أكسب لو أسلمت؟

حال المؤمن في الدنيا والآخرة:

لا خوف عليه ولا حزن.

"إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"[٣٧٥].

وعده الله بالأمان.

"الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ"[٣٧٦].

وعده الله بالأجر عند المصيبة.

"فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"[٣٧٧].

"وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ"[٣٧٨].

يجد من يلجأ إليه في الشدائد.

"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"[٣٧٩].

وليُّهُ الله رب العالمين.

"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.."[٣٨٠].

يُثاب على صبره في الدنيا والآخرة.

"وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"[٣٨١].

" قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ"[٣٨٢].

وعده الله النصر في الدنيا والآخرة.

" إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ"[٣٨٣].

وعده الله النعيم الأبدي.

"وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ"[٣٨٤].

قال: وكيف أطبق التوحيد في حياتي؟

قلت له: قال رسول الله:

"يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"[٣٨٥].

---

[٣٧٥] (الأحقاف: ١٣).
[٣٧٦] (الأنعام: ٨٢).
[٣٧٧] (آل عمران: ١٧٠).
[٣٧٨] (البقرة ١٥٥ – ١٥٧).
[٣٧٩] (البقرة: ١٨٦).
[٣٨٠] (البقرة: ٢٥٧).
[٣٨١] (النحل: ٤١).
[٣٨٢] (الزمر: ١٠).
[٣٨٣] (غافر: ٥١).
[٣٨٤] (هود: ١٠٨).
[٣٨٥] (رواه الترمذي).

إن خفت فقل:

"... حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" [٣٨٦] .

"فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ "[٣٨٧].

وإن مُكر بك فقل:

"... وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" [٣٨٨].

"فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا"[٣٨٩].

وإن طلبت الدنيا وزينتها قل:

" ...مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ..." [٣٩٠] .

"فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ "[٣٩١].

وإن أصابك غم فقل:

"...أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ..."[٣٩٢]

"فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ" [٣٩٣].

والإيمان قضية غيبية تقتضي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقبول والرضا بقضاء الله وقدره.

" قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[٣٩٤].

الآية الكريمة أعلاه تدلنا على أن الإيمان مرتبة ودرجة أرفع وأسمى وهي الرضا والقبول والقناعة، والإيمان درجات ومراتب يزداد وينقص. فقدرة الإنسان وسعة قلبه على استيعابه للأمور الغيبية تختلف من شخص لآخر، والبشر يتمايزون في سعة إدراكهم لصفات الجمال والجلال ومعرفتهم بربهم.

فلن يعاقب إنسان على قلة إدراكه للغيبيات أو ضيق أفقه، ولكن يؤاخذ الله الإنسان على الحد الأدنى المقبول منه للنجاة من الخلود في النار، ويجب التسليم لله بالوحدانية وأن له الخلق والأمر وعبادته وحده، وبهذا التسليم يغفر الله ما سواه من الذنوب لمن يشاء. ولا خيار آخر أمام الإنسان، فإما الإيمان والفوز وإما الكفر والخسران، إما أن يكون شيء أو لا شيء.

" إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا"[٣٩٥].

فالإيمان قضية تتعلق بالغيب وتتوقف عندما ينكشف الغيب أو تظهر علامات الساعة.

"... يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ ..."[٣٩٦].

والإنسان إن أراد أن ينتفع من إيمانه بالأعمال الصالحة ويزيد من حسناته فلا بد ان يكون ذلك قبل قيام الساعة وانكشاف الغيب.

---

[٣٨٦] (آل عمران: ١٧٣).
[٣٨٧] (آل عمران: ١٧٤).
[٣٨٨] (غافر:٤٤).
[٣٨٩] (غافر: ٤٥).
[٣٩٠] (الكهف:٣٩)
[٣٩١] (الكهف: ٤٠).
[٣٩٢] (الأنبياء:٨٧).
[٣٩٣] (الأنبياء:٨٤).
[٣٩٤] (الحجرات: ١٤).
[٣٩٥] (النساء: ٤٨).
[٣٩٦] (الأنعام: ١٥٨).

أما الإنسان الذي ليس له أعمال صالحة فيجب ألا يخرج من الدنيا إلا وهو مستسلم لله ومسلِّم بقضية الوحدانية، والعبادة له وحده، إذا ما كان يرجو النجاة من الخلود في النار، فالخلود المؤقت قد يقع لبعض أهل المعاصي، فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء أدخله النار.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ " [٣٩٧].

والإيمان في دين الإسلام قول وعمل، فهو ليس إيمان فقط كما في تعاليم النصرانية اليوم، ولا عمل فقط كما هو الحال في الإلحاد، ولا تستوي أعمال الإنسان في مرحلة إيمانه بالغيب وصبره، مع الإنسان الذي عاين وشاهد وانكشف له الغيب في الآخرة، كما لا يستوي من عمل لله في مرحلة الشدة والضعف وعدم معرفة مصير الإسلام، مع من عمل لله والإسلام فيها ظاهر وعزيز وقوي.

" ...لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ...."[٣٩٨].

ورب العالمين لا يعاقب بدون سبب، فالإنسان إما يحاسب ويعاقب على تضيع حقوق العباد أو حق رب العالمين.

- الحق الذي لا يسع أحد تركه للنجاة من الخلود في النار، وهو التسليم لرب العالمين بالوحدانية وعبادته وحده لا شريك له، بقول:" أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله وأشهد أن رسل الله حق وأشهد أن الجنة حق والنار حق". والقيام بحقها.
- عدم الصد عن سبيل الله أو معاونة أو مساندة أي عمل يقصد به الوقوف في وجه الدعوة أو انتشار دين الله.
- عدم هضم أو ضياع حقوق الناس أو ظلمهم.
- كف الشر عن الخلق والمخلوقات، وإن تطلب ذلك أن ينأى بنفسه أو يعتزل الناس.

فالإنسان ربما لا تكون له أعمال صالحة كثيرة لكنه لم يضر أحدًا أو ينشغل بأي عمل يسيء لنفسه أو للناس، وشهد لله بالوحدانية، يُرجى له بذلك النجاة من عذاب النار.

" مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا"[٣٩٩].

فالبشر يتم تصنيفهم على مراتب ودرجات ابتداءً من أعمالهم في الدنيا في عالم الشهادة وحتى قيام الساعة وانكشاف عالم الغيب وبدء الحساب في الآخرة، فمن الاقوام من يبتليهم الله في الآخرة كما ورد في الحديث الشريف.

فرب العالمين يعاقب الأقوام كلاً حسب أعماله وأفعاله السيئة فإما يعجلوها في الدنيا وإما يؤخرها للآخرة، ويتوقف ذلك على مدى فداحة الفعل وإذا ما كان له توبة، ومدى أثره وضرره على الحرث والنسل وسائر المخلوقات والله لا يحب الفساد.

فالأقوام السابقة كقوم نوح وهود وصالح ولوط، وفرعون وغيرهم ممن كذبوا بالرسل فعاجلهم الله العقوبة في الدنيا وذلك بسبب أفعالهم المنكرة وطغيانهم، فهم لم ينأوا بأنفسهم أو يكفوا شرهم بل تمادوا، فقوم صالح قتلوا الناقة، وقوم فرعون لحقوا بقوم موسى بغيًا وعدوًا، وقوم لوط أصروا على الفاحشة، وقوم شعيب أصروا على الفساد وضياع حقوق الناس في المكيال والميزان، وقوم هود الذين تجبروا في الأرض وقوم نوح الذين أصروا على الشرك بعبادة رب العالمين.

"فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" [٤٠٠].

---

[٣٩٧] (آل عمران: ١٠٢).
[٣٩٨] (الحديد: ١٠).
[٣٩٩] (النساء: ١٤٧).
[٤٠٠] (العنكبوت: ٤٠).

"مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ"[٤٠١] .

قال: هذا لأنك وُلدت في أسرة مسلمة فإنك تدافعين عن الإسلام، لو كنت ولدت في أسرة نصرانية لكنت الآن تبشرين للنصرانية، لا أحد يستطيع أن يغير دين آباءه وأجداده.

قلت له: أنت جعلت الإنسان بذلك تابعًا لغيره، وجزمت أنه لن يترك دين أهله!

وسلبت منه حق الاستقلال الفكري، والتمييز بين الحق والباطل، وحكرت على طلبه للعلم! وهذا خطأ جسيم، لأنه من حق الإنسان أن يطلب العلم ويبحث في آفاق هذا الكون، فالله سبحانه وتعالى أودع فينا هذه العقول لنستخدمها لا لنعطلها، فكل إنسان يتبع دين آباءه دون إعمال للعقل، وبلا تفكير وتحليل لهذا الدين، فهو بلا شك ظالم لنفسه، محتقر لذاته، محتقر لهذه النعمة العظيمة التي أودعها الله تعالى فيه ألا وهي العقل.

قلت له مستطردة: فكم من مسلم نشأ في أسرة موحدة، وحاد عن الطريق بالشرك بالله، وهناك من نشأ في أسرة مشركة أو نصرانية يؤمن بالتثليث، ورفض هذه العقيدة وقال: لا إله إلا الله.

قلت له: سأروي لك قصة رمزية لتوضيح هذه النقطة، حيث قامت زوجة بطبخ سمكة لزوجها ولكنها قطعت الرأس والذيل قبل أن تطبخها، وعندما سألها زوجها: لماذا قطعتِ الرأس والذيل؟ قالت: إن أمي تطهوها بهذه الطريقة، سأل الزوج الأم: لماذا تقطعين الذيل والرأس عندما تطبخين السمك؟ أجابت الأم: إن أمي تطهوها بهذه الطريقة. بعدها سأل الزوج الجدة: لماذا تقطعين الرأس والذيل؟ أجابت: كان قدر الطهي في البيت صغيرًا وكان عليَّ أن أقطع الرأس والذيل لأتمكن من إدخال السمكة في القدر.

الواقع أن كثيرًا من الأحداث السابقة والتي جرت في العصور التي سبقتنا كانت رهينة عصرها وزمنها، ولها أسبابها التي ارتبطت بها ولعل القصة السابقة تعكس ذلك، والواقع أنها كارثة بشرية، أن نعيش في زمان ليس بزماننا وأن نقلد أفعال غيرنا دون أن نفكر أو نسأل رغم اختلاف الظروف وتغير الأزمنة.

"...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ..."[٤٠٢].

قال: وما مصير من لم تبلغه رسالة الإسلام؟

قلت له: هؤلاء لن يظلمهم الله عز وجل ولكنه سوف يمتحنهم في يوم القيامة.

قال: والبشر الذين لم تحن لهم الفرصة برؤية الاسلام جيدًا؟

قلت له: فهؤلاء ليس لهم عذر، لأنه كما ذكرنا فلا ينبغي لهم التقصير في البحث والتفكير. وإن حكم الله تعالى عليهم بالعذاب ليس ظلمًا بعد كل هذه الحجج التي أقامها عليهم، من العقل والفطرة والرسالات والآيات في الكون وفي أنفسهم، وأقل شيء كان من المفترض عليهم أن يفعلوه مقابل ذلك كله هو أن يعرفوا الله تعالى ويوحدوه، كحد أدنى، ولو فعلوه لنجوا من الخلود في النار، وحققوا السعادة في الدنيا والآخرة، أتعتقد أن هذا صعبًا؟

إن حق الله تعالى على عباده الذين خلقهم أن يعبدوه وحده، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا. الأمر بسيط، هي كلمات يقولها الإنسان ويؤمن بها ويعمل بمقتضاها، وكافية للنجاة من النار، أليس هذا هو العدل؟ هذا هو حُكم الله عز وجل، وهو الحكم العدل اللطيف الخبير، وهذا هو دين الله تبارك وتعالى.

---

[٤٠١] (العنكبوت: ٤٠).

[٤٠٢] (الرعد: ١١).

المشكلة الحقيقية ليست في أن يخطئ الإنسان أو يرتكب ذنبًا؛ لأن من طبيعة الإنسان الوقوع في الخطأ، فكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابين، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن المشكلة هي في التمادي في اقتراف المعاصي والإصرار عليها، والعيب أيضًا هو أن يُنصح الإنسان فلا يسمع النصيحة ولا يعمل بها، وأن يُذكَّر فلا تنفعه الذكرى، وأن يوعَظ فلا يتعظ ولا يعتبر ولا يتوب ولا يستغفر، بل يصر ويولي مستكبرًا.

" وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " [٤٠٣].

قال: ولماذا لا نعصي الله؟

قلت له: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه، واخرج من أرضه، وابحث عن مكان آمن لا يراك الله فيه. وإذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، قل له أخرني حتى أتوب توبةً نصوحًا وأعمل لله عملاً صالحًا، وإذا جاءتك ملائكة العذاب يوم القيامة ليأخذوك إلى النار، فلا تذهب معهم، قاومهم وامتنع عن الذهاب معهم، وخذ بنفسك إلى الجنة، فهل تستطيع فعل ذلك؟ [٤٠٤] .

قال: لا.

قلت له: إنك حين تقتني حيوانًا أليفًا في منزلك، فأقصى ما ترجوه منه هو الطاعة، وهذا لأنك اشتريته فقط ولم تخلقه، فما بالك بخالقك وبارئك، ألا يستحق منك الطاعة والعبادة والاستسلام، ونحن مستسلمون رغمًا عنا في هذه الرحلة الدنيوية في كثير من الأمور، قلبنا ينبض، جهازنا الهضمي يعمل، حواسنا تدرك على أكمل وجه، وما علينا إلا أن نُسلِّم لله بباقي أمورنا التي خُيِّرنا فيها لنصل سالمين إلى بر الأمان.

قال: وما هو بر الأمان؟

قلت له: تتلخص نهاية الرحلة ووصول بر الأمان في هذه الآيات.

"وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ" [٤٠٥].

---

[٤٠٣] (لقمان: ٧).

[٤٠٤] قصة إبراهيم بن أدهم.

[٤٠٥] (الزمر: ٦٩-٧٤).

رسالة الإسلام

لا يوجد في تعاليم الإسلام ما يقود الناس إلى الإلحاد، لا يوجد في الإسلام ألغاز أو غموض تُربك العقل، الإسلام بسيط ومتين، وتتلخص تعاليمه فيما يلي:

- أنَّ للكون إلهٌ واحدٌ أحد، وهو الله، الخالق للكون وما يحتويه، والذي ليس كمثله شيء، وعلى المسلم عبادة خالقه وحده، وذلك بالتواصل معه مباشرةً عند التوبة من ذنب أو طلب المعونة، وليس من خلال قسيس ولا قديس ولا أي وسيط. وأنَّ رب العالمين رحيم بخلقه أكثر من الأم بأولادها، فهو يغفر لهم كلما رجعوا وتابوا إليه. وأنه من حق الخالق أن يُعبَد وحده، ومن حق الإنسان أن يكون له صلة مباشرة بربَّه. فالمغفرة لا تتنافى مع العدالة، كما أنَّ العدالة لا تمنع المغفرة والرحمة.
- أنَّ الخالق لا يأتي إلى الأرض بصورة إنسان ولا حيوان ولا حجر أو صنم، وليس له شريكٌ ولا ولد، وأنه تعالى أرسل الأنبياء والرُّسل كعيسى وموسى ومحمد لنشر رسالة التوحيد في العالم. خلق عيسى من غير أب وخلق آدم من غير أب ولا أم، فهو يخلق ولا يلد، وأمرنا بعبادته بالتوجه إليه وحده كما فعلوا هم، فالمسلم يعبد الله كما عبد عيسى الله ولا يعبد عيسى نفسه، ويعبد الله كما عبد محمد الله ولا يعبد محمد نفسه.
- أنَّ الإيمان بالخالق يقوم على حقيقة أن الأشياء لا تظهر بدون سبب أو بمحض الصدفة، ناهيك عن هذا الكون المادي المأهول الضخم وما فيه من مخلوقات، تمتلك وعيًا غير ملموس، وتطيع قوانين الرياضيات غير المادية. وإنه لشرح وجود كون مادي محدود، نحتاج إلى مصدر مستقل، غير مادي وأبدي.
- أنَّ الإله الخالق حي قيوم غني قادر، ليس بحاجة لأن يموت لأجل البشر، فهو الذي يمنح الحياة أو يسلبها، لذلك هو لم يمت، كما أنه لم يُبعث، هو الذي حمى وأنقذ رسوله عيسى من القتل والصلب، كما حمى رسوله إبراهيم من النار، وموسى من فرعون وجنوده، وكما يفعل دومًا مع عباده الصالحين في حمايتهم وحفظهم.
- أنَّ الدرس الذي علمه الله للبشرية عند قبوله توبة آدم بسبب أكله من الشجرة المحرَّمة، هو بمثابة أول مغفرة لرب العالمين للبشرية، حيث أنه لا يوجد معنى للخطيئة الموروثة، فلا تزر وازرة وزر أخرى، فكل إنسان يتحمل ذنبه وحده؛ وهذا من رحمة رب العالمين بنا. وأنَّ الإنسان يُولد نقيًّا بلا خطيئة، ويكون مسؤولاً عن أعماله ابتداءً من سن البلوغ.
- أنَّ الإنسان لن يُحاسَب عن ذنب لم يقترفه، كما أنه لن ينال النجاة إلا بإيمانه وعمله الصالح، منح الله الحياة للإنسان وأعطاه الإرادة للامتحان والابتلاء، وهو مسؤول فقط عن تصرفاته. وأنَّ الإنسان يمتلك حرية الاختيار فقط في حدود معرفته وإمكانياته. فالحساب مرهون بوجود المسؤولية، وإمكانية الاختيار، فالخالق لن يحاسِب المرء على شكله ووضعه الاجتماعي وانتمائه القبلي. والحرية المحفوفة بالصراع والكفاح أعظم درجة وتكريم للمرء من الإنسان السعيد مسلوب الإرادة، فالحساب والثواب ليس لهما معنى بدون الإرادة.
- الايمان بكافة الرسل الذين بعثهم الله للبشر دون تمييز. وأنَّ إنكار أي رسول أو نبي يتعارض مع أساسيات الدين. وأنَّ جميع أنبياء الله بَشَّروا بقدوم خاتم الرسل محمد عيه الصلاة والسلام. كما أن العديد من الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله للأمم المختلفة ذُكرت أسمائهم في القرآن الكريم (مثل نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، داود، سليمان،

عيسى إلخ....)، هناك آخرون لم يُذكروا. فإن احتمالية كون بعض الرموز الدينية في الهندوسية والبوذية (مثل راما، كريشنا، وغواتاما بوذا) أن يكونوا أنبياء أرسلهم الله هي فكرة غير مستبعده. وقد ظهرت الفروقات بين المعتقدات عندما قدَّست الشعوب أنبياءها وعبدتها من دون الله.

- الإيمان بالكتب والعهود السابقة، التي لم يطرأ عليها أي تحريف أو تغيير، بل ويجعل الإيمان بالرسل والكتب السابقة من أسس الإسلام. ويُكرِّم ويُشرِّف كافة الرسل والأنبياء ويُبرِّئهم من التُّهم والنقائص، ويبرهن على إخلاصهم لرب العالمين ووحدانية الرسالة.
- أنَّ النص الكامل لكتابه (القرآن الكريم)، نزل على النبي محمد بواسطة الملك جبرائيل، وكما ويؤمن المسلم بغيره من الملائكة.
- أنَّ نص القرآن لا يزال بلغته الأصلية (العربية)، وبدون أي تغيير أو تحريف أو تبديل، ولا يزال محفوظًا كما هو حتى وقتنا هذا، وسيبقى كذلك، كما وعد رب العالمين بحفظه. وهو متداول بأيدي جميع المسلمين، ومحفوظ في صدور الكثير منهم، وأنَّ الترجمات الحالية للقرآن بلغات متعددة والمتداولة بين أيدي الناس، ما هي إلا ترجمة لمعاني القرآن فقط.
- أنَّ تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأقواله، تم نقلها وتوثيقها من خلال سلسلة من الرُّواة الموثوقين.
- أنَّ الانسجام الموجود بين أجساد البشر وأرواحهم يُبيِّن أنه من غير الممكن جعل هذه الأرواح تسكن في أجساد الحيوانات ولا يمكن لها التحول بين النباتات والحشرات (تناسخ الأرواح) ولا حتى في أشخاص. ولقد مَيَّز الله الإنسان بالعقل والمعرفة وجعله خليفةً في الأرض، وفضَّله وكرَّمه ورفع من شأنه على كثير من الخلائق. ومن حكمة وعدل الخالق وجود يوم القيامة الذي سيبعث الله فيه الخلائق ويحاسبهم وحده، ويكون مآلهم إلى الجنة أو النار، وكل الأعمال الصالحة والسيئة سوف تُوزن في هذا اليوم.
- أنَّ دين الله الصَّحيح دائمًا في توافق وانسجام مع الطبيعة البشرية، وهو دين واحد، سهل، مفهوم وبسيط، وصالح لكل زمانٍ ومكان، وأنَّ تعدد الديانات ناتج عن اتخاذ الوسطاء بين الخالق والمخلوق في العبادة، وعند توجه البشر لعبادة الخالق مباشرة بدون وسيط، والإيمان جميعًا بمحمد خاتم الرسل، واتباع شريعته، تتوحد القلوب على دين واحد، وهذا هو مفتاح البشرية نحو التناغم والتواؤم.
- فعل الخيرات واجتناب السيئات، مثل حق الوالِدَيْن بالإحسان لهما، ومن ثم حق الأولاد في الحصول على حياة كريمة، والمحافظة على مال اليتيم، والقسط في الوزن والمكيال، والعدل في القول والفعل، والوفاء بالعهود. والنهي عن اقتراف الفواحش أو حتى الاقتراب منها، وعدم قتل النفس البشرِية بغير حق، وهي مبادئ فطرية معنوية، وبالتالي فإنَّ الناس مُدرِكون لهذه القيم بشكل طبيعي وغريزي.
- أن معاملة الناس بعضهم بعضًا بخُلقٍ حَسن، بهدف نفع الإنسانية وتعمير الأرض، لا يُغني عن الإيمان بالخالق، والالتزام بالأخلاق العالِمية تحت مظلة الدين، لأن تعمير الأرض والخُلق الحسن ليسا الغاية للدين، لكنَّهما في الحقيقة وسيلة. فغاية الدين أن يُعرِّف الإنسان بربِّه، ثم بمصدره هو وطريقه ومصيره، ولا يتحقق حُسن النهاية والمصير إلا بالحصول على رضا رب العالمين، والسبيل إلى ذلك يكون بتعمير الأَرض والخُلق الحَسن.
- أنَّه لا يوجد كهنوت في دين الله، والدين للجميع، الناس سواسية كأسنان المِشط أمام الله، فلا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصَّالح.

- أن من أحد صفات رب العالمين الحكمة، فهو لا يخلق شيئًا عبثًا، بدون غاية أو هدف، فهو خلقنا ليرحمنا ويسعدنا ويعطينا، وكل الصفات البشرية الجميلة مشتقة من صفاته. وأن وجودنا في هذه الدنيا هو لهدف وغاية سامية، وهي معرفة الله عز وجل، والتوجه إليه بالتوبة والاستعانة به مباشرة.
- أنَّ القاعدة هي الخير، والشر هو الاستثناء. فالأشياء المنظمة ستنهار وتتلاشى دائمًا ما لم يجمعها شيء من الخارج. أو أن تكون جيدة على نطاق واسع كما هي، دون أن يُنظم الخالق هذه الظواهر العشوائية التي تظهر في الأشياء الرائعة مثل الجمال والحكمة والفرح والحب.
- أن الخالق وضع قوانين الطبيعة والسنن التي تحكمها، وهي تصون نفسها بنفسها عند ظهور فساد أو خلل بيئي وتحافظ على وجود هذا التوازن بهدف الإصلاح في الأرض واستمرار الحياة على نحو أفضل. وأن ما ينفع الناس والحياة هو الذي يمكث ويبقى في الأرض. وعندما يقع في الأرض من كوارث يتضرر منها البشر كالأمراض، البراكين، الزلازل والفيضانات، تتجلى أسماء الله وصفاته كالقوي، الشافي والحفيظ مثلاً، في شفائه للمريض وحفظه للناجي، أو تجلي اسمه العدل في عقاب الظالم لغيره والعاصي، ويتجلى اسمه الحكيم في ابتلاء وامتحان غير العاصي، والذي يُجازى عليه بالإحسان إن صبر وبالعذاب إن ضجر، وبذلك يتعَّرف الإنسان على عظمة ربه من خلال هذه الابتلاءات تماما كما يتعرف على جماله من خلال العطايا. فإن لم يعرف الإنسان إلا صفات الجمال الإلهي فكأنه لم يعرف الله عز وجل.
- أنَّ الذي يقع من ابتلاءات هو إرادة الله، والذي أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، حيث أنه لا يوجد شر مطلق بالوجود، وأنَّ الحياة الدنيا التي يعيشها الإنسان، ليست إلا لحظة مقارنة بالحياة الأخرى الأبدية، ومن ثم يهون كل ما عاناه في الدنيا بغمسة واحدة في نعيم الجنة، وأن الحياة الدنيا بداية لرحلة أبدية يستأنفها الإنسان بعد الموت بالبعث والحساب، ومن ثم الجزاء.
- أنَّ عظمة الدين، في شموليته وبساطته، فمصطلح الإسلام غير مرتبط بأي شخص أو مكان أو جماعة خاصة، ولكنه يعكس العلاقة مع رب العالمين.
- ومن تعاليمه:
  - دوام التواصل مع رب العالمين عن طريق الصلاة.
  - تقوية إرادة الإنسان وتَحكُّمه بنفسه، وتنمية مشاعر الرحمة والتآلف مع الآخرين عنده، بالصيام.
  - إنفاق نسبة بسيطة من مدخراته للفقراء والمساكين عن طريق الزكاة، وهي عبادة تساعد الإنسان على تغليب صفات البذل والعطاء على نوازع الشُّح والبخل.
  - التجرد والتَّفرغ للخالق في وقت ومكان مُعَّين، من خلال أداء مناسك ومشاعر واحدة لكافة المسلمين المقتدرين ماديًا وصحيًا، عن طريق الحج الى مكة، وهي رمز للوحدة في التوجه للخالق، على اختلاف الانتماءات البشرية وثقافاتهم ولغاتهم ودرجاتهم وألوانهم.
- أنَّ علاقة الإنسان بخالقه يجب أن تكون أفضل وأقوى من أي علاقة، فلذلك فالمسلم يجب أن يحرص على تطبيق تعاليم الإسلام، وهذه العلاقة هي العلاقة الحقيقية التي ستجلب له الخير كله واحترام الآخرين.

- أنَّ كثيرًا من الناس يمرون بفترة يعتريها الشك والبحث والضياع، ولا يجدون السلام التام والراحة، إلا بعد أن يجدوا طريقهم لرب العالمين. تمامًا كطفل ضائع يبحث عن والدته، وعندما يجدها يشعر بالسكينة ويكتشف أن هذا الأمان الذي كان يبحث عنه.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأشهد أن محمد عبده ورسوله

وأشهد أن رسل الله حق

وأشهد أن الجنة حق والنار حق.

كتب المؤلف:

- قصة عيسى عليه السلام في القرآن. ٢٠١٧، كُتب بالإنجليزية ومترجم إلى ١٥ لغة.
- المفهوم الحقيقي للإله. ٢٠١٨، كُتب بالإنجليزية ومترجم إلى ٧ لغات.
- لماذا الإسلام؟ ٢٠١٩، كُتب بالإنجليزية ومترجم إلى٥ لغات.
- عين على الحقيقة. ٢٠٢٠، كُتب بالإنجليزية ومترجم إلى ٤ لغات.

الحمد لله

لماذا الدين؟

رحلة من الذاكرة

في قصـــة لي مع مدرس اللغة الفرنســية الكاثوليكي في أفريقيا، أنه فاجأني يومًا أمام الطلاب في الفصـــل، وقد كنت المســـلمة الوحيـدة بينهم، حيـث قـال: أنـا أحـب الإسـلام. وعندما سـألته عن السـبب، قال: المســـلمون يعبدون إلهًا واحدًا، ولديهم كتابًا مقدسًـــا واحدًا، ويصـــلون باتجاهٍ واحد، فأنا معجب جدًا بهذا الدين. شعرت حينها بفرحة كبيرة وفخر بهذا الدين العظيم، وكانت هذه اللحظـة نقطـة انطلاق لي لتكريس وقتي وجهدي لدراســـة الطريقة الســـليمة لعرض الإســـلام، وتغيير أســـلوب الحوار الدارج بين الدعاة، والذي يُنفِّر من الإســـلام أكثر مما يُقرِّب إليه. فالإســـلام دين الفطرة، بســـيط ومفهوم، ولكن يُعرَض بطريقة معقدة، وتكاد تكون خاطئة. ومن هنا بدأت الرحلة.

Faten Sabri

fatensabri.com
faten@fatensabri.com
la luz-the light
la luz (the light)
laluz_thelight